

www.kotobarabia.com
فاطمة السيد
www.kotobarabia.com
مذكرات صحفية في غرفة الإعدام

مذكرات صحفية

في غرفة الإعدام

فاطمة السيد

** الإهداء **

إلى أستاذي وإلى معلمي الأول. الذي دفع بي إلى سلم النجاح وشجعني على صعوده خطوة خطوة. وكانت توجيهاته نبراسا لي وشمعة على طريق العناء في بلاط صاحبة الجلالة.

إلى من ذهبت إليه أطلب منه أن يسمح لي بحضور تنفيذ أحكام الإعدام في الغرفة السوداء فنظر إلي بإشفاق وابتسم. وكانت ابتسامته بمثابة تصريح ودفعة قوية أحس بأثرها في اليوم ولولا تشجيعه ما كان هذا الكتاب.

إلى رائد الصحافة المصرية الحديثة.

إلى أستاذي مصطفى أمين.

فاطمة السيد

بسم ا   الرحمن الرحيم

* مقدمة *

قارئي العزيز:

أهدي إليك باكورة إنتاجي. امرأة في غرفة الإعدام. عاشت أحداثه في داخلي أكثر من ٢٥ عاما مـن الزمـان. شغلتني عنها دوامة الحياة والجري وراء الخبر الصحفي من مكان إلى آخر، ومن بلد إلى بلد فالصحفي هو الصحفي حتى لو كان من الجنس الناعم. إن الصحافة لا تفرق بين رجـل وامرأة في البحث وراء المتاعب. فالكل أمام الخبر والحـدث سواء حتى لو كان الحصول عليه يستدعي دخول حواء غرفة الإعدام أو الغرفة السوداء، لا كمحكوم عليها بالإعدام، يضع عشماوي حبل المشنقة حول رقبتها. بل كصحفية دخلت وراء المحكوم عليه بالإعدام. تكتب وتنفعل بكل كلمة أو حركة أو إشارة تصدر من إنسان على وشك أن يفارق الحياة على يـد عشماوي.

وكنت أنا أول حواء تحضر تنفيذ حكم بإعدام آدمـي في العالم كله، وتقف أمام مشهد الموت الرهيب وما يسـبقه

من إجراءات ومراسم تخلع أشد قلوب الرجال ثباتًا فما بالـك بقلب أنثى في مستهل الشباب تكتب قصائد الحب وتنفعل بكل ما هو جميل بسام في الحياة.

وكان لابد عزيزي القارئ أن تخرج هذه الأحـداث التي عشتها بكياني كله وعاشت في دمي ربع قرن. لتقـرأه وتدرك أية معاناة عاشتها فتاة وضعت قدمها على أول درجة من سلم صاحبة الجلالة الصحافة وكان مـن المسـتحيل أن تتراجع وتهبط السلم.

صراع مرير في الجري وراء الخبر الصحفي. ليـل نهار في أوساط الجريمة. في أقسام الشرطة وداخل المشرحة وفي غرفة الإعدام. وكنت أنا في بدء عملي بقسم الحـوادث كالنحلة التي لا تهدأ أبدا. أعود إلى بيتي عند الفجـر ومـع مطلع الصبح في حراسة مراسلة مأمور الشرطة.

وهكذا أيها القارئ العزيز. كانت تجربتي الأولى مع صاحبة الجلالة التي تعيش في دمي وأحيا بها ولها. إنها حبي الأول وحبي الأخير. فعش معي تجربتي بكل ما فيهـا مـن إثارة وخوف وصراع، عش معي في غرفة الإعدام..

فاطمة السيد

مرآة الخير والشر

إيه يا ليل.. كم تحت ستائرك المخملية السوداء، وسكونك الأبدي من مسرحيات ترتكب. بطلها ذلك الكائن الضعيف الذين يظن أنه يمتلك الأرض وما عليها. فيقتل ويسرق ويبطش، يحب ويكره ويصدر أحكامه من داخله. هذا الكائن الضعيف النصف شيطان والنصف ملاك هو بطل الكوميديا الإنسانية. هو الممثل والمتفرج والمخرج. هو الجمهور وهو الناقد.

إنك تركيبة عجيبة أيها الكائن. فيك جميع المتناقضات. النور والنار بداخلك، الخير والشر في دمك. الحب والكره يعيشان معك. الظلم والعدل من صفاتك. الطمع والقناعة من خصائصك.

وأخيرا أنت ابن آدم الذي ارتكب الخطيئة الأولى. ابن آدم الذي قتل أخاه، في أول جريمة قتل يعرفها تاريخ البشرية بسبب الغيرة هابيل أنت ضحية قابيل. وكل كائن بشري قابيل وهابيل معا. هو القاتل والقتيل.

يقولون أن الليل أقسى سجان يفرض سيطرته علـى المساجين إنهم يمضون تحت حراسته أشد سـاعات سـجنهم وحشة وعذابا. إنه يذكرهم دائما ببشاعة جرمهم. يوضح لهم بصمته وسكونه إنهم ارتكبوا أكبر جريمة في حق البشـرية. وهل هناك أقبح من أن يقتل الابن أباه والولد أمه؟

قال لي مسجون زرته في زنزانته: إنني أخاف مـن دخول الليل علي في الزنزانة أكثر من خوفي ساعة إعدامي ورؤيتي لحبل المشنقة إن الليل سجان رهيب. صارم قـاسٍ. ساعاته الحادة البطيئة تكاد تصيبني بالجنون. كل ساعة منها كأنها دهر. كأنها قاضٍ يحاكمني.

وبرغم مرور أكثر من ربع قرن من الزمـان: فـلا زلت أذكر منظر عشماوي، وهو يشير إلي بيده لأبتعد عـن طبلية المشنقة قبل أن يجذب اليد، خشية أن أسقط مغشيا علي فوق الجثة وأتهاوى معها إلى البئر.

* * *

أول امرأة في العالم

تدخل غرفة الإعدام: لتعيش

الليل ثقيل بطيء الخطى كأنه جبل يجثم فوق صدري قلق يشد أعصابي كأنها أوتار عود مرهفة. أذني على الساعة تعد دقاتها، وكلما اقترب الفجر تسرع دقات قلبـي ويجـف حلقي، ماذا.. هل أنا المحكوم عليه بالإعدام تقترب سـاعاته الأخيرة؟ أم كل هذا لأني سأحضر تنفيذ حكـم إعـدام فـي مخلوق بشري مثلي. أفكاري تدور وتتواثـب حـولي إنهـا باختصار ليلة رهيبة قضيتها أتقلب في فراشي على جمر من القلق والتوتر قبل أن يسفر الصباح عن وجهه، ويختفي مـع الظلام أشباح الجن والكوابيس.

إنه ليس الصباح الذي أعرفه ويطـالعني كـل يـوم ببسمة ضوئه وإشراقة شمسه. إنه صباح رمـادي ثقيـل أو هكذا تخيلته أعصابي المشدودة كأنها أوتار العـود. فـاليوم أخوض تجربة رهيبة وأدخل معركة البقاء مع زملائي فـي قسم الحوادث بالجريدة التي أعمل بها كأول صحفية تعمل في

هذا القسم بجريدتي وفي جميع الصحف، فلم يسبق لفتـاة أن عملت محررة جرائم تكتب من داخل أقسام الشـرطة، ولـم يسبق لفتاة أن شاهدت تنفيذ حكم إعدام داخل غرفة المشـنقة قبلي.

حدث هذا منذ ٢٥ عاما وبالتحديد فـي شـتاء عـام ١٩٥٩ وكنت حديثة العهد بالعمل في الصحافة ولـم يمـض على تخرجي من كلية الحقوق سوى عام واحد. كان الحماس يملؤني رغبة في النجاح وإثبات ذاتي كأول فتاة تكتب عـن الجرائم من خلال معايشـتها للأحـداث والجريمـة لحظـة وقوعها.

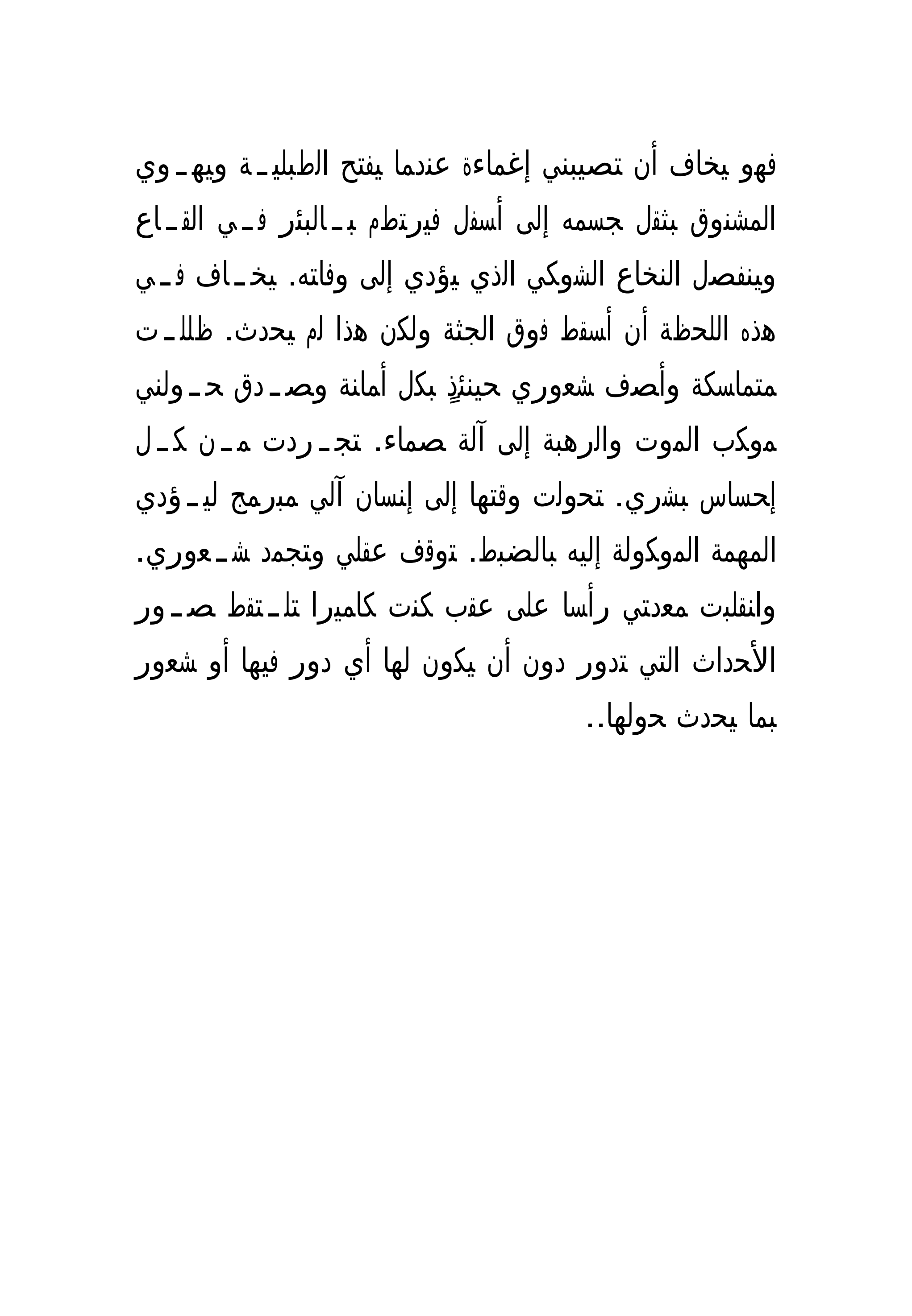
وكتب أنيس منصور في مجلة الجيل قائلاً: إن فاطمة السيد تدعوني لمشاهدة تنفيذ أحكام الإعدام وكأنها ترسل إلي بتذكرة سينما.

ومن هذا المنطلق كان حرصي الشديد على حضور تنفيذ أحكام الإعدام وإصراري على دخول غرفة التنفيذ التي يطلقون عليها الغرفة السوداء وبهذا كنت أول فتاة وسيدة في العالم تدخل هذه الغرفة لا كمذنبة ينفـذ فيهـا الحكـم بـل كمتفرجة تكتب وتسجل كل حرف وكلمة وانفعال يصدر عن

المحكوم عليه بالإعدام لحظة إعدامه، ويومها كتب عني أستاذي مصطفى أمين أني أول امرأة في العالم تدخل وراء المحكوم عليه غرفة الإعدام.

الأحداث تمر أمامي من خلال شريط الذكريات ومن بين سطور مفكرتي التي كنت حريصة على تسجيل الأحداث الهامة التي عاصرتها وبرغم مرور أكثر من ربع قرن من الزمان، فلا زلت أذكر منظر عشماوي وهو يشير إلي بيده لأبتعد عن طبلية المشنقة قبل أن يجذب اليد خشية أن أسقط مغشيا علي فوق الجثة وأتهاوى معها إلى البئر.

هذا المنظر لن أنساه أبدا مع أنه طالعني بعدها كثيرا منظر المحكوم عليه بالإعدام يرتدي البذلة الحمراء ويقف فوق طبلية المشنقة وقد أوثق عشماوي يديه وراء ظهره ووضع قناعا أسود على عينيه بينما تصطف هيئة تنفيذ الحكم داخل الغرفة السوداء وأنا بجوار الطبلية لا يفصلني عنها أكثر من نصف متر تقريبا. أمسك بيدي أوراقي وقلمي لأسجل كل حرف ينطق به كل إنسان داخل الغرفة. وعشماوي في انتظار إشارة التنفيذ من رئيس هيئة تنفيذ الحكم. وفي نفس الوقت ينظر إلي بقلق ويشير بيده لأبتعد



فهو يخاف أن تصيبني إغماءة عندما يفتح الطبليـة ويهـوي المشنوق بثقل جسمه إلى أسفل فيرتطم بـالبئر فـي القـاع وينفصل النخاع الشوكي الذي يؤدي إلى وفاته. يخـاف فـي هذه اللحظة أن أسقط فوق الجثة ولكن هذا لم يحدث. ظللـت متماسكة وأصف شعوري حينئذٍ بكل أمانة وصـدق حـولني موكب الموت والرهبة إلى آلة صماء. تجـردت مـن كـل إحساس بشري. تحولت وقتها إلى إنسان آلي مبرمج ليـؤدي المهمة الموكولة إليه بالضبط. توقف عقلي وتجمد شـعوري. وانقلبت معدتي رأسا على عقب كنت كاميرا تلـتقط صـور الأحداث التي تدور دون أن يكون لها أي دور فيها أو شعور بما يحدث حولها..

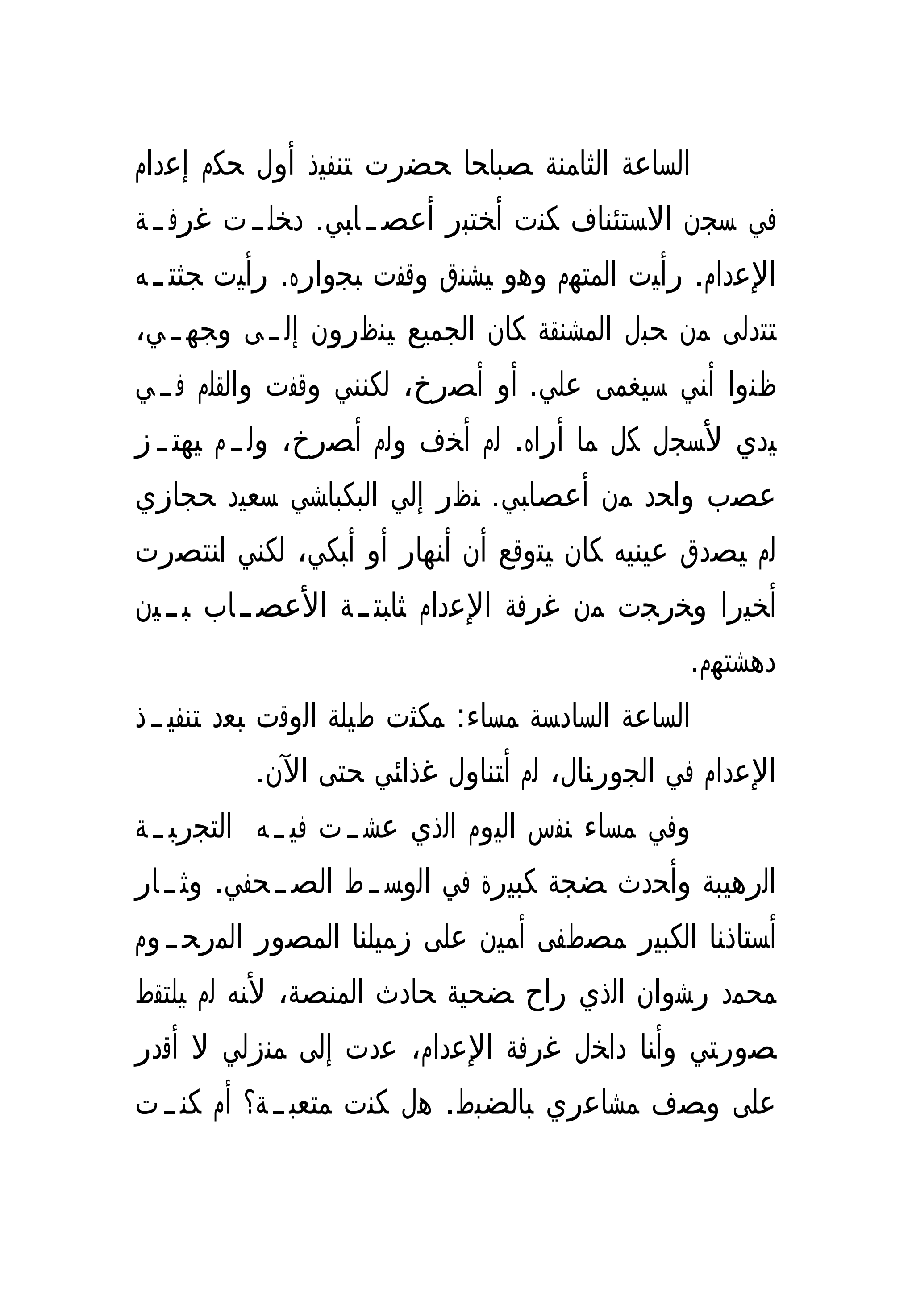


((توقف الزمن))

لحظات توقف فيها الزمن وجرى كل شيء خلالهـا بسرعة مذهلة وأفقت وأنا أحملق في الجسـد الـذي يهـوي أمامي إلى أسفل بعد أن أنهى عشماوي عمله، وفـي نفـس الوقت كان كل من حولي يحملقون في لا في المشنوق الـذي يلفظ آخر أنفاسه والطبيب الذي يعد نبضه ليحسب كم دقيقـة استغرقتها خروج روحه من بدنه، ويتوقف القلب عن العمل.

لا شك أن هيئة التنفيذ وكلهم مـن الرجـال كـانوا يتوقعون منظرا غير الذي شهدوه يجري أمـامهم. ولا شـك لحظة في أنهم كانوا يمنون النفس بمنظري لحظة تنفيذ الحكم وأنا أصرخ وأسقط مغشيا علي من الفزع أو تصـدر منـي على الأقل شهقة خوف. لكن هذا لم يحدث وأنقل لكم حرفيـا ما سطرته يدي في مذكراتي حرفًا بحرف.

كان اليوم هو الأحد ١٥ فبراير عام ١٩٥٩ الموافق ٧ من شعبان و ٨ أمشير كتبت الآتي:



الساعة الثامنة صباحا حضرت تنفيذ أول حكم إعدام في سجن الاستئناف كنت أختبر أعصابي. دخلت غرفة الإعدام. رأيت المتهم وهو يشنق وقفت بجواره. رأيت جثته تتدلى من حبل المشنقة كان الجميع ينظرون إلى وجهي، ظنوا أني سيغمى علي. أو أصرخ، لكنني وقفت والقلم في يدي لأسجل كل ما أراه. لم أخف ولم أصرخ، ولم يهتز عصب واحد من أعصابي. نظر إلي البكباشي سعيد حجازي لم يصدق عينيه كان يتوقع أن أنهار أو أبكي، لكني انتصرت أخيرا وخرجت من غرفة الإعدام ثابتة الأعصاب بين دهشتهم.

الساعة السادسة مساء: مكثت طيلة الوقت بعد تنفيذ الإعدام في الجورنال، لم أتناول غذائي حتى الآن.

وفي مساء نفس اليوم الذي عشت فيه التجربة الرهيبة وأحدث ضجة كبيرة في الوسط الصحفي. وثار أستاذنا الكبير مصطفى أمين على زميلنا المصور المرحوم محمد رشوان الذي راح ضحية حادث المنصة، لأنه لم يلتقط صورتي وأنا داخل غرفة الإعدام، عدت إلى منزلي لا أقدر على وصف مشاعري بالضبط. هل كنت متعبة؟ أم كنت

مروعة من أحداث مشهد تنفيذ الإعدام في آدمي مثلي كـان يعيش حياته على أي وجه من الوجوه، يتنفس ويأكل ويتحرك ويأمل ويفكر. ينبض قلبه وتشيع روحه الحياة في جسده الذي أصبح بعد تنفيذ الحكم جثة باردة.

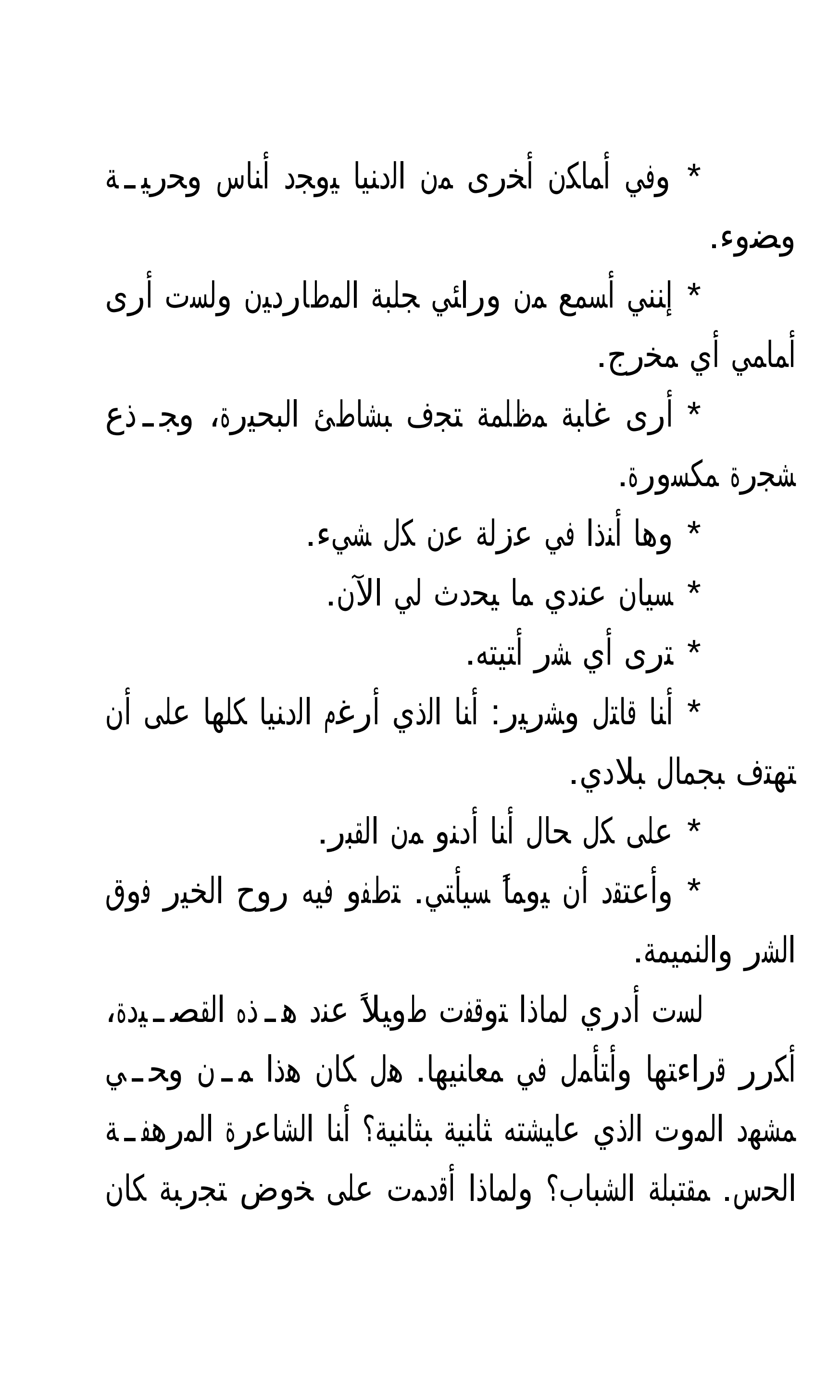
إني أذكر ما فعلته بعد دخولي البيت، ومن قابلت من أسرتي ولا أنسى تعبير إشفاق لمحته على وجهه أمي التـي كانت تجلس في غرفة المعيشة وتساؤلها هل تناولت طعامي أم تعده لي وأجبتها أني لا أستطيع وأغلقت بـاب غرفتـي، وأخذت أقرأ قصائد شعر كتبتها أنا وغيري فأنا أيضا شاعرة ولي قصائد شعر وأكتب الشعر وعمري ١٣ عامـا وكنـت وقتها طالبة بالمدارس وكانت القصيدة التي توقفـت عنـدها طويلاً للشاعر الروسي باسترناك كانت القصيدة تقول:

* لقد ضعت كالحيوان الحبيس في غابة سوداء على ضفاف البحيرة.

* أنا تائه تيه الوحش في الدغل.

* إنني أسمع جلبة المطاردين ولست أرى أمامي أي مخرج.

* أنا تائه تيه الوحوش في الدغل.



* وفي أماكن أخرى من الدنيا يوجد أناس وحريـة وضوء.

* إنني أسمع من ورائي جلبة المطاردين ولست أرى أمامي أي مخرج.

* أرى غابة مظلمة تجف بشاطئ البحيرة، وجـذع شجرة مكسورة.

* وها أنذا في عزلة عن كل شيء.

* سيان عندي ما يحدث لي الآن.

* ترى أي شر أتيته.

* أنا قاتل وشرير: أنا الذي أرغم الدنيا كلها على أن تهتف بجمال بلادي.

* على كل حال أنا أدنو من القبر.

* وأعتقد أن يوماً سيأتي. تطفو فيه روح الخير فوق الشر والنميمة.

لست أدري لماذا توقفت طويلاً عند هـذه القصـيدة، أكرر قراءتها وأتأمل في معانيها. هل كان هذا مـن وحـي مشهد الموت الذي عايشته ثانية بثانية؟ أنا الشاعرة المرهفـة الحس. مقتبلة الشباب؟ ولماذا أقدمت على خوض تجربة كان

زملائي الرجال في قسم الحوادث يرفضونها ويكرهـون أن يحضروا تنفيذ أحكام الإعدام؟ أما أنا فقد حسمت الأمر مـع نفسي وقررت أن أكون البادئـة تحـديا للرجـال جمـيعهم وازملائي في العمل،.. ولأكون الرائدة لزميلاتي الصحفيات في تحقيق وكتابة الجريمة وما يتبعها من عقاب سـواء فـي السجن أو الغرفة الرهيبة غرفة الإعدام المظلمة.



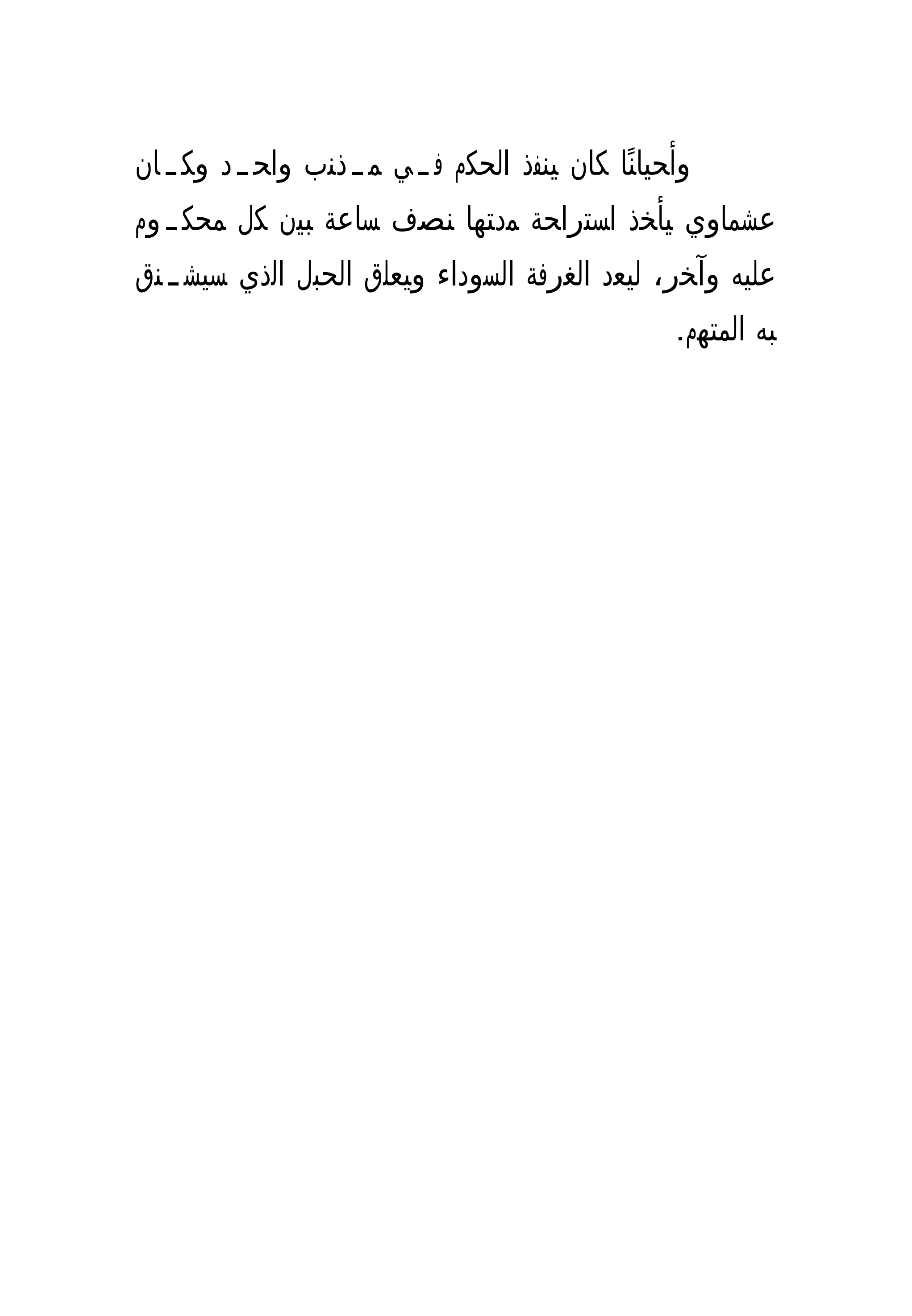
تسجل أحاسيس الموتى

واليوم وأنا أقدم لك عزيزي القارئ تجربة أول امرأة في العالم تحضر تنفيذ أحكام الإعدام داخل الغرفة السوداء لتقرأها في سهولة ويسر وأنت مستلقٍ في فراشك مستريحا، لا تعلم قدر المعاناة التي عانيتها وأنا أسترجع مثل هذا المنظر مرة أخرى، لأنقله لك على الورق، ولكني آثرت أن أصف لك مشاعري في المقدمة حتى تكون معي منذ الصفحات الأولى من الكتاب تعيش معي بإحساسك وبمشاعرك لتلتقط ما أنقله إليك عن تجربة فتاة رقيقة، ومع ذلك تدخل بقدم ثابتة وراء المحكوم عليه بالإعدام، تلتقط أذناها وعيناها ويسجل قلمها كل ما يقال ويحدث داخل الغرفة السوداء. غرفة الإعدام لتشهد لحظة مفارقة إنسان للحياة رغما عنه. حين يقتص منه القانون ويسدد للمجتمع الإنساني دينه.



أكثر من ٢٥ عاما مضت، ولا زلت حتى الآن أذكر وجوه من حضرت إعدامهم من الرجال والنساء وما أكثر عددهم. ولا تزال صرخة المذنبة إنشراح ترن في أذني حتى الآن، وهي فوق طبلية المشنقة لا يفارقني منظرها المنهار منذ دخلت من باب سجن الاستئناف مستندة على السجانة الضخمة التي كانت مكلفة باصطحابها من سجن القناطر حتى سجن الاستئناف وحتى نفذ فيها حكم الإعدام لأنها قتلت طفلة صغيرة، شاهدتها وهي تسرق. أي بشاعة هذه؟؟ وبعدها قتلت مخدومتها الثرية. ألقت فوقها بالماء المغلي والبوتاس ثم خنقتها.

كنت أحيانًا أحضر تنفيذ أكثر من حكم في يوم واحد، كما حدث في أول مرة خضت فيها التجربة القاسية، إذ حضرت إعدام ثلاثة رجال في اليوم الأول لي مع تنفيذ الإعدام وخمسة في المرة الثانية من بينهم امرأتان.



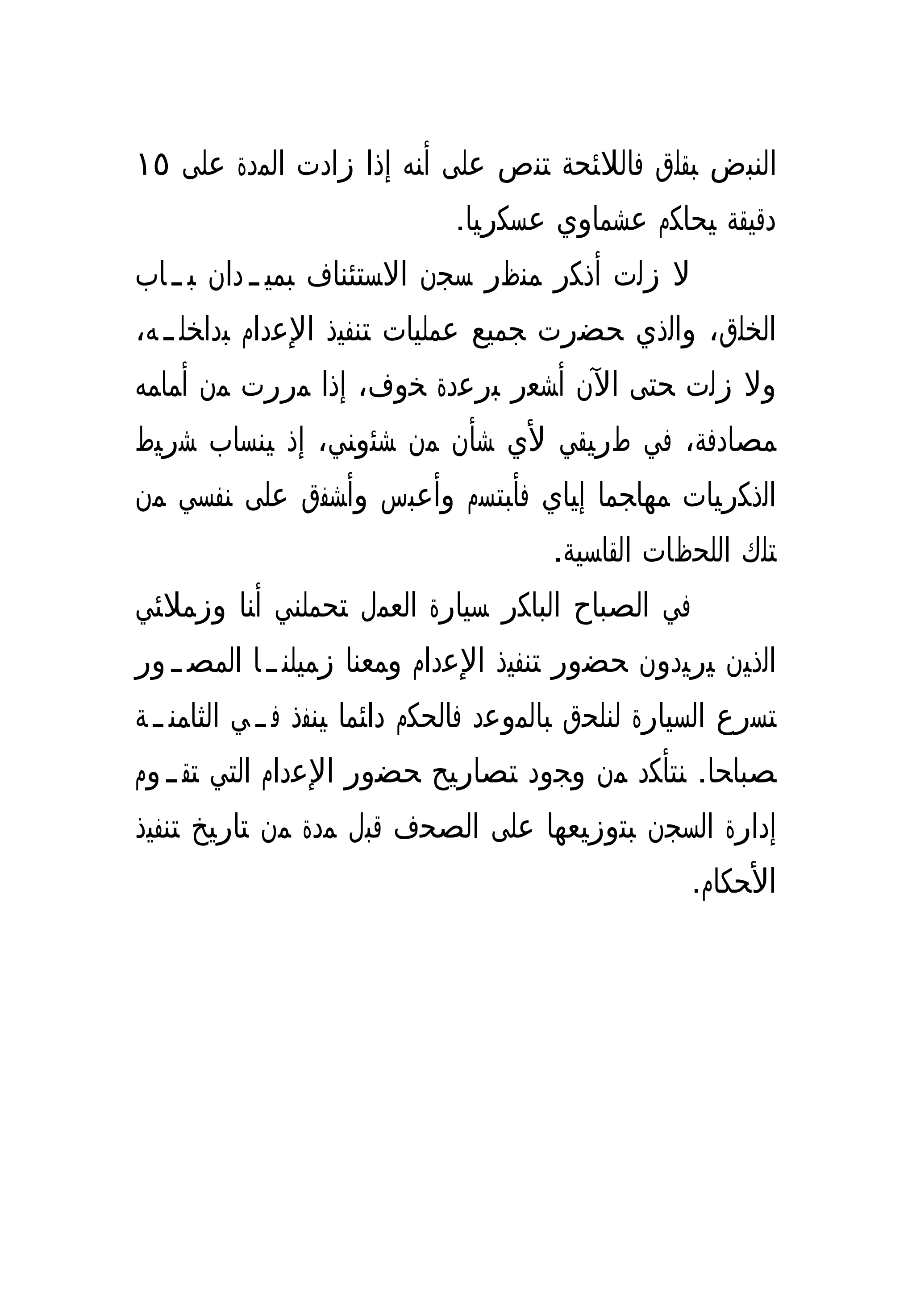
وأحيانًا كان ينفذ الحكم فـي مـذنب واحـد وكـان عشماوي يأخذ استراحة مدتها نصف ساعة بين كل محكـوم عليه وآخر، ليعد الغرفة السوداء ويعلق الحبل الذي سيشـنق به المتهم.



أول طريقي في الحياة

إن الحبل الذي يستعمل في شنق المحكوم عليه بالإعدام يستورد من الخارج، ويعد لكل محكوم عليه بالإعدام حبل يناسب وزنه وطوله. حتى تتم عملية الشنق في دقة وبالطريقة الصحيحة التي ينص عليها القانون، ومع الحبل الذي يصنع من مادة معينة توجد طاقية الإعدام وهي طاقية لونها أسود يقوم عشماوي بوضعها على رأس المحكوم بإعدامه قبل تنفيذ الحكم مباشرة لتخفي عينيه ولا يرى المنظر الرهيب. إن الحبل المستورد ثمنه ما بين عشرة وخمسة عشر جنيها ويستعمل لشنق ٣ أشخاص فقط.

وحتى إشارة تنفيذ الحكم يصدرها رئيس هيئة التنفيذ مشيرا بيده لعشماوي إشفاقًا على المذنب من سماعها ومع هيئة تنفيذ الإعدام يقف طبيب السجن، ليحضر التنفيذ ويسجل الدقائق التي استمر فيها نبض من نُفذ فيه الحكم قبل أن يسلم الروح، ويظل عشماوي يراقب الدقائق التي استمر فيها



النبض بقلق فاللائحة تنص على أنه إذا زادت المدة على ١٥ دقيقة يحاكم عشماوي عسكريا.

لا زلت أذكر منظر سجن الاستئناف بميـدان بـاب الخلق، والذي حضرت جميع عمليات تنفيذ الإعدام بداخلـه، ولا زلت حتى الآن أشعر برعدة خوف، إذا مررت من أمامه مصادفة، في طريقي لأي شأن من شئوني، إذ ينساب شريط الذكريات مهاجما إياي فأبتسم وأعبس وأشفق على نفسي من تلك اللحظات القاسية.

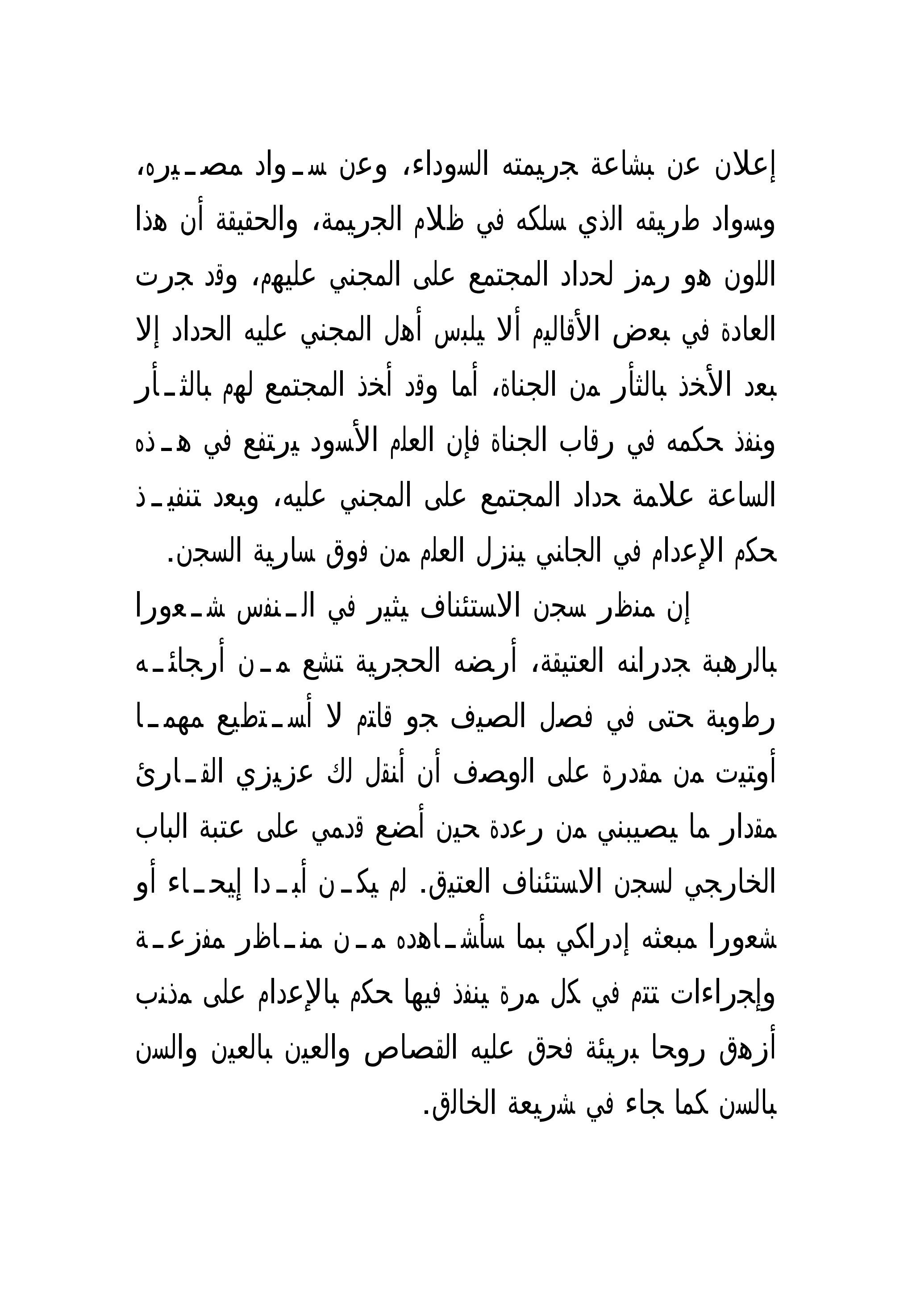
في الصباح الباكر سيارة العمل تحملني أنا وزملائي الذين يريدون حضور تنفيذ الإعدام ومعنا زميلنـا المصـور تسرع السيارة لنلحق بالموعد فالحكم دائما ينفذ فـي الثامنـة صباحا. نتأكد من وجود تصاريح حضور الإعدام التي تقـوم إدارة السجن بتوزيعها على الصحف قبل مدة من تاريخ تنفيذ الأحكام.



كان أول منظر يطالعنا ونحن في طريقنا لحضور تنفيذ الإعدام هو علم أسود يرفرف فوق سارية سجن الاستئناف الذي يربض في قلب ميدان باب الخلق. أحد الجنود قام برفع العلم في السابعة والنصف من صباح اليوم. سألت لماذا يرفع هذا العلم؟ ولماذا اللون الأسود أهو حداد على المذنبين أم علامة على أن هذا الصباح سيشهد إزهاق أرواح سبق لها أن ارتكبت جرائم قتل وعاثت في الأرض فسادا؟ ولماذا لا يكون علم الإعدام لونه أحمر رمزا للدم المسفوك بلا جريرة؟

وأجاب على سؤالي محمود السقا وكيل النيابة وممثلها في هيئة تنفيذ الحكم في ذلك الوقت والأستاذ بكلية الحقوق حاليا قال:

- إن المحكوم عليه بالإعدام يرتدي البذلة الحمراء داخل الزنزانة، حتى يتذكر في لونها لون الدم الذي أراقه، أما اختيار اللون الأسود فليس حدادا على المذنب، ولكنه

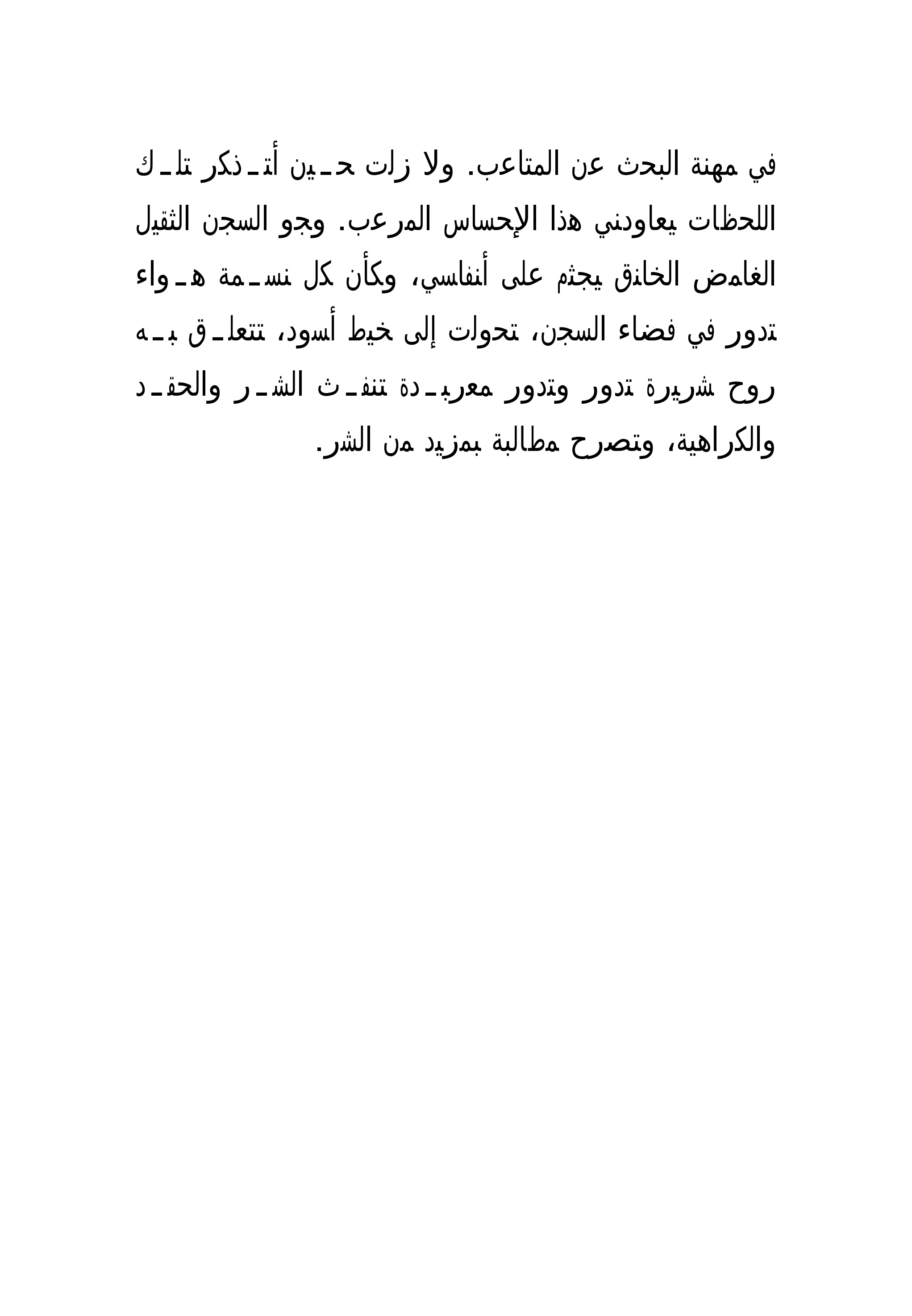


إعلان عن بشاعة جريمته السوداء، وعن سـواد مصـيره، وسواد طريقه الذي سلكه في ظلام الجريمة، والحقيقة أن هذا اللون هو رمز لحداد المجتمع على المجني عليهم، وقد جرت العادة في بعض الأقاليم ألا يلبس أهل المجني عليه الحداد إلا بعد الأخذ بالثأر من الجناة، أما وقد أخذ المجتمع لهم بالثـأر ونفذ حكمه في رقاب الجناة فإن العلم الأسود يرتفع في هـذه الساعة علامة حداد المجتمع على المجني عليه، وبعد تنفيـذ حكم الإعدام في الجاني ينزل العلم من فوق سارية السجن.

إن منظر سجن الاستئناف يثير في الـنفس شـعورا بالرهبة جدرانه العتيقة، أرضه الحجرية تشع مـن أرجائـه رطوبة حتى في فصل الصيف جو قاتم لا أسـتطيع مهمـا أوتيت من مقدرة على الوصف أن أنقل لك عزيزي القـارئ مقدار ما يصيبني من رعدة حين أضع قدمي على عتبة الباب الخارجي لسجن الاستئناف العتيق. لم يكـن أبـدا إيحـاء أو شعورا مبعثه إدراكي بما سأشـاهده مـن منـاظر مفزعـة وإجراءات تتم في كل مرة ينفذ فيها حكم بالإعدام على مذنب أزهق روحا بريئة فحق عليه القصاص والعين بالعين والسن بالسن كما جاء في شريعة الخالق.

إنني أعتمد على ذاكرتي الآن وأنا أصف لـك جـو سجن الاستئناف الرهيب إن منظر الحوائط المطلية بـاللون الأصفر الباهت وقد تساقط الطلاء لفـرط القـدم، والأرض المرصوفة بالبلاط الحجري الكبير. تكونان معا ما أسميته في ذلك الوقت بسيمفونية العدم كان كل ما في السـجن ينطبـق عليه هذا الوصف تماما العدم فلا حياة في هذا الجو المفزع. وجميع الموجودين في هذا الجو هم أشباح. مجـرد أشـباح لأرواح أزهقت بأيدي قتلة جاءت لتحضـر القصـاص مـن قاتليها. وتشهد تنفيذ عدالة السماء بأيدي من جندتهم السـماء للقصاص. وثوان قليلة ويتحول المذنب الجـاني إلـى روح تتقابل مع روح ضحيته التي تحوم حول المشنقة حتـى يـتم تنفيذ الحكم، ولا أدري لماذا كنـت دائمـا أتخيـل أن روح الضحية تتنفس الصعداء حين يجذب عشماوي يـد الطبليـة ويسقط المذنب في بئر المشنقة جثة هامدة؟.

كان شعوري بالرعدة والبرودة لا يفارقني في كـل مرة أحضر فيها تنفيذ الإعدام من أول مـرة وحتـى المـرة العشرين برغم شجاعتي وقوة إرادتي فـي ذلـك الوقـت، وتصميمي على البقاء متماسكة في مواجهة زملائي الرجـال



في مهنة البحث عن المتاعب. ولا زلت حين أتذكر تلك اللحظات يعاودني هذا الإحساس المرعب. وجو السجن الثقيل الغامض الخانق يجثم على أنفاسي، وكأن كل نسمة هواء تدور في فضاء السجن، تحولت إلى خيط أسود، تتعلق به روح شريرة تدور وتدور معربدة تنفث الشر والحقد والكراهية، وتصرخ مطالبة بمزيد من الشر.



إن تاريخ أول لقاء لي مع عشماوي هو بالتحديد ١٥ فبراير عام ١٩٥٩. وكان اللقاء على طبلية المشنقة. إن وجود واحدة من الجنس الناعم في الغرفة السوداء لم يكن مألوفًا لعشماوي فهي المرة الأولى التي يشاهد فيها امرأة تدخل هذه الغرفة دون أن يقوم بشنقها، وفي المرة الأولى التي حضرت فيها تنفيذ الإعدام كنت السبب في تأخير عملية التنفيذ لبضعة ثوان.

أعد عشماوي كل شيء، ولم يبقَ إلا أن يجذب يد المشنقة وتفتح الطبلية ويسقط المحكوم عليه إلى أسفل في نفس اللحظة التي يفصل الحبل الفقرة العنقية ويقطع الحبل الشوكي فتحدث الوفاة ولكن عشماوي لم يقدم على هذه الخطوة رغم صدور الإشارة إليه بذلك من رئيس هيئة تنفيذ الحكم. كان عشماوي يجلس القرفصاء ويمسك بيد الطبلية دون أن يجذبها لماذا؟

كنت أنا السبب المباشر. كان عشماوي ينظـر إلـي ويشير بيده لأبتعد عن المحكوم عليـه المعلـق فـي حبـل المشنقة. فقد كنت من فرط انفعالي قد اقتربت من الطبلـة أو التصقت بها تقريبا، أحبس أنفاسي وأسجل بقلمي كل حركـة أو كلمة تصدر من المذنب قبل أن يلاقي حتفه. أخذ عشماوي يشير إلي لأبتعد قبل أن يقوم بالخطوة الأخيرة، ويجذب اليـد التي تفتح الطبلية التي يقف فوقها المذنب فيسقط فـي بئـر العدم. ويخشى أن يغشى علي فأسقط فوق الجثة.

وابتعدت وفي أقل من ثانية تم كـل شـيء. وكـان الواقفون من أعضاء هيئة تنفيذ الحكم يبحلقون في أنا. وكنت أكتب وصفًا لسقوط المحكوم عليه في بئر المشنقة وقد نـزل طبيب السجن في أسفل ليسجل الوقت الذي ظل قلب المشنوق ينبض فيه قبل أن تفارق الروح الجسد.

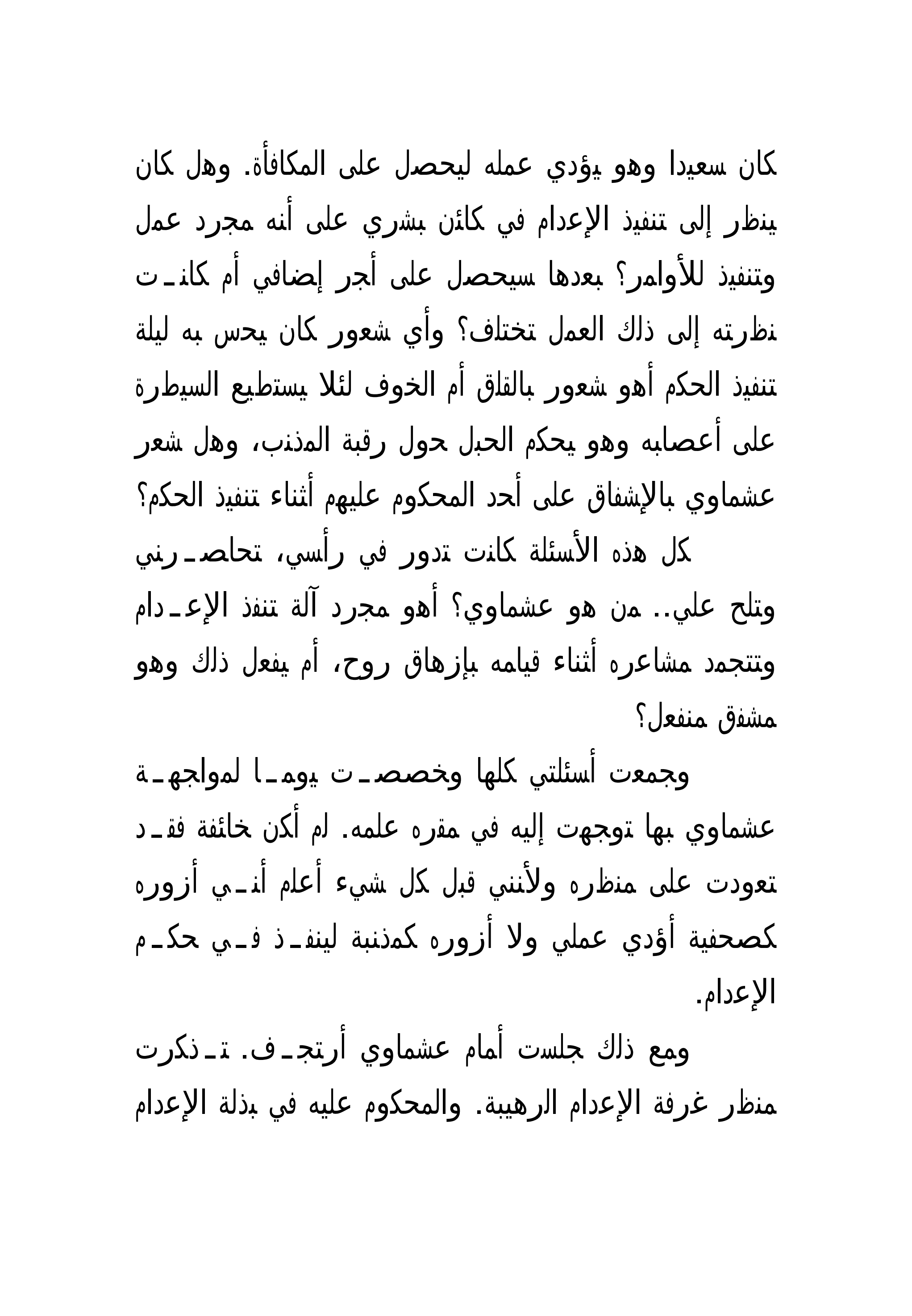
أعود إلى وصف عشماوي. إن عشماوي هو لقـب لكل مساعد شرطة يقوم بتنفيذ الأحكام وشنق المذنبين. كـان عشماوي الذي قابلته أول مرة داخل الغرفـة السـوداء هـو الصول محمد علي زنفل. وأعتمد على ذاكرتي في وصفه فلا

زال منظره أمامي وأنا أكتب مغامرتي يا عزيزي القارئ بعد مرور أكثر من ربع قرن على هذه الأحداث.

كان عشماوي أو الصول زنفل ضخم الجثـة متـين البنيان ولابد أن يكون هذا أول شرط لاختياره حتـى يقـوم بعمله على أكمله وجه. جسد ضـخم لرجـل فـي حـوالي الخمسين من عمره. تعلوه رقبة غليظة فوقها وجه أبرز مـا يميزه شارب كث وعينان واسعتان واللـون قمحـي. كـان عشماوي يرتدي في هذا اليوم بنطلون لونـه أسـود وفانلـة صوف لونها كحلي، أما مساعدا عشماوي فلم يلفتا نظري ولا أتذكر من ملامحها شيئًا محددا.

إن عشماوي موظف حكومي. فهو يعمل فـي وزارة الداخلية ويحصل على مرتبه مقابل عمله في الشرطة، وهناك شروط معينة يشترط توافرها فيـه قبـل اختيـاره لمهمـة عشماوي أهمها طبعا ضخامة الجسم وثبات الأعصاب وقوتها وتجرى عليه اختبارات طبية بعدها يدرب على القيام بمهمته في إزهاق أرواح المذنبين، ويعاونه فيها مساعدان.

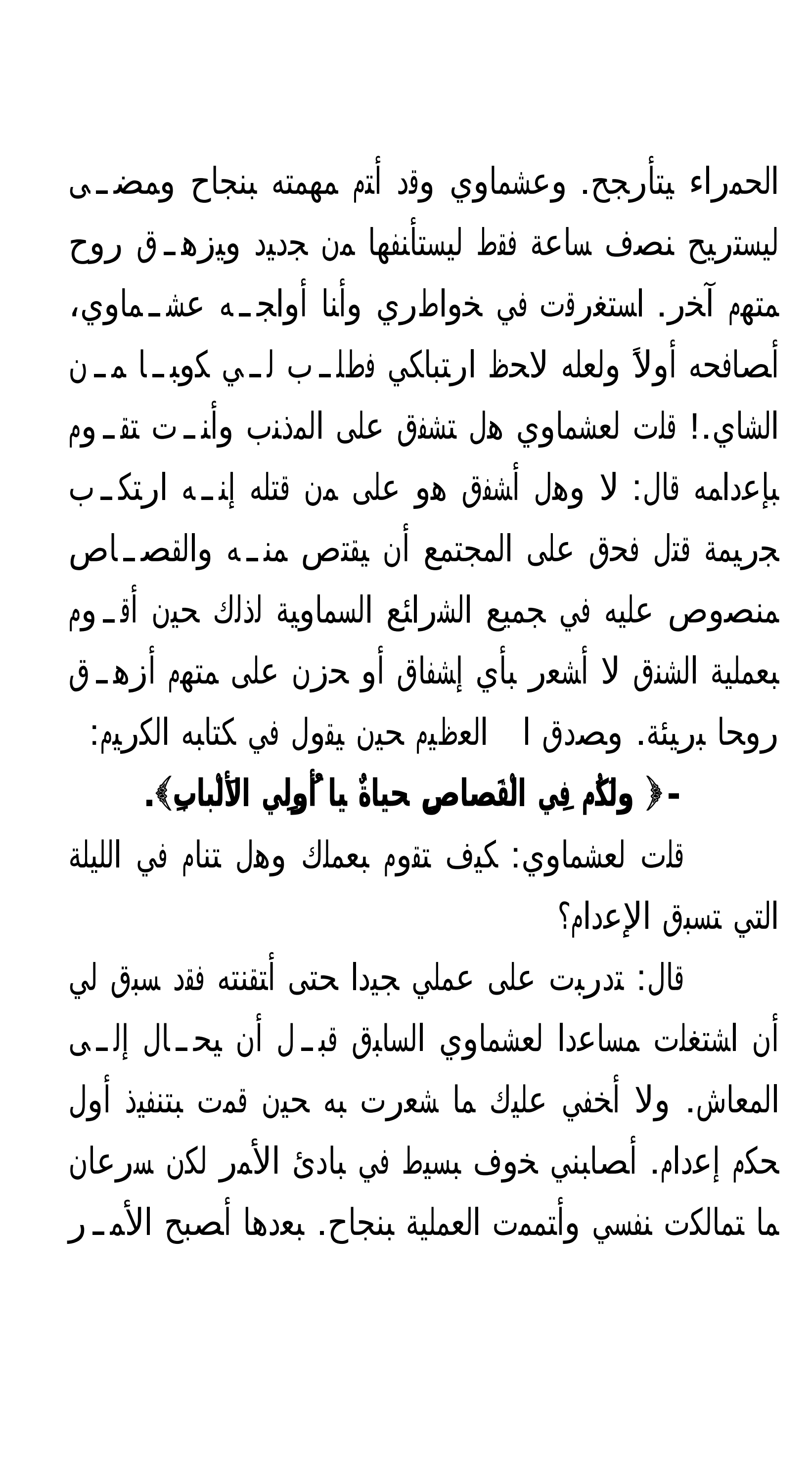
ويحصل عشماوي على مكافأة قدرها ٥ جنيهات عن كل عملية شنق ويحصل مساعده على ٣ جنيهات. ترى هـل


كان سعيدا وهو يؤدي عمله ليحصل على المكافأة. وهل كان ينظر إلى تنفيذ الإعدام في كائن بشري على أنه مجرد عمل وتنفيذ للأوامر؟ بعدها سيحصل على أجر إضافي أم كانـت نظرته إلى ذلك العمل تختلف؟ وأي شعور كان يحس به ليلة تنفيذ الحكم أهو شعور بالقلق أم الخوف لئلا يستطيع السيطرة على أعصابه وهو يحكم الحبل حول رقبة المذنب، وهل شعر عشماوي بالإشفاق على أحد المحكوم عليهم أثناء تنفيذ الحكم؟

كل هذه الأسئلة كانت تدور في رأسي، تحاصـرني وتلح علي.. من هو عشماوي؟ أهو مجرد آلة تنفذ الإعـدام وتتجمد مشاعره أثناء قيامه بإزهاق روح، أم يفعل ذلك وهو مشفق منفعل؟

وجمعت أسئلتي كلها وخصصـت يومـا لمواجهـة عشماوي بها توجهت إليه في مقره علمه. لم أكن خائفة فقـد تعودت على منظره ولأنني قبل كل شيء أعلم أنـي أزوره كصحفية أؤدي عملي ولا أزوره كمذنبة لينفـذ فـي حكـم الإعدام.

ومع ذلك جلست أمام عشماوي أرتجـف. تـذكرت منظر غرفة الإعدام الرهيبة. والمحكوم عليه في بذلة الإعدام



الحمراء يتأرجح. وعشماوي وقد أتم مهمته بنجاح ومضى ليستريح نصف ساعة فقط ليستأنفها من جديد ويزهق روح متهم آخر. استغرقت في خواطري وأنا أواجه عشماوي، أصافحه أولاً ولعله لاحظ ارتباكي فطلب لي كوبا من الشاي.! قلت لعشماوي هل تشفق على المذنب وأنت تقوم بإعدامه قال: لا وهل أشفق هو على من قتله إنه ارتكب جريمة قتل فحق على المجتمع أن يقتص منه والقصاص منصوص عليه في جميع الشرائع السماوية لذلك حين أقوم بعملية الشنق لا أشعر بأي إشفاق أو حزن على متهم أزهق روحا بريئة. وصدق ا العظيم حين يقول في كتابه الكريم:

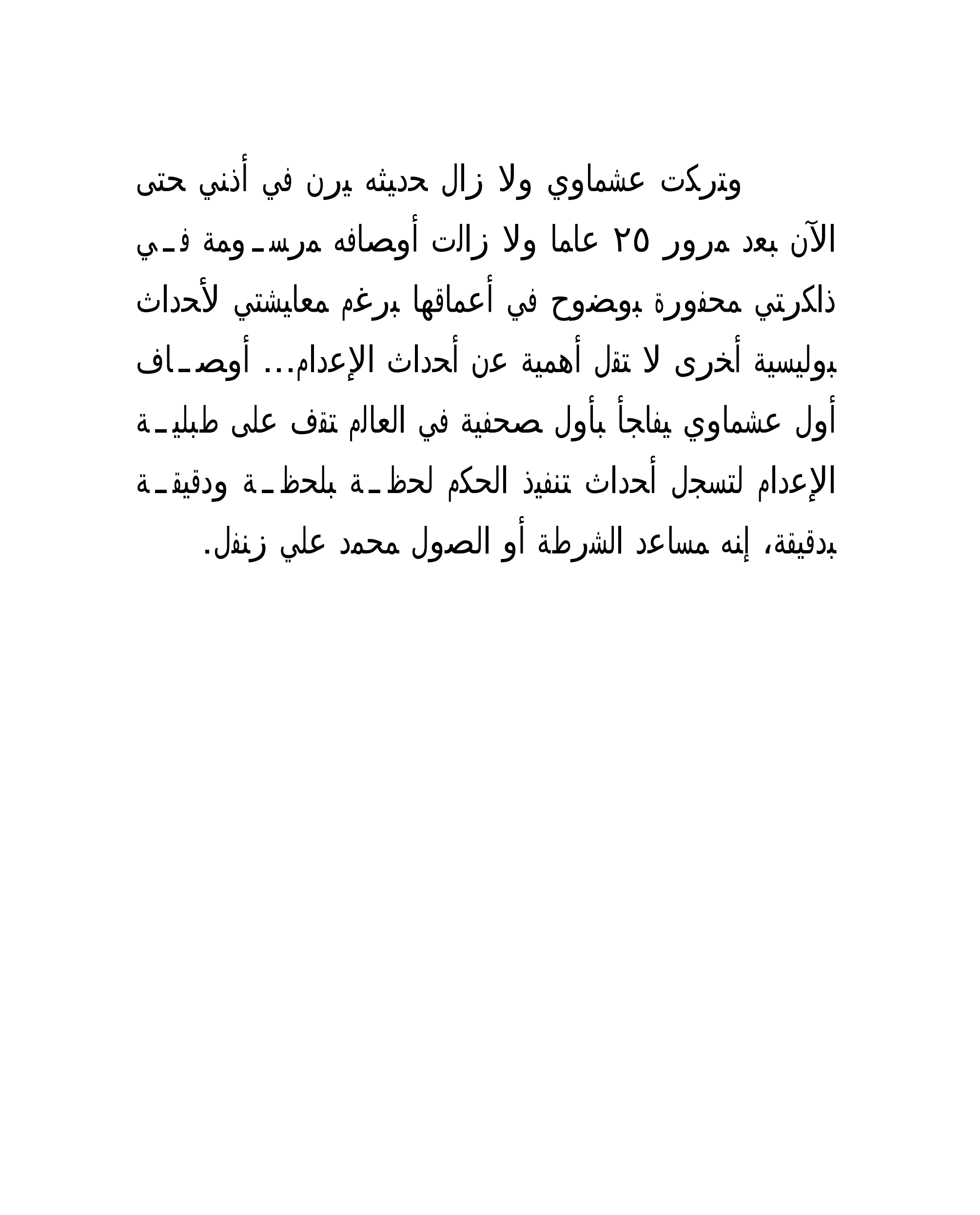
- ﴿ ولكُم فِي الْقَصاص حياةٌ يا أُولِي الألْبابِ﴾.

قلت لعشماوي: كيف تقوم بعملك وهل تنام في الليلة التي تسبق الإعدام؟

قال: تدربت على عملي جيدا حتى أتقنته فقد سبق لي أن اشتغلت مساعدا لعشماوي السابق قبل أن يحال إلى المعاش. ولا أخفي عليك ما شعرت به حين قمت بتنفيذ أول حكم إعدام. أصابني خوف بسيط في بادئ الأمر لكن سرعان ما تمالكت نفسي وأتممت العملية بنجاح. بعدها أصبح الأمر

عاديا بالنسبة لي وبمرور الوقت لم يعد هناك شيء غير عادي،.. واليوم السابق على تنفيذ الحكم أقوم أنا ومساعداي بإعداد كل شيء ابتداء من الحبل الذي سيشنق به المذنب والغرفة السوداء والطاقية السوداء التي تحجب عيني المتهم فلا يرى كيف ينفذ الحكم. وبعدها أذهب إلى بيتي لأتناول عشائي وأنام ففي الصباح ينتظرني عمل شاق.

وسألت عشماوي هل حدث أن رفض أحد المحكوم عليهم وضع الطاقية لإخفاء عينيه؟ قال: حدث ذلك ونفذنا رغبته. سؤال أخير وجهته إلى عشماوي قبل أن أجمع أوراقي وأنصرف هل أنت زوج وأب؟ قال نعم متزوج وعندي أولاد ولي أقارب وجيران وأصدقاء. وأعيش حياتي كأي مواطن عادي أزور وأزار وأحتفل بالأعياد والمناسبات وأنفعل وأفرح وأخاف على أولادي وأتألم إذا مرضوا. باختصار أنا إنسان زوج وأب لكن حين أقوم بعملي الموكول إلي وهو تنفيذ أحكام الإعدام فأنا عشماوي ولا شيء غير ذلك. عشماوي الذي ينفذ العملية على أتم وجه ويتحول إلى يد العدالة التي تبطش بها لينفذ شرع ا والقانون.

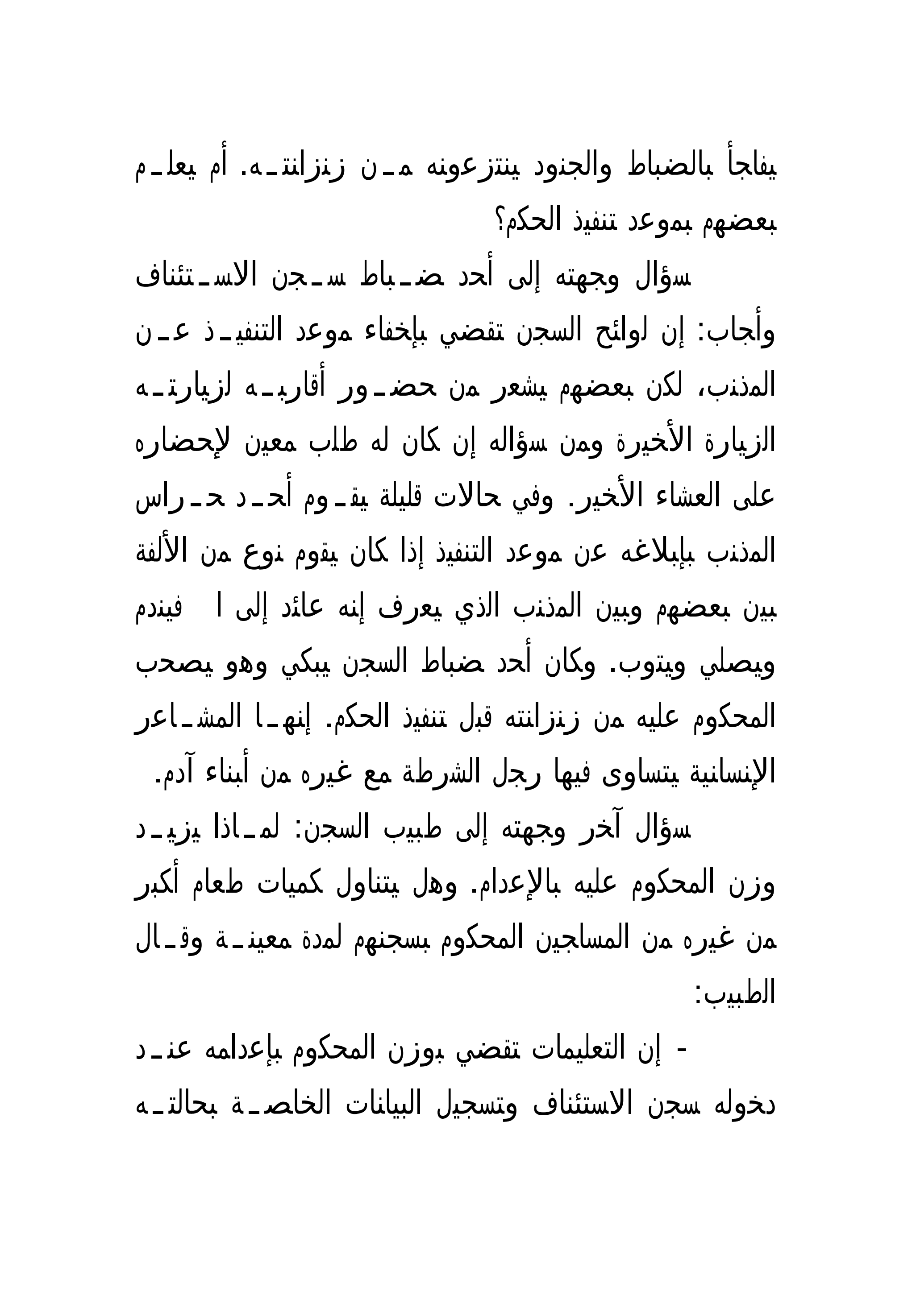


وتركت عشماوي ولا زال حديثه يرن في أذني حتى الآن بعد مرور ٢٥ عاما ولا زالت أوصافه مرسـومة فـي ذاكرتي محفورة بوضوح في أعماقها برغم معايشتي لأحداث بوليسية أخرى لا تقل أهمية عن أحداث الإعدام... أوصـاف أول عشماوي يفاجأ بأول صحفية في العالم تقف على طبليـة الإعدام لتسجل أحداث تنفيذ الحكم لحظـة بلحظـة ودقيقـة بدقيقة، إنه مساعد الشرطة أو الصول محمد علي زنفل.



إن غرفة مكتب مأمور سجن الاستئناف كانت تشهد صباح يوم تنفيذ أحكام الإعدام زوارها في هذه المناسبة وهم يشكلون هيئة تنفيذ الحكم، بالإضافة إلى من يرغب من المواطنين في حضور التنفيذ ممن سبق لهم الحصول على تصريح بذلك.. العلم الأسود مرفوع فوق سارية السجن كعلامة على ما يحدث بداخله وأذكر بالتحديد أسماء أول هيئة تنفيذ حضرت معها كانت تضم الأميرالي عطوة حنفي والقائمقام مصطفى عبد الخالق والدكتور فؤاد محمد محمود والبكباشي محمد سعيد حجازي مفتش مباحث شمال القاهرة ووكيلي النيابة محمود السقا وأحمد فارس.

لقد تم إعداد كل شيء ولم يبق إلا التنفيذ. المذنبون لا يزالون داخل زنزاناتهم. لم يحن الوقت بعد لإحضارهم. ترى هل كل مذنب يظل يجهل يوم تنفيذ الحكم عليه بالإعدام ثم

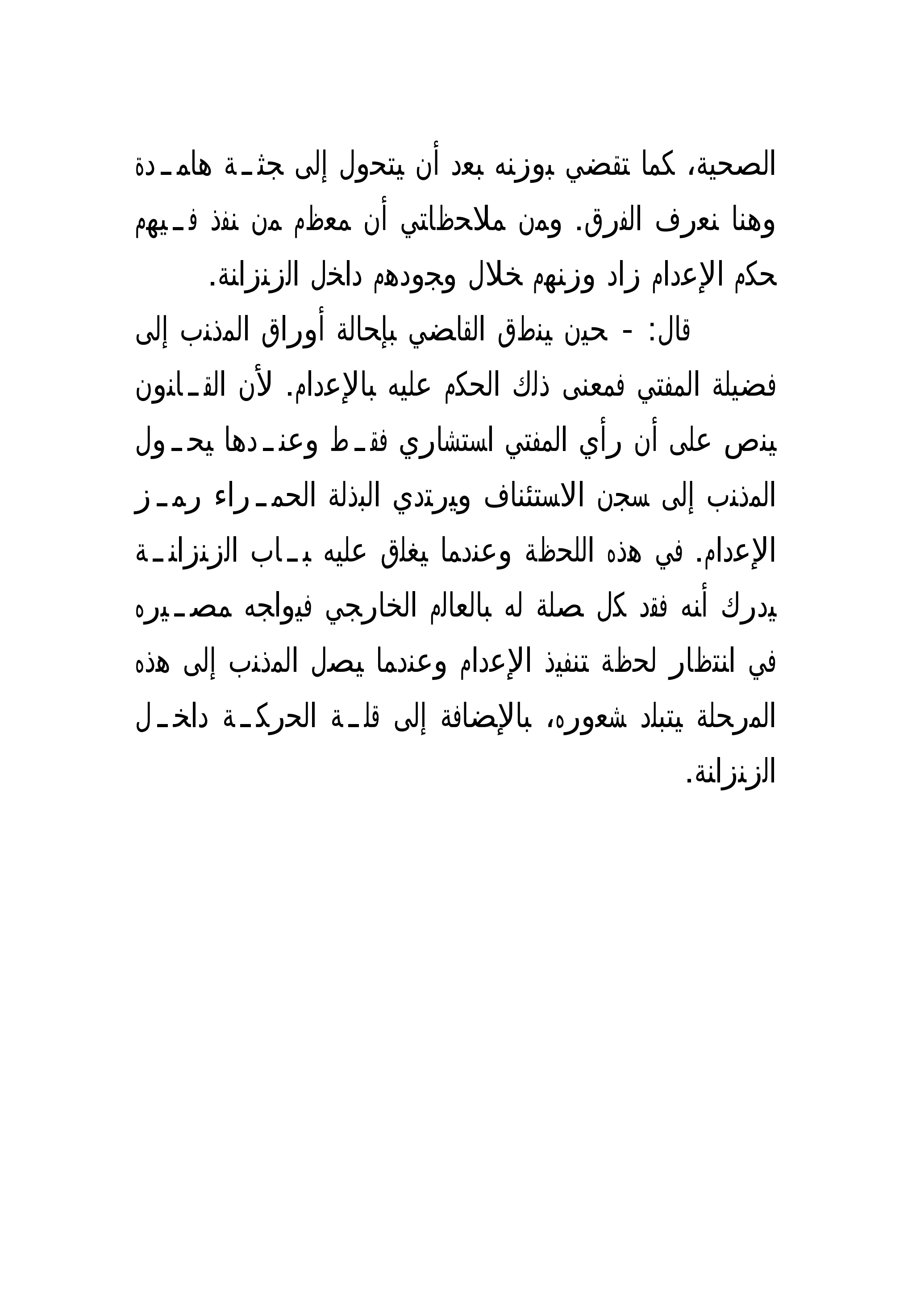


يفاجأ بالضباط والجنود ينتزعونه مـن زنزانتـه. أم يعلـم بعضهم بموعد تنفيذ الحكم؟

سؤال وجهته إلى أحد ضـباط سـجن الاسـتئناف وأجاب: إن لوائح السجن تقضي بإخفاء موعد التنفيـذ عـن المذنب، لكن بعضهم يشعر من حضـور أقاربـه لزيارتـه الزيارة الأخيرة ومن سؤاله إن كان له طلب معين لإحضاره على العشاء الأخير. وفي حالات قليلة يقـوم أحـد حـراس المذنب بإبلاغه عن موعد التنفيذ إذا كان يقوم نوع من الألفة بين بعضهم وبين المذنب الذي يعرف إنه عائد إلى ا فيندم ويصلي ويتوب. وكان أحد ضباط السجن يبكي وهو يصحب المحكوم عليه من زنزانته قبل تنفيذ الحكم. إنهـا المشـاعر الإنسانية يتساوى فيها رجل الشرطة مع غيره من أبناء آدم.

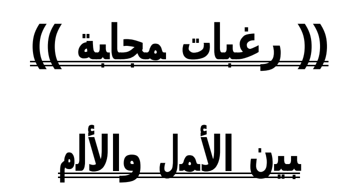
سؤال آخر وجهته إلى طبيب السجن: لمـاذا يزيـد وزن المحكوم عليه بالإعدام. وهل يتناول كميات طعام أكبر من غيره من المساجين المحكوم بسجنهم لمدة معينـة وقـال الطبيب:

- إن التعليمات تقضي بوزن المحكوم بإعدامه عنـد دخوله سجن الاستئناف وتسجيل البيانات الخاصـة بحالتـه



الصحية، كما تقضي بوزنه بعد أن يتحول إلى جثة هامدة وهنا نعرف الفرق. ومن ملاحظاتي أن معظم من نفذ فيهم حكم الإعدام زاد وزنهم خلال وجودهم داخل الزنزانة.

قال: - حين ينطق القاضي بإحالة أوراق المذنب إلى فضيلة المفتي فمعنى ذلك الحكم عليه بالإعدام. لأن القانون ينص على أن رأي المفتي استشاري فقط وعندها يحول المذنب إلى سجن الاستئناف ويرتدي البذلة الحمراء رمز الإعدام. في هذه اللحظة وعندما يغلق عليه باب الزنزانة يدرك أنه فقد كل صلة له بالعالم الخارجي فيواجه مصيره في انتظار لحظة تنفيذ الإعدام وعندما يصل المذنب إلى هذه المرحلة يتبلد شعوره، بالإضافة إلى قلة الحركة داخل الزنزانة.



هل الرغبة الأخيرة لمن يواجه الموت شنقًا مجابة بأمر القانون. سؤال وجهته إلى مأمور سجن الاستئناف قال:- نعم إذا طلب المحكوم عليه بالإعدام طلبا معينًا فإننا نقوم بإجابة طلبه متى كان في حدود المعقول قلت: مثال ماذا؟ قال إذا طلب أن يزوره أحد من أقاربه حتى ولو كان في مكان بعيد فإننا نرسل لإحضاره ونبلغه أنها الزيارة الأخيرة مع التنبيه عليه بإخفاء ذلك عن المذنب.

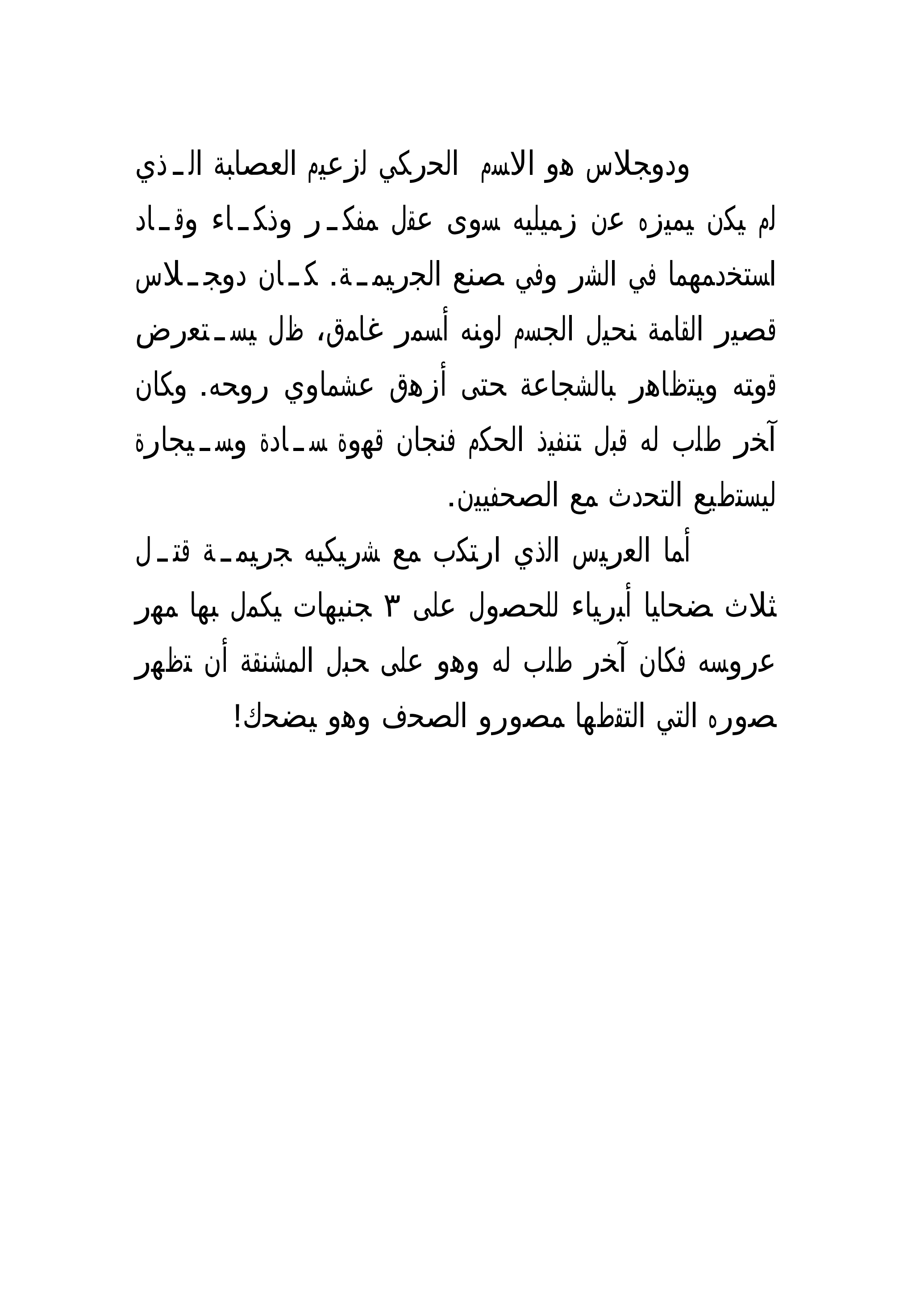
قلت: ومثل ماذا أيضا؟ قال المأمور: بعض المذنبين يطلبون أنواعا فاخرة من الطعام كالتفاح والدجاج المشوي فنحضرها لهم على العشاء وهم لا يعلمون أنها أكلة الوداع.

قلت: وقبل تنفيذ الإعدام مباشرة هل تجاب الرغبات؟ قال المأمور: نعم إن كانت معقول وسريعة بحيث لا تعطل تنفيذ الحكم. قلت مثل ماذا؟ قال: سيجارة أو قهوة وبعضهم لا يطلب شيئًا.

قلت لمأمور سجن الاستئناف: هل حـدث أن علـق مذنب في المشنقة وأوقف تنفيذ الحكم كما نشاهد فـي أفـلام السينما؟

قال: يحدث أحيانًا كما في قضية عزوز ولبيب إذ قدم محامي المتهم لبيب إشكالاً أوقف تنفيذ الحكم بعد أن أوشكت إجراءات التنفيذ على الانتهاء، وكانت هناك بقية فـي عمـر عزوز لبيب وأحداث القضية عشتها أنـا وحضـرت إعـادة محاكمته أمام محكمة النقض التـي حكمـت للمـرة الثانيـة بإعدامه ونفذ فيه الحكم وقمت بمقابلته في زنزانته بصـحبة محاميه المرحوم فاروق صادق.

وأتركك عزيزي القارئ لتلتقط أنفاسك بعـد جولتـك المثيرة معي داخل سجن الاستئناف ومع عشماوي، وأعـود إلى قصة كل محكوم عليه بالإعدام. كيف ولماذا وأين ارتكب الجريمة التي كانت السبب في وصوله إلى المشـنقة وأروي لك بالترتيب التاريخي هذه القصص التي حضـرت إعـدام أصحابها بدءا بعصابة دوجلاس الشهيرة والتي تضم ثلاثـة من القتلة، قتلوا ثلاثة من الضحايا والسبب ثلاثـة جنيهـات لتكملة مهر أحدهم!!



ودوجلاس هو الاسم الحركي لزعيم العصابة الذي لم يكن يميزه عن زميليه سوى عقل مفكر وذكاء وقاد استخدمهما في الشر وفي صنع الجريمة. كان دوجلاس قصير القامة نحيل الجسم لونه أسمر غامق، ظل يستعرض قوته ويتظاهر بالشجاعة حتى أزهق عشماوي روحه. وكان آخر طلب له قبل تنفيذ الحكم فنجان قهوة سادة وسيجارة ليستطيع التحدث مع الصحفيين.

أما العريس الذي ارتكب مع شريكيه جريمة قتل ثلاث ضحايا أبرياء للحصول على ٣ جنيهات يكمل بها مهر عروسه فكان آخر طلب له وهو على حبل المشنقة أن تظهر صوره التي التقطها مصورو الصحف وهو يضحك!

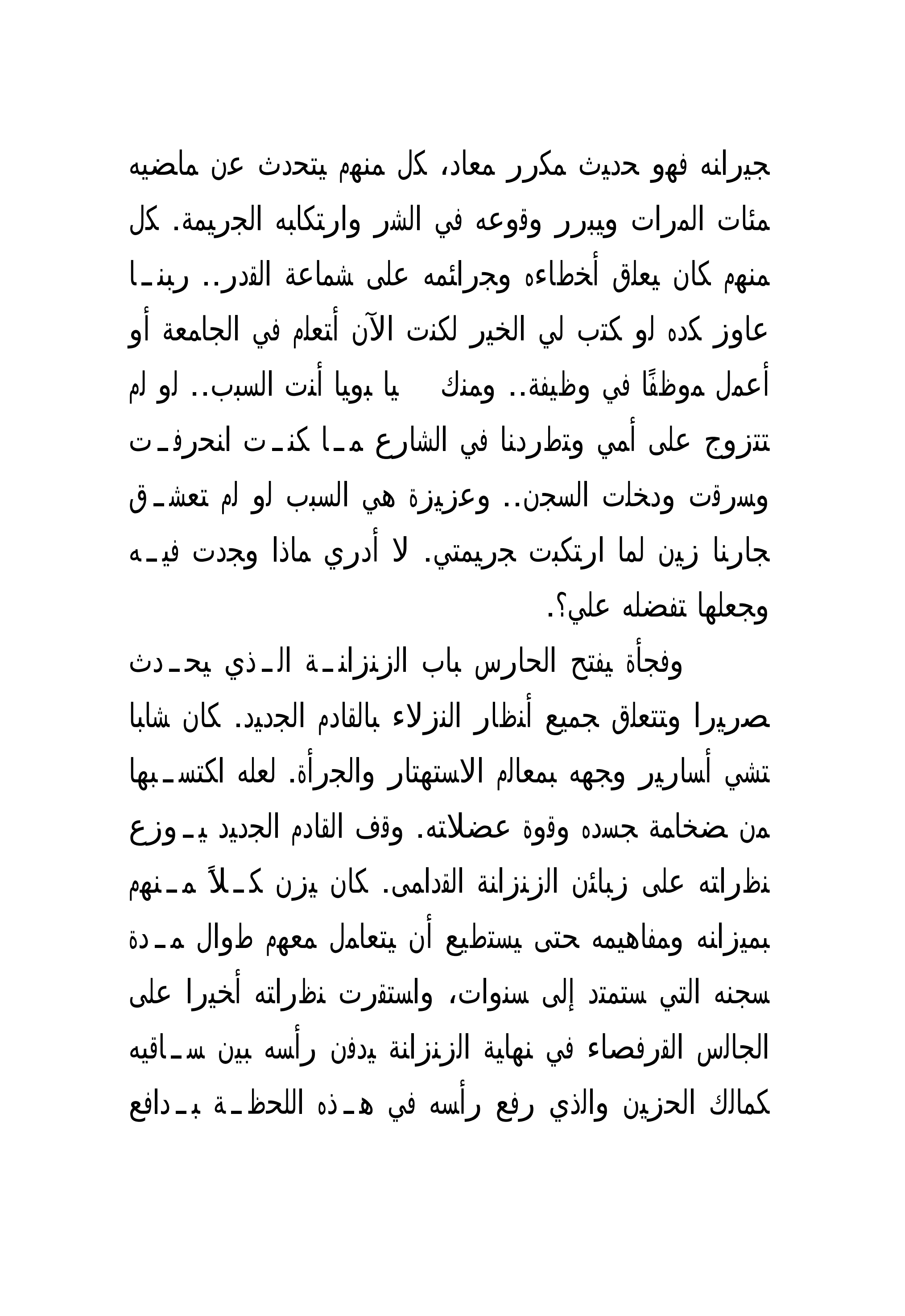


يشكل ثلاثي الجريمة

وكان أول لقاء لدوجلاس وشريكيه في السجن. كـان ذلك منذ ٤ سنوات قبل الإعدام. وكان أيضا آخر لقاء لعصابة الثلاثة في السجن وعلى طبلية الإعدام. لم تفرق بينهم الأيـام طوال الأربع سنوات. بل جمعتهم على مائدة الشر والجريمة.

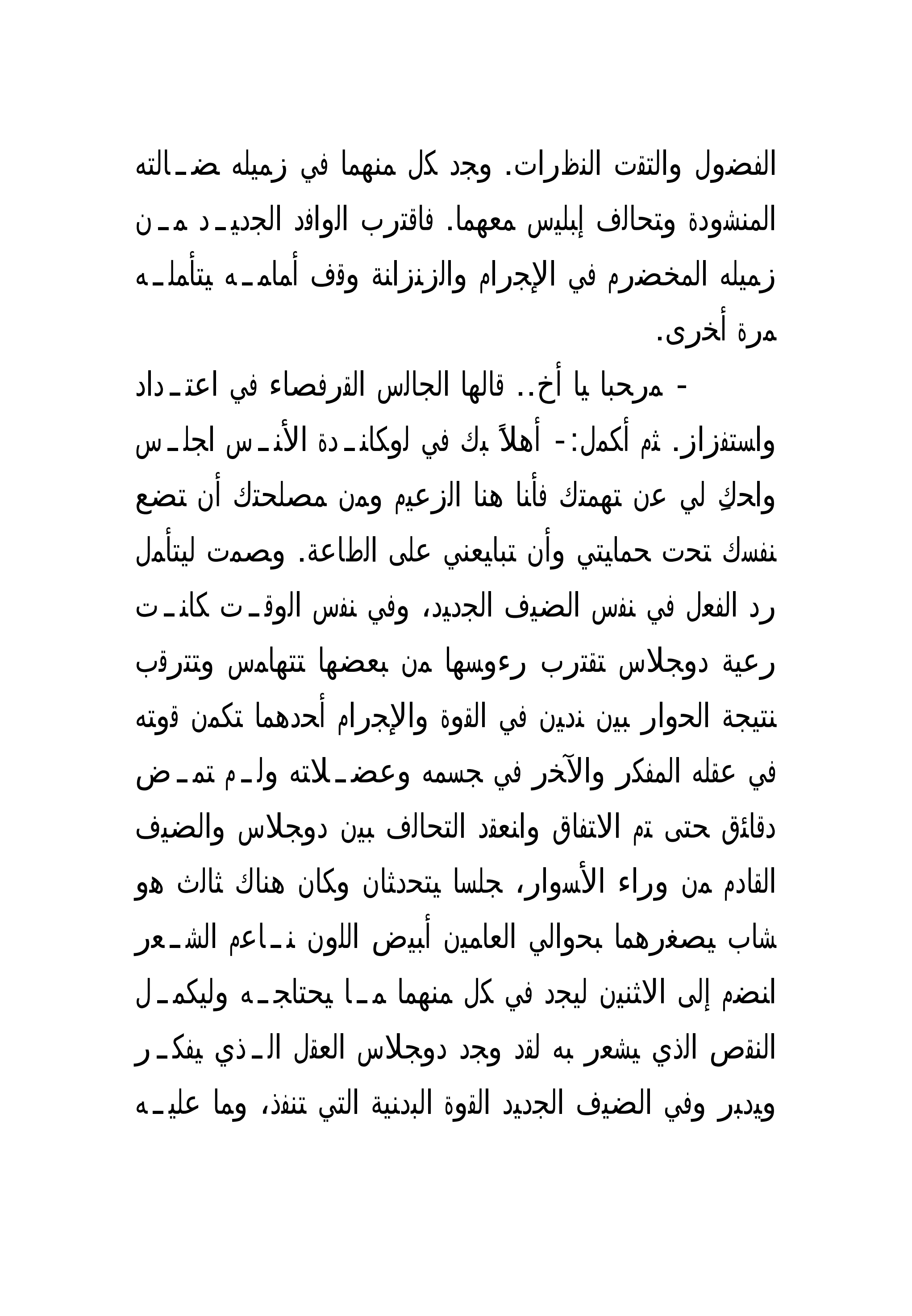
كان دوجلاس أقدم الثلاثة في سجن الاستئناف حيث كان يقضي مدة العقوبة عن جرائم سرقات ارتكبها وجمعـه القدر مع صديقيه اللذين دخلا السجن لتمضية العقوبـة عـن سرقات ارتكباها، واجتمع الثلاثة في الزنزانة، جمعهم الحقـد على المجتمع الشريف، ورغبة عارمة تتأجج في نفس كـل منهم أن ينتقم من هذا المجتمع الذي طردهم خارج أسـواره وحاصرهم في رقعة ضيقة تحـول بيـنهم وبـين الحريـة وارتكاب الجرائم.

كان الوقت ظهرا ودوجلاس يجلس القرفصـاء فـي زنزانته يتكوم على نفسه في بذلة السجن. إنه سئم الحديث مع



جيرانه فهو حديث مكرر معاد، كل منهم يتحدث عن ماضيه مئات المرات ويبرر وقوعه في الشر وارتكابه الجريمة. كل منهم كان يعلق أخطاءه وجرائمه على شماعة القدر.. ربنـا عاوز كده لو كتب لي الخير لكنت الآن أتعلم في الجامعة أو أعمل موظفًا في وظيفة.. ومنك يا بويا أنت السبب.. لو لم تتزوج على أمي وتطردنا في الشارع مـا كنـت انحرفـت وسرقت ودخلت السجن.. وعزيزة هي السبب لو لم تعشـق جارنا زين لما ارتكبت جريمتي. لا أدري ماذا وجدت فيـه وجعلها تفضله علي؟.

وفجأة يفتح الحارس باب الزنزانـة الـذي يحـدث صريرا وتتعلق جميع أنظار النزلاء بالقادم الجديد. كان شابا تشي أسارير وجهه بمعالم الاستهتار والجرأة. لعله اكتسـبها من ضخامة جسده وقوة عضلاته. وقف القادم الجديد يـوزع نظراته على زبائن الزنزانة القدامى. كان يزن كـلاً مـنهم بميزانه ومفاهيمه حتى يستطيع أن يتعامل معهم طوال مـدة سجنه التي ستمتد إلى سنوات، واستقرت نظراته أخيرا على الجالس القرفصاء في نهاية الزنزانة يدفن رأسه بين سـاقيه كمالك الحزين والذي رفع رأسه في هـذه اللحظـة بـدافع



الفضول والتقت النظرات. وجد كل منهما في زميله ضالته المنشودة وتحالف إبليس معهما. فاقترب الوافد الجديد من زميله المخضرم في الإجرام والزنزانة ووقف أمامه يتأمله مرة أخرى.

- مرحبا يا أخ.. قالها الجالس القرفصاء في اعتداد واستفزاز. ثم أكمل:- أهلاً بك في لوكاندة الأنس اجلس واحكِ لي عن تهمتك فأنا هنا الزعيم ومن مصلحتك أن تضع نفسك تحت حمايتي وأن تبايعني على الطاعة. وصمت ليتأمل رد الفعل في نفس الضيف الجديد، وفي نفس الوقت كانت رعية دوجلاس تقترب رءوسها من بعضها تتهامس وتترقب نتيجة الحوار بين ندين في القوة والإجرام أحدهما تكمن قوته في عقله المفكر والآخر في جسمه وعضلاته ولم تمض دقائق حتى تم الاتفاق وانعقد التحالف بين دوجلاس والضيف القادم من وراء الأسوار، جلسا يتحدثان وكان هناك ثالث هو شاب يصغرهما بحوالي العامين أبيض اللون ناعم الشعر انضم إلى الاثنين ليجد في كل منهما ما يحتاجه وليكمل النقص الذي يشعر به لقد وجد دوجلاس العقل الذي يفكر ويدبر وفي الضيف الجديد القوة البدنية التي تنفذ، وما عليه

إلا أن يكملها ويقوم بدور الشريك المساعد وهو ما يصلح له تماما كشريك في العصابة الشهيرة التي أطلق عليها فيما بعد عصابة دوجلاس.

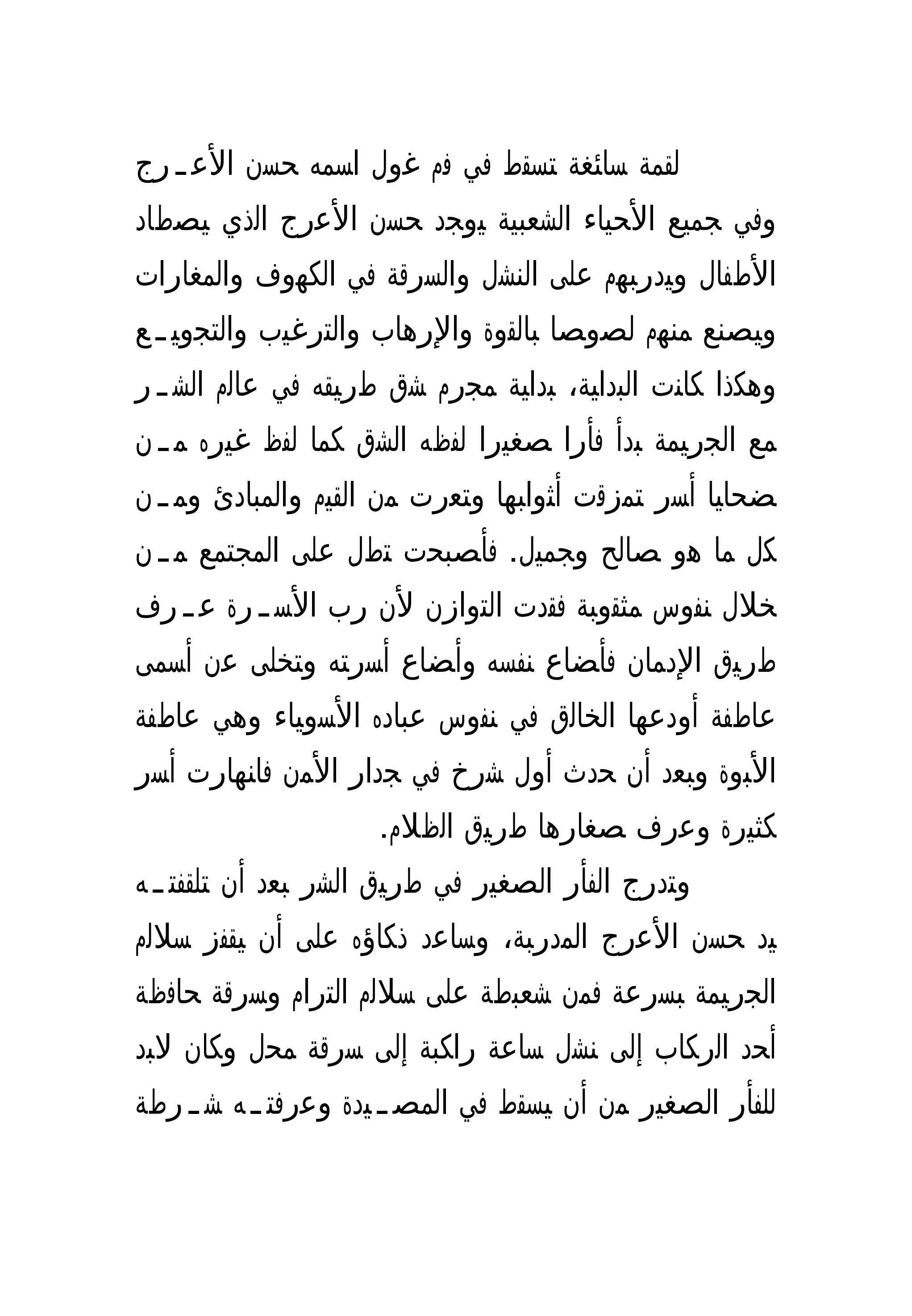
وفي ركن الزنزانة القصي، اتخذ الثلاثـة مركـزهم وجلسوا يتحدثون وبدأ الزعيم دوجلاس يدير دفـة الحـديث وكان ضروريا حتى يتم التآلف أن يحكي كل مـنهم قصـة حياته وكل شيء عن نفسه وعن أسرته منذ أن خـرج إلـى الحياة رغما عنه وتفتحت عيناه على أحداثها. من أبوه ومـن هي أمه والجيران وبنت الجيران والحب الأول. كيف عـاش طفولته وموعده مع الجريمة. ومن كان أستاذه الأول في عالم الإجرام.



((الفأر الصغير))

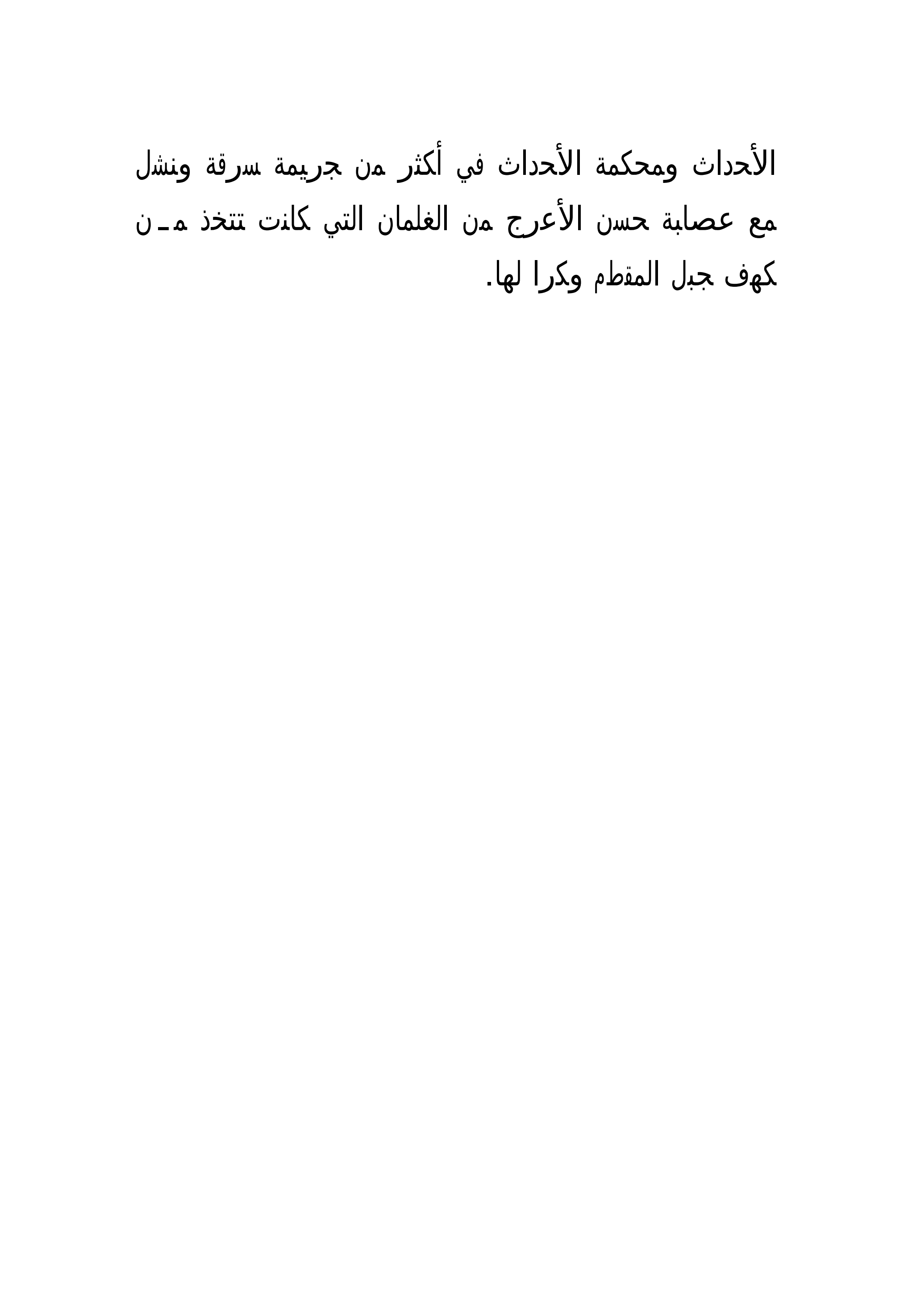
وسرح دوجلاس بأفكاره بعيدا جدا. أخذ يركز علـى نقطة البداية وبدا واضحا من المعاناة التي ارتسـمت علـى وجهه أن أفكاره تخترق جدران سجنه لـتحط هنـاك عبـر الزمان في مكان ما يشهد طفولـة تعسـة لطفـل وضـعته الظروف في هذا الوضع حيث هو الآن مجرم معتاد الإجرام.

غرفة مظلمة رطبة تسرح الفئران نهارا ولـيلاً فـي الجدران المشقوقة تطل برءوسها ويبدو واضحا أن هناك ألفة حدثت بين سكان الغرفة من الآدميين والفئران إذ كان النهار والليل يتساويان عند ساكنيها فالظلام مطبق والرطوبة خانقة ومشاجرات مستمرة لا تنتهي بين أب يدمن الكيف ولا يجـد ثمنه فينهال ضربا على أم الأولاد التي يفرقع لسانها كالسوط وهي تكيل له السباب ويتبادلان الضرب أمام الأطفال وأخيرا يترك البيت ويهرب أياما تطول وتقصر وهكذا تسير الحيـاة وكما تتسرب الفئران من جحورها باحثة عـن لقمـة خبـز تسرب الأولاد إلى الطريق عرايا.



لقمة سائغة تسقط في فم غول اسمه حسن الأعـرج وفي جميع الأحياء الشعبية يوجد حسن الأعرج الذي يصطاد الأطفال ويدربهم على النشل والسرقة في الكهوف والمغارات ويصنع منهم لصوصا بالقوة والإرهاب والترغيب والتجويـع وهكذا كانت البداية، بداية مجرم شق طريقه في عالم الشـر مع الجريمة بدأ فأرا صغيرا لفظه الشق كما لفظ غيره مـن ضحايا أسر تمزقت أثوابها وتعرت من القيم والمبادئ ومـن كل ما هو صالح وجميل. فأصبحت تطل على المجتمع مـن خلال نفوس مثقوبة فقدت التوازن لأن رب الأسـرة عـرف طريق الإدمان فأضاع نفسه وأضاع أسرته وتخلى عن أسمى عاطفة أودعها الخالق في نفوس عباده الأسوياء وهي عاطفة الأبوة وبعد أن حدث أول شرخ في جدار الأمن فانهارت أسر كثيرة وعرف صغارها طريق الظلام.

وتدرج الفأر الصغير في طريق الشر بعد أن تلقفتـه يد حسن الأعرج المدربة، وساعد ذكاؤه على أن يقفز سلالم الجريمة بسرعة فمن شعبطة على سلالم الترام وسرقة حافظة أحد الركاب إلى نشل ساعة راكبة إلى سرقة محل وكان لابد للفأر الصغير من أن يسقط في المصـيدة وعرفتـه شـرطة



الأحداث ومحكمة الأحداث في أكثر من جريمة سرقة ونشل مع عصابة حسن الأعرج من الغلمان التي كانت تتخذ مـن كهف جبل المقطم وكرا لها.



((نهاية المطاف))

وتمضي الأيام مسرعة يجر بعضها بعضا. والفـأر الصغير لم يعد صغيرا وخبرته في الجريمـة تكبـر معـه وعرفته أوكار الظلام كخاص ذي خبرة فـي ارتكـاب أكبـر جرائم السطو والسرقة وعرفته محـاكم الجـنح والجنايـات ونهاية المطاف في السجن يقضي مددا متفاوتة. حتى انتهـت به إلى حبل المشنقة.

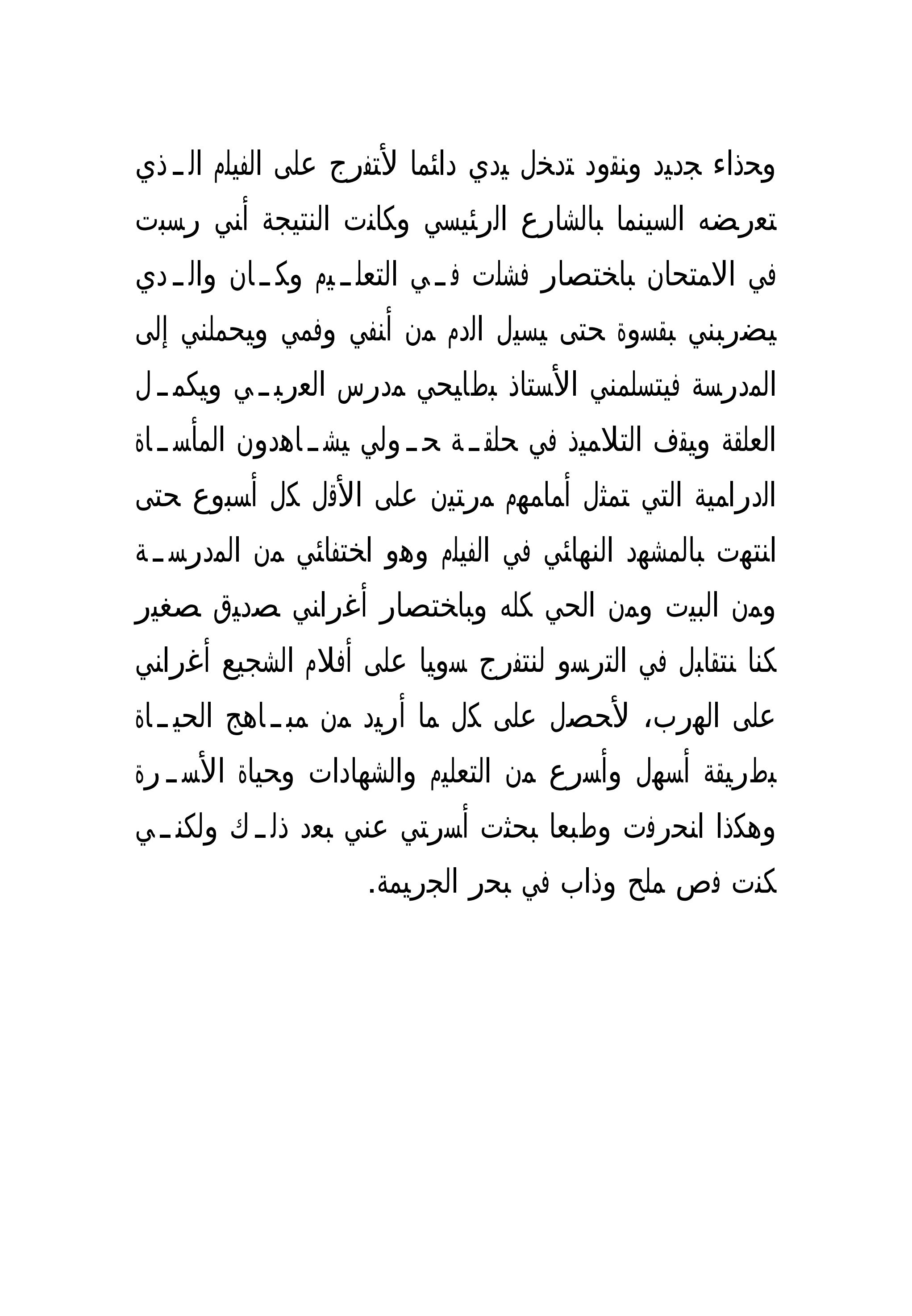
وروى الوافد الجديد قصته في عالم الجريمة، لكـن الدافع له على الانحراف لم يكن إدمان رب الأسـرة علـى الكيف الأزرق بل إعجاب جارته عزيزة به وهو على بـاب الشباب. عزيزة البيضاء المترجرجة في ملاءتها اللاف تمضغ اللبانة وتحكم لف المـلاءة لتكشـف عـن مفـاتن جسـدها المتخصص في إغراء شبان حارة اللؤلؤة.

كان يلتقي بعزيزة خلسة بعد أن يسدل الظلام أستاره على الحارة في الرطوبة والعفن وكان عزيزة أنثى ناضـجة لها خبرة في مسائل الحب تجيد فن الإغراء تزوجـت مـن

ثلاثة ومات الأول إذ كان في سن جـدها وطلقهـا الثـاني والثالث فأخذت ترمي شباكها حول كل شاب من سكان حارة اللؤلؤة. ما عليها إلا أن تتمخطر داخل ملاءتها اللاف المحكمة حول وسطها وأردافها كأنما تعلن عن بضاعتها فـي عـالم الأنوثة وتطرقع اللبانة وهي تنظر وراءها من آن لآخر لترى من يتبعها من بعد حتى تصل إلى مكان آمـن ويلحـق بهـا الصيد الجديد فتنسج شباكها حوله كالعنكبوت وتلتف الخيوط حول الذبابة. وكان للحب ثمنه الكبير والحب يخضع لقـانون العرض والطلب، وهكذا لجأ الشاب الغض إلى السرقة تحت ضغط وإلحاح حبيبته عزيزة، ليثبت لها أنه قادر علـى كـل شيء، امتدت يده لتخطف ما يراه أمامه من بضـائع وسـلع يغفل عنها أصحاب المتاجر ثم تطور أسلوبه في السرقة بعد ذلك فأصبح لصا محترفًا يسرق بعد تدبير وتفكيـر ضـمن عصابات السطو ويخطط لجريمته قبل ارتكابها، وزاد ثمن ما يهديه لعزيزة ثمنًا للحب ولحظات السعادة إلـى أن ضـبطها مرة مع جاره زين ذي العين الزجاجية فانتقم لنفسـه بعلقـة أشبع فيها غريمه ضربا ولكما وانطلق يعربـد فـي عـالم الجريمة لينتقم من كل أنثى يرى فيها حبيبته الخائنة فيسـرق

حقيبتها أو سلسلتها الذهبية، ويستعمل العنف مع من تقاومـه من الضحايا، حتى انتهى به المطاف داخل سجن الاسـتئناف ليلتقي بشريكيه دوجلاس وحمامة وهكذا حتى وصل إلى حبل المشنقة.

وتسلم حمامة دفة الحديث من مجنون عزيـزة قـال وهو يطرد ذبابة وقفت فوق أرنبة أنفه فطارت ثـم عـادت تعاكسه من جديد وتقف على وجنته اليسرى متحديـة. قـال حمامة ما زلت أذكر أيام طفولتي كنا نقيم في منـزل قـديم يضم ٥ طوابق بحي شبرا كان والدي عاملاً بسيطًا يعيش في غرفة إيجارها الشهري جنيه واحد كنا نعيش علـى الفـول المدمس في أغلب أيام الشهر والعسل الأسود والملوحة التـي كانت تشتريها أختي بملاليم من بائع الفسيخ في نهاية الشارع باختصار كانت حياتنا صعبة فمن مرتب والدي العامل فـي أحد مصانع النسيج كنا نعيش أنا وأخـوتي السـبعة وأمـي ووالدي بمرتب لا يزيد على ٨ جنيهات وكنـا نـتعلم فـي المدرسة الابتدائية القريبة من منزلنا. وكنت أسـرح أثنـاء شرح المدرس. أحلم بعالم جميل يقدم لي اللحم الذي لم نكـن نعرف طعمه إلا في المواسم والأعياد. أحلم ببذلـة جديـدة



وحذاء جديد ونقود تدخل يدي دائما لأتفرج على الفيلم الـذي تعرضه السينما بالشارع الرئيسي وكانت النتيجة أني رسبت في الامتحان باختصار فشلت فـي التعلـيم وكـان والـدي يضربني بقسوة حتى يسيل الدم من أنفي وفمي ويحملني إلى المدرسة فيتسلمني الأستاذ بطايحي مدرس العربـي ويكمـل العلقة ويقف التلاميذ في حلقـة حـولي يشـاهدون المأسـاة الدرامية التي تمثل أمامهم مرتين على الأقل كل أسبوع حتى انتهت بالمشهد النهائي في الفيلم وهو اختفائي من المدرسـة ومن البيت ومن الحي كله وباختصار أغراني صديق صغير كنا نتقابل في الترسو لنتفرج سويا على أفلام الشجيع أغراني على الهرب، لأحصل على كل ما أريد من مبـاهج الحيـاة بطريقة أسهل وأسرع من التعليم والشهادات وحياة الأسـرة وهكذا انحرفت وطبعا بحثت أسرتي عني بعد ذلـك ولكنـي كنت فص ملح وذاب في بحر الجريمة.



((كلهم دوجلاس))

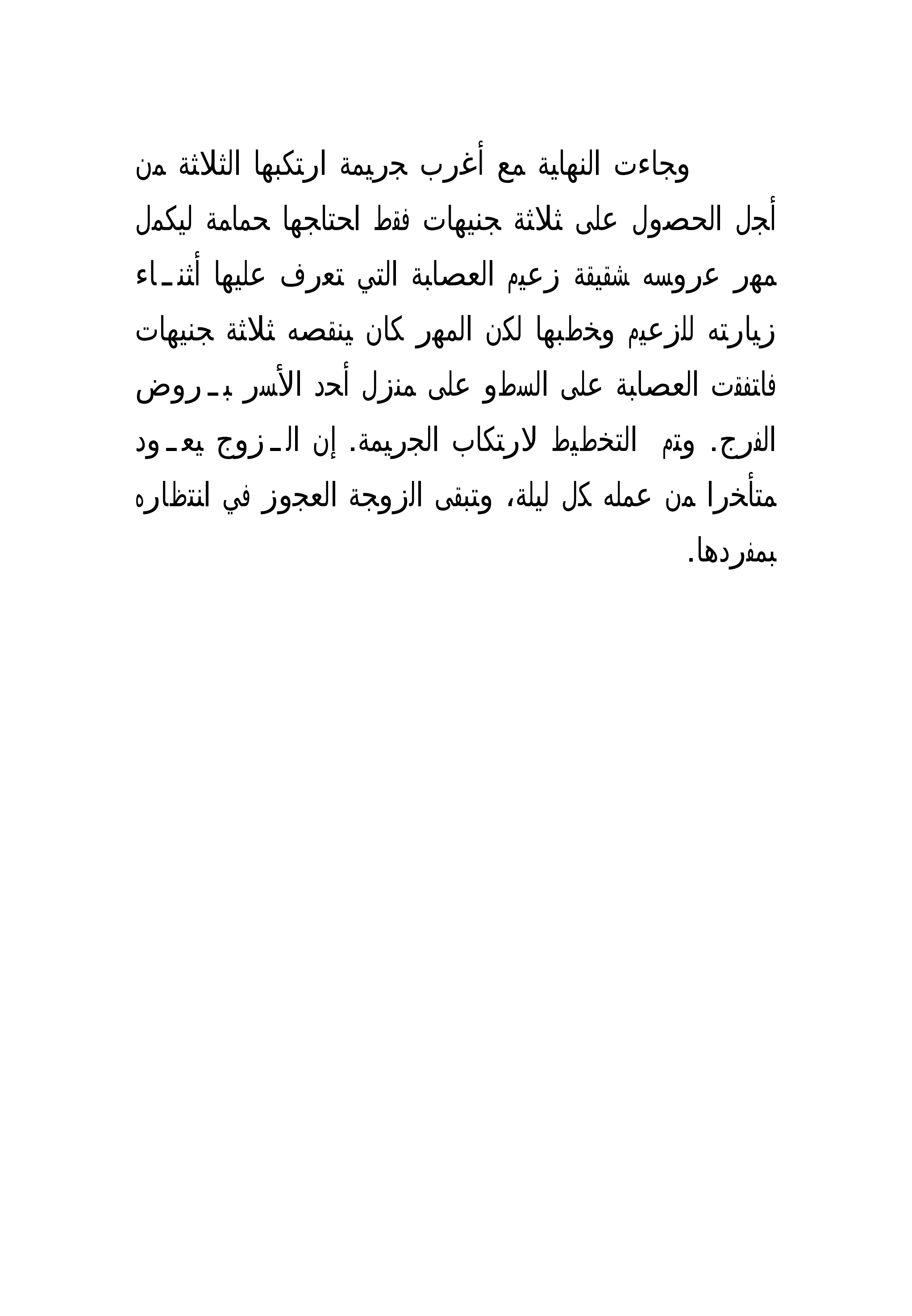
أطبق السكون فجأة على جـو الزنزانـة وانطلقـت سحابات الدخان تتعانق وتلتف فوق رءوس المساجين الـذين كانوا يدخنون السجائر بشراهة وهم يستمعون إلى ماضي كل منهم فكل واحد منهم دوجلاس وكلهم ساروا نفس الخطـوات على درب الظلام في عالم الجريمة ذي الطرقات المتعرجـة والدهاليز الخفية المتشابكة.

وتصاعدت الآهات مع هزات الرءوس لعلها لحظـة ندم سرعان ما اختفت. وعاد الحنق والشـر يعلـو وجـوه معتادي الإجرام ممن ضمتهم زنزانة بداخل سجن الاستئناف. الحقد على المجتمع النظيف والناس الشرفاء الذين يعيشـون حياتهم في النور ولا يخافون من رجل الشرطة.

أيام السجن بطيئة رهيبة، تمضي في ملل متكررة لا تحمل جديدا لنزلاء زنزانة دوجلاس، لكن مرور الأيام ساعد على تقارب الأصدقاء الثلاثة ومن داخل الزنزانة تـم رسـم طريق الشر والإجرام الذي انتهى بارتكاب جرائم القتل وأدى

بعصابة دوجلاس إلى المشنقة لا يفصل كل واحد منهم عـن زميليه سوى نصف ساعة هي استراحة لعشماوي.

وذات صباح سجل تاريخـه انتهـاء مـدة العقوبـة المحكوم بها على دوجلاس، فودع زميليه على أمل اللقاء بعد شهور قليلة تنتهي بعدها مدة العقوبة على كل منهما، ولفظـه باب السجن فانفلت خارجا. يتلفت حوله يتنفس الهواء بعمـق فالهواء خارج الزنزانة نظيف له طعم يختلف عـن الهـواء المسجون بالداخل. عيناه ترمشان قبل أن يتعودا على الضوء الخارجي. لحظة قليلة ويأخذ اتجاهه في الطريق المضاد، إنه الآن حر وسينتقم من المجتمع ولن يتوب عن السرقة ومضى في طريقه. لم تردعه سنوات السجن عن الشر بل زادته حنقًا واكتسب فيها خبرة من تجارب زملائه وأفكارهم ومـن أول يوم خرج فيه مارس مهنته وعاد إلى ارتكاب السرقات مـن المنازل ليلاً ومن المتاجر حتى مضت الشهور الباقية علـى خروج زميليه من السجن واجتمع شمل عصابة دوجلاس من جديد لكن هذه المرة كانوا ينعمون بالحريـة التـي أسـاءوا استعمالها وكونوا أشهر عصابة للسرقة والسطو والقتل أخذت تعيث فسادا في المجتمع.



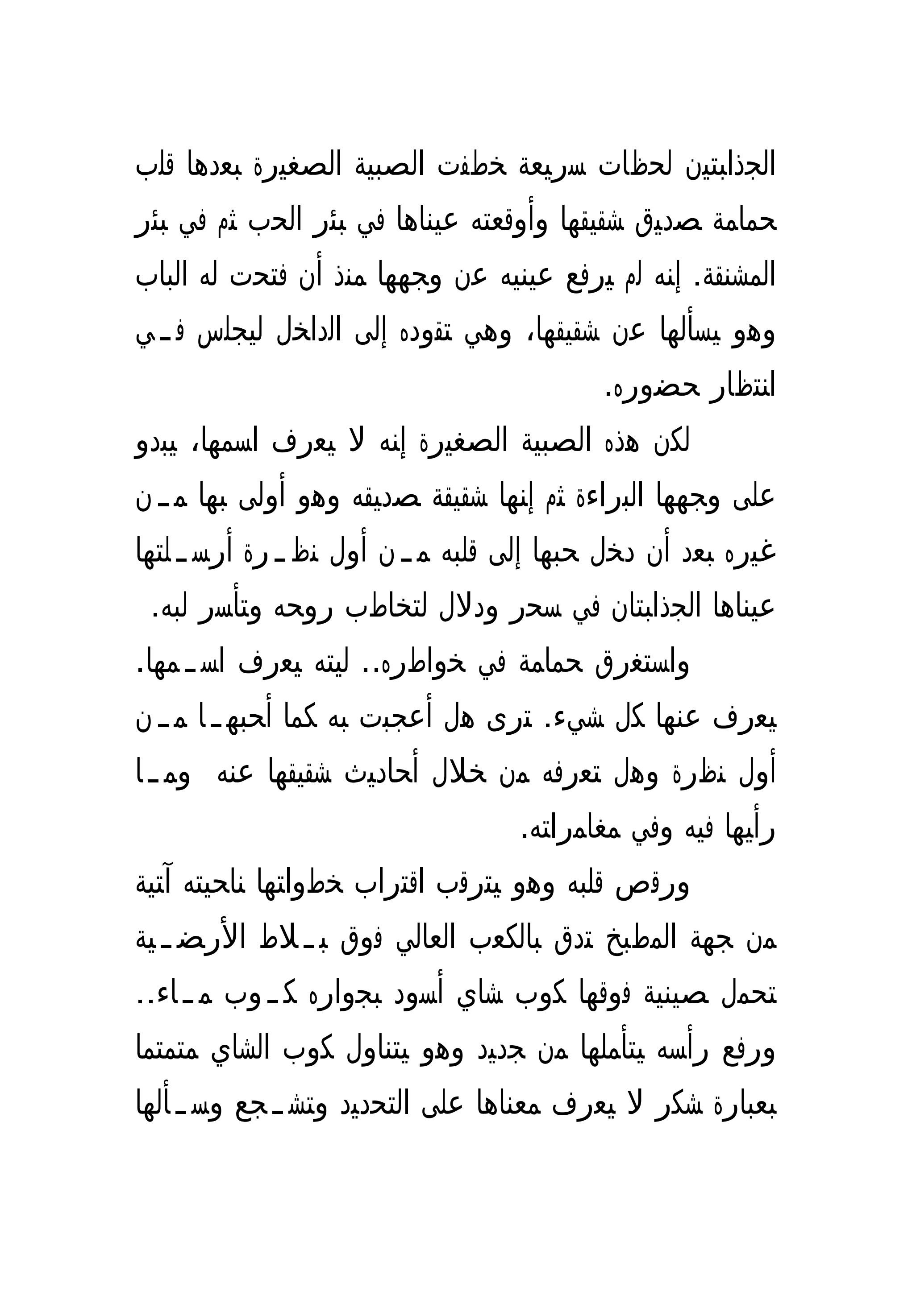
وجاءت النهاية مع أغرب جريمة ارتكبها الثلاثة من أجل الحصول على ثلاثة جنيهات فقط احتاجها حمامة ليكمل مهر عروسه شقيقة زعيم العصابة التي تعرف عليها أثنـاء زيارته للزعيم وخطبها لكن المهر كان ينقصه ثلاثة جنيهات فاتفقت العصابة على السطو على منزل أحد الأسر بـروض الفرج. وتم التخطيط لارتكاب الجريمة. إن الـزوج يعـود متأخرا من عمله كل ليلة، وتبقى الزوجة العجوز في انتظاره بمفردها.



إن قصة حب حمامة لشقيقة صديقه بدأت مـن أول نظرة، حين ذهب لزيارة الصديق في منزله بعد خروجه من السجن. كان يوما من أيام الربيع، والنسمات الدافئة العطـرة تبعث الدفء في القلوب الغضة فتثير فيها أحاسـيس حلـوة غامضة. كانت مشاعره في هذا اليوم تهفو إلى شيء غامض لا يعرف كنهه لكنه كان يبعث في نفسـه شـعورا بالرضـا وبسعادة غامرة.

وانطلق يقفز درجات السلم. يخرج من فمه صـفير لحن الحب جميل للمطربة ليلى مراد، حتى بلغ به المطـاف نهاية السلم حيث تقع شقة صديقه فوق سطح البيـت القـديم، ومع طرقات يده المتعجلة سمع حفيف ثوب نسـائي تقتـرب صاحبته لتفتح الباب وهي تسأل من الطارق.

وأطلت من فتحة الباب صبية في حـوالي السـابعة عشرة من عمرها سألته عيناها قبل أن ينطلق لسـانها مـن أنت؟ وتسمرت نظراته فوق الوجـه القمحـي ذي العينـين



الجذابتين لحظات سريعة خطفت الصبية الصغيرة بعدها قلب حمامة صديق شقيقها وأوقعته عيناها في بئر الحب ثم في بئر المشنقة. إنه لم يرفع عينيه عن وجهها منذ أن فتحت له الباب وهو يسألها عن شقيقها، وهي تقوده إلى الداخل ليجلس فـي انتظار حضوره.

لكن هذه الصبية الصغيرة إنه لا يعرف اسمها، يبدو على وجهها البراءة ثم إنها شقيقة صديقه وهو أولى بها مـن غيره بعد أن دخل حبها إلى قلبه مـن أول نظـرة أرسـلتها عيناها الجذابتان في سحر ودلال لتخاطب روحه وتأسر لبه.

واستغرق حمامة في خواطره.. ليته يعرف اسـمها. يعرف عنها كل شيء. ترى هل أعجبت به كما أحبهـا مـن أول نظرة وهل تعرفه من خلال أحاديث شقيقها عنه ومـا رأيها فيه وفي مغامراته.

ورقص قلبه وهو يترقب اقتراب خطواتها ناحيته آتية من جهة المطبخ تدق بالكعب العالي فوق بـلاط الأرضـية تحمل صينية فوقها كوب شاي أسود بجواره كـوب مـاء.. ورفع رأسه يتأملها من جديد وهو يتناول كوب الشاي متمتما بعبارة شكر لا يعرف معناها على التحديد وتشـجع وسـألها

عن اسمها.. وبابتسامة أودعت فيها كل سحر الأنثى أطلـت من عينيها أولاً ثم إلى باقي الوجه قالت فـي دلال: اسـمي نجوى وأخويا في الخارج ولن يتأخر..

وانفلتت هاربة من الغرفة وقلبه وراءها واستغرق في سعادة يرسم مستقبله مع هذه الحورية. إنه سيغرقها بالـذهب والحرير وكل مباهج الحياة سيزيد من نشاطه الإجرامي مـع العصابة ليحصل على كل ما تريده الصبية الفاتنة وسـيحقق لها أحلامها الوردية ويعيش معها في الجنـة. جنـة الحـب والمطالب المجابة.

وقطع عليه تفكيره دخول صديقه ولم يضيع وقتـه، ودون الدخول في مقدمات قال له:- عاوز أتجوز أختك. لقد أعجبت بها وأتقدم لخطبتها حالاً، ومستعد لطلباتك ولا تنسى أن زواجي منها سيزيد من ارتباطنا ويكثف من نشاطنا.

واستمهله الصديق حتى يعرف رأي شقيقته، لكنـه أصر أن يتم ذلك في الحال فتركه لدقائق عاد بعـدها بوجـه متهلل:

- مبروك يا عم وربنا يتمم بخير. الأسـرة وافقـت عليك و العروسة ليس عندها مانع.

ولم يصدق حمامة نفسه. طارت به الفرحة إلى آفاق بعيدة لونها وردي. حملته أجنحة الحب الذهبية إلى بعيد بعيد جدا مع الصبية وعينيها الفتاكتين. إلى الجنة الموعودة حيث السعادة.

وقام من فرحته يقبل صديقه ويعانقه وبعـدها بأيـام تمت الخطبة وتم الاتفاق على المهر والأثاث وما يتبع ذلـك من ترتيبات ضرورية لإعداد بيت لعروسين جديدين.

لكن القدر كان يرتب لغير ذلك تماما. ومـا أعجـب تصرفاته. إن ما يبنى على الشر هو شر والطريق المعوج لا تستقيم نهايته كان حمامة العاشـق يجمـع مهـر عروسـه من السرقة. من عرق وكد الكادحين. وكان الظلام مسـرحا له ولشركائه يرتكبون فوقه مختلف أنواع السـرقات وكلهـا جرائم سطو في قلب الليل يتسللون إلى المنازل تحت سـتار الظلام كما يتسلل الفأر مـن جحـره، فيروعـون النـائمين ويقتلون ويسرقون النقود والمجوهرات والأدوات الكهربائية. وكل ما خف حمله وثقل ثمنه. وتوزع الغنائم بالثلـث كـان الأصدقاء الثلاثة يبددون ما حصلوا عليـه مـن جـرائمهم في علب الليل وعلـى الراقصـات يشـربون ويعربـدون

ويحتفلون بنجاح ما خططوا له من سرقة، ويختفون بعـدها عن أعين الشرطة ثم يظهرون على مسرح الجريمة من جديد في حادث آخر وفي حي آخر.

وتمضي الأيام ونتيجة للعربدة وليـالي اللهـو فـإن حمامة يعجز عن تكملـة مهـر العـروس التـي تسـتعجله ولا تدري أنه يعيش حياة الليـل والعربـدة وينفـق ببـذخ واستهتار على الراقصات والقمار وشرب الخمر مع شـقيقها وشريكهما الثالث.

وبقى أن يكمل المهر حتى لا تغضب نجوى حبيبـة القلب. ثلاثة جنيهات فقط ويتم كل شيء. يسلم المهر بعـدها إلى والدها ويقام حفل الزفاف وتصبح العروس الفاتنة زوجته وأم أولاده.

ولكي يكمل القدر نسج باقي خيـوط القصـة فـإن الجنيهات الثلاث عاندت ورفضت أن تدخل يد العريس. كان كل مبلغ يحصل عليه ينفقه في وجه أو آخر وبقـى المهـر ناقصا الجنيهات الثلاث!

وكان لابد أن يجتمع مجلس إدارة العصـابة ليضـع حلاً لمشكلة المهر الناقص. وكان الحـل شـيطانيا أيضـا.

رسموا للجريمة ودبروا لها. سيقومون بالسطو على منـزل جواهرجي في روض الفرج يعرفونه سيهاجمون المنزل في جوف الليل حيث يكون أصـحابه مسـتغرقين فـي النـوم ويسرقون المصوغات والنقود، وتم تحديد سـاعة الصـفر، وصعد الثلاثة إلى شقة الجواهرجي في الدور العلـوي بعـد منتصف ليلة ما. كان المنزل غارقًا في الظـلام والسـكون. تسللوا إلى الداخل يقودهم شـيطان الشـر ويفـتح أمـامهم الطريق. كانت الزوجة مستيقظة في انتظار الـزوج الـذي لم يعد بعد من الخارج ولعل إحساسا مزعجا كان يراودها في هذه اللحظة بأن شيئًا ما سيحدث للأسـرة الآمنـة. إنهـا لا تعرف ما هو لكن إحساسها الداخلي كان يؤكد لها أن مكروها سيحدث. وسيطر عليها ذلك الإحساس القوي فحاولت القيـام من مكانها لتوقظ شقيقتها التي تعيش معها وقبل أن تتحـرك فوجئت بالأيدي الآثمة تنقض عليها وتكتم أنفاسها وقبـل أن تطلق صرخة واحدة شـنقها المجرمـون بحبـل وانتزعـوا أساورها وقرطها وفعلوا ذلك بشقيقتها وبسرعة كانوا يبحثون عن النقود في دولاب حجرة النوم وقبل أن يأتي الزوج الذي كان يصعد درجات السلم متمهلاً يحذر أن يصطدم بشيء في

الظلام ولم يكن يدري بما حدث لزوجته وأختها ولا بما يكمن في انتظاره هو شخصيا. وسمع أفراد العصابة وقع خطوات الزوج العائد فوقفوا جميعـا علـى رأس السـلم ينتظرونـه يساعدهم الظلام السائد على الاختفاء وعند نهاية آخر سـلمة وحين كان يستعد لإخراج مفاتيحه من جيبه ألقى المجرمـون بشبكة فوقه وانهالوا عليه طعنًا بالسكاكين حتى مات. وغادر القتلة مسرح الجريمة ومعهم المصوغات وكأن شيئًا لم يكن.. وباعوا المسروقات بعد ذلك بـ ٣٠٠ جنيه.



وصعد الجيران في اليوم التالي إلى شقة الضحايا ليجدوهم جثثًا وقد تحول مسرح الجريمة إلى فوضى. كان القتلة يتنافسون على القتل ويتفاخرون بالسرعة في كتم أنفاس الضحايا. وكان لابد أن يقبض عليهم رجال الشرطة. تقدم بائع ليمون عجوز كان يبيع بضاعته بجوار بيت الصائغ إلى الشرطة وأدلى بأوصاف الثلاثة قال أنه شاهدهم قبل ارتكاب الجريمة بأيام يحومون حول البيت بشكل مريب كانوا يستطلعون الموقف وعدد السكان وكيف تسير الأمور في بيت الصائغ قبل أن يقوموا بجريمتهم. ووصل رجال المباحث إليهم، ووضعت العدالة يدها فوقهم ومن خلال التحقيق اتضحت معالم الجريمة، واعترف دوجلاس زعيم العصابة والفخر يملؤه إنه كان البادئ بالقتل إذ هجم على الزوجة فخنقها بحبل،. ونظر إلى زميليه والزهور الإجرامي يعلو وجهه: قتلتها في ١٠ ثوانٍ، كما قام حمامة بقتل شقيقة الزوجة واشترك الثلاثة في قتل الزوج. أي وحشية هذه

وأي نفوس إجرامية. إنهم يستحقون الشنق أكثر من مرة لو جاز لي أن أقول هذا. إنهم وصلوا إلى درجة انعدام الآدمية. فالذي يفكر في إزهاق روح بريئة ليحصل على ثلاثة جنيهات هو وحش فقد العقل. وحش مجنون ولغ في الدماء مرة واستطاب طعمها، وحق على المجتمع أن يتخلص منه ومن أمثاله.

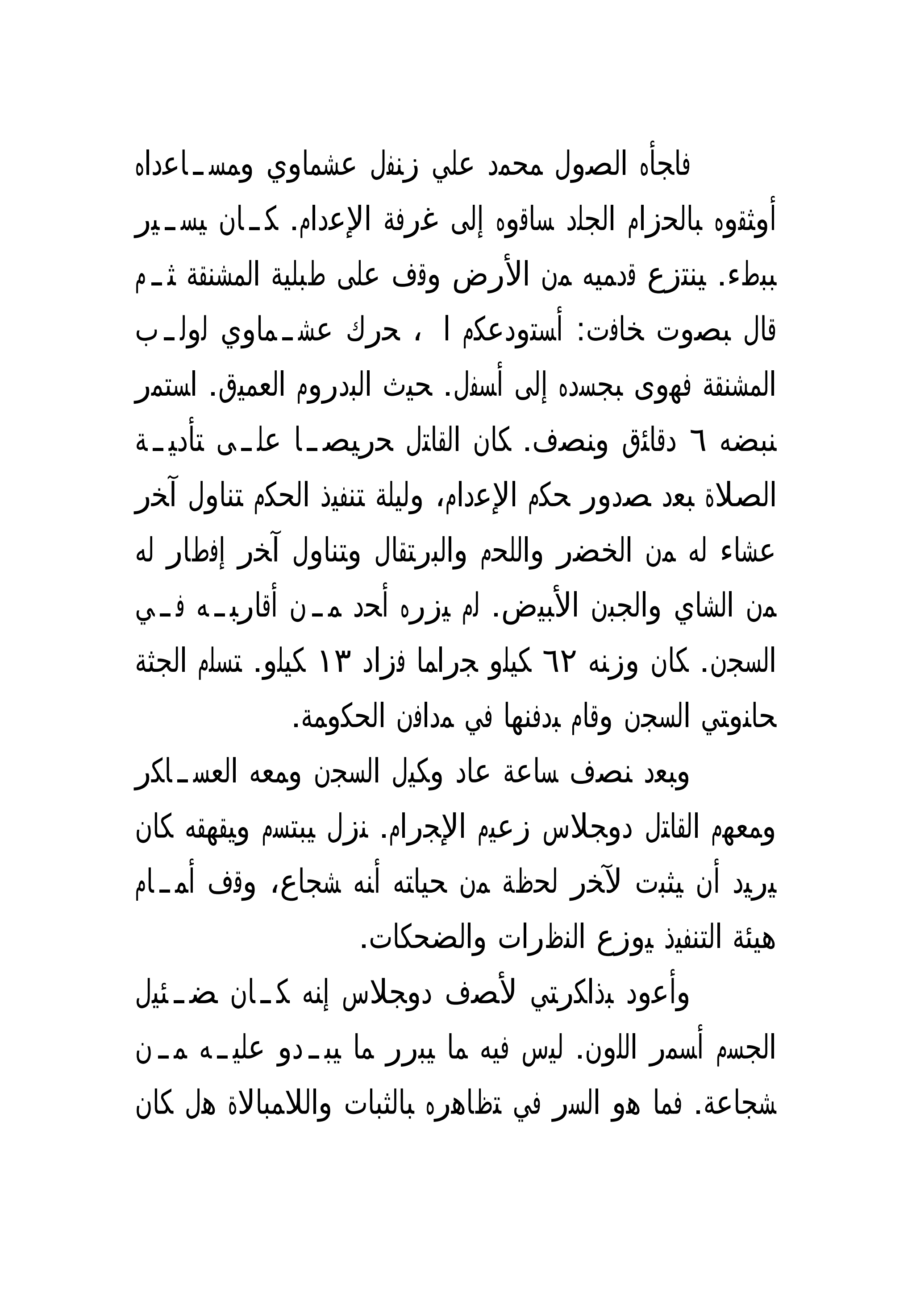
وهكذا حان موعد القصاص من الثلاثة الذين قتلوا أسرة من ثلاثة أشخاص والسبب ثلاثة جنيهات ليكمل أحد القتلة بها مهر عروسه،.. ويبدأ في إنشاء أسرة على أنقاض أسرة كانت تعيش حياتها كملايين الأسر في العالم.

والتقى الثلاثة من جديد في سجن الاستئناف، كما التقوا في السجن أولاً وفي السطو وفي المحكمة. التقوا هذه المرة على حبل المشنقة لم تفرق بين أحد منهم إلا نصف ساعة هي استراحة لعشماوي يلتقط فيها أنفاسه ويعد الحبل للضيف الجديد.

وكان اليوم هو منتصف فبراير. السماء رمادية مثقلة بسحاب كثيف ينتشر ويتجمع، وتطل شمس الصباح من بين فرجات السحاب بوجهها المنير لكن لبضع لحظات فقط حيث

يتغلب عليها السحاب المتراكم فتختفي خلف ستائره الرمادية. وفوق سارية سجن الاستئناف كان العلم الأسود مرفوعا علم الإعدام. الوقت في الثامنة إلاّ ربعا من نفس الصباح. يصعد وكيل السجن ومعه ٤ عساكر إلى الزنزانة رقم ٢٦ بالـدور الثاني. أخرجوا سامي مجنون عزيزة نزل على السلم لم ينتبه إلى أنه في طريقه إلى الموت، وصل الموكـب إلـى فنـاء السجن. فوجئ سامي بعدسات التصوير. أدرك أن نهايته قـد حانت. اضطرب أخذ يجيل نظراته شمالاً ويمينًـا. انهـارت أعصابه انقلب وجهه الأبيض إلى سحنة صفراء. وقف يتمتم بلا شعور أستغفر ا تلا عليه مأمور السجن صيغة التنفيـذ بين ٤٠ جنديا اصطفوا حول الهيئة وسـأله وكيـل النيابـة محمود السقا: عاوز حاجة؟ رد.. عاوز.. عـاوز.. عـا... رحمة ربنا.

وتقدم إليه الواعظ يتلو عليه صيغة التوبـة ردده‍ـا المذنب بعده في اضطراب وذهول. كانت الحروف تحتـبس في شفتيه لتخرج بصعوبة. أهدى الواعظ سبحته قال له: يـا شيخ محمد اقرأ الفاتحة على روحي واطلب لي الرحمة مـن ا .



فاجأه الصول محمد علي زنفل عشماوي ومساعداه أوثقوه بالحزام الجلد ساقوه إلى غرفة الإعدام. كان يسير ببطء. ينتزع قدميه من الأرض وقف على طبلية المشنقة ثم قال بصوت خافت: أستودعكم ا ، حرك عشماوي لولب المشنقة فهوى بجسده إلى أسفل. حيث البدروم العميق. استمر نبضه ٦ دقائق ونصف. كان القاتل حريصا على تأدية الصلاة بعد صدور حكم الإعدام، وليلة تنفيذ الحكم تناول آخر عشاء له من الخضر واللحم والبرتقال وتناول آخر إفطار له من الشاي والجبن الأبيض. لم يزره أحد من أقاربه في السجن. كان وزنه ٦٢ كيلو جراما فزاد ١٣ كيلو. تسلم الجثة حانوتي السجن وقام بدفنها في مدافن الحكومة.

وبعد نصف ساعة عاد وكيل السجن ومعه العساكر ومعهم القاتل دوجلاس زعيم الإجرام. نزل يبتسم ويقهقه كان يريد أن يثبت لآخر لحظة من حياته أنه شجاع، وقف أمام هيئة التنفيذ يوزع النظرات والضحكات.

وأعود بذاكرتي لأصف دوجلاس إنه كان ضئيل الجسم أسمر اللون. ليس فيه ما يبرر ما يبدو عليه من شجاعة. فما هو السر في تظاهره بالثبات واللامبالاة هل كان

مريضا نفسيا؟ هل كانت تحركه عقدة نشأته الأولى. الشـرخ الذي تركه إدمان والده وهربه في حياته مما أضـطره إلـى الإجرام والانحراف لا أدري ولكنها كانت خواطر تجول في ذهني. هل كان مجنونًا؟ لا أعرف لكن كان بريقًا شديدا يلوح من عينيه الواسعتين.

وقام مأمور السجن بتلاوة صيغة التنفيذ ورد القاتل: سيبك ما يهمش. التفت إلى رئيس هيئة التنفيـذ الأميـرالاي عطوة حنفي وطلب فنجان قهوة سادة وسيجارة قائلاً عشـان أعرف أكلم الصحفيين.. أُحضرت القهـوة والسـيجارة فـي الحال. وبعد أن شرب القهوة أخذ يجذب أنفـاس السـيجارة بحركة آلية دون شعور أو وعـي. ثـم ردد الشـهادة بعـد الواعظ، وأوثق عشماوي يديه من الخلف بالحزام الجلـدي، واقتاده مساعداه إلى حيث تقبع المشنقة داخل الغرفة السوداء وحيث قام باستكمال إجراءات الإعدام التي تنتهي دائما بشـد لواب المشنقة وهبطت الجثة إلى بئر العـدم، وقـام طبيـب السجن بتسجيل نبضات القلب التي استمرت ٤ دقـائق بعـد الإعدام. وسجلت دفاتر سجن الاستئناف أن دوجـلاس كـان يتناول بشراهة في الزنزانة زاد ٥ كيلو جرامـات، وتسـلم

شقيقه جثته ليقوم بدفنها وهكذا انتهت حيـاة مجـرم عريـق
في الإجرام. روع الآمنين سرق وقتل وعاث فـي الأرض
فسادا. وكان لابد لمن زرع الشر. أن يحصد الشر. وشـطب
من سجل الحياة اسم زعيم عصابة السطو.

ومن الزنزانة رقم ٢٣ بالدور الثامن نزل المـلازم
أول عادل مع المذنب حمامة الذي زف إلى المشنقة بدلاً من
أن يزف إلى عروسه الحسناء لأنه اختار أن يبدأ حياته معها
على جثث ضحايا أبرياء.

ووقفت أتأمل منظر موكب الموت يهبط درج السـلم
كانت دقات أحذية الحراس توقع لحـن موسـيقي جنائزيـة
ورويدا رويدا اقتربت الخطوات الرهيبة تحيط بالمحكوم عليه
حمامة. كان في الثامنة والعشرين من عمره. لونه أسـمر!.
أطلق لحيته في السجن وسمى نفسه السني قبل جميع العساكر
والضباط. وابتسم حين استقبلته عدسات التصـوير وحتـى
دخوله إلى الغرفة السوداء ظـل يتمـتم دون وعـي: أنـا
مايهمنيش إلا ربنا. الحمد ربنا يحبنـي. وكـان مـأمور
السجن يتلو عليه قرار الاتهام بينما يردد هذه الكلمـات فـي
آلية، كأنما ليبعث بها الطمأنينة في نفسه لتسـتقبل اللحظـات

الرهيبة. كان يشغل نفسه بالنظر إلى ما حوله وفجأة خانتـه شجاعته فانفجر قائلاً: أنا بني آدم مثلكم. إيه الفرجة هنـا.. مش فاهم.. ولما سأله الأميرالاي عطوة أنت مـن أي بلـد؟ قال: أنا من الآخرة.. من أي بلد وخلاص يا أخي. إيه لزوم السؤال ده دلوقتي.. أنا من البلد الآخر..

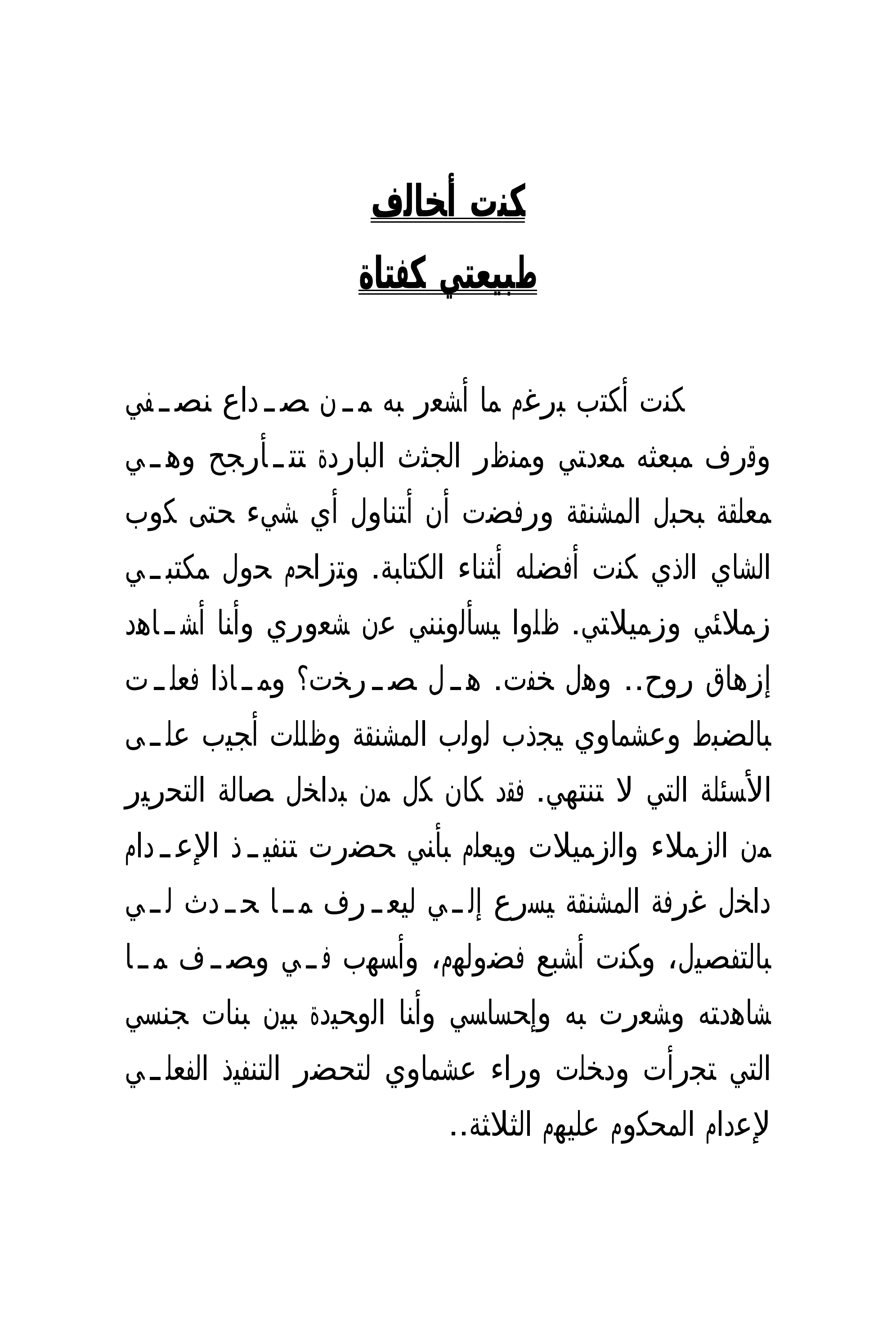
ثم صاح يطلب عشماوي ويستحثه لتنفيذ الحكم قائلاً: إيه الكلام الفاضي ده. ياللا يا عمي.. يالا فـين حتاخـدونا. ياللا يا بو علي ثم عاد حمامة يقول: صباح الخير يـا بيـه ووقف على الطبلية، وتقدم منه عشـماوي ليضـع الطاقيـة السوداء على وجهه وقبل أن يضعها عاد حمامـة العـريس لينطق قال: ربنا يعلم إني مظلوم ونظر إلى المشـنقة وقـال لعشماوي: ياللا يا سيدي. السلام عليكم جميعا ثم قـال: أنـا عاوز الصور تبان باضحك فيها عشان أنا مظلوم.

ووضع عشماوي الطاقية السوداء فوق رأسه واختفى ليظهر جثة تتأرجح في بئر المشنقة وظل نبضـه ٥ دقـائق وكان طبيب السجن ينظر في ساعته وهو يسجل الوقت الذي ظل القلب يعمل فيه قبل أن يتوقف نهائيـا وكنـت بجـواره أشاهد هذا المنظر ولا زلت حتى الآن أذكر صـورة الحيـاة

وهي تتلاشى من الجسد المعلق وينتقل النبض من شريان إلى شريان وتنسحب الروح وحيث تقل اختلاجة العضلات حتـى يتوقف النبض نهائيا ويصبح المشنوق جثة بـاردة يتسـلمها الحانوتي. كان وزن العريس ٦٠ كيلو جرام عنـد دخولـه السجن وزاد إلى ٧٠ كيلو جرام.

وعادت الحياة الطبيعية إلى سجن الاستئناف. وأنزل العلم الأسود من فوق سارية السجن. وتفرق زواره وأسرعت بنا سيارة الجريدة نحمل أوراقنا والصـور التـي التقطهـا المصور المرحوم محمد رشوان خارج غرفة الإعـدام إذ أن اللوائح تمنع التقاط الصور داخلها.

وأسرعنا إلى مكاتبنا أنا وزملائي. وكنت حريصة أن أسجل تجربتي الرهيبة التي واجهت فيها عشماوي وعشـت لحظات الموت. اللحظات الخانقة التي يشفق أشجع الرجـال من مواجهتها. وانهمكت في الكتابة لأصف بكل دقة أحـداث تنفيذ أحكام بإعدام ثلاثة قتلة سفاحين بدءا بمنظر السجن من الخارج والعلم الأسود فوق ساريته وحتى تسلم الحانوتي جثة آخر محكوم عليه.



كنت أخالف

طبيعتي كفتاة

كنت أكتب برغم ما أشعر به مـن صـداع نصـفي وقرف مبعثه معدتي ومنظر الجثث الباردة تتـأرجح وهـي معلقة بحبل المشنقة ورفضت أن أتناول أي شيء حتى كوب الشاي الذي كنت أفضله أثناء الكتابة. وتزاحم حول مكتبـي زملائي وزميلاتي. ظلوا يسألونني عن شعوري وأنا أشـاهد إزهاق روح.. وهل خفت. هـل صـرخت؟ ومـاذا فعلـت بالضبط وعشماوي يجذب لواب المشنقة وظللت أجيب علـى الأسئلة التي لا تنتهي. فقد كان كل من بداخل صالة التحرير من الزملاء والزميلات ويعلم بأني حضرت تنفيـذ الإعـدام داخل غرفة المشنقة يسرع إلـي ليعـرف مـا حـدث لـي بالتفصيل، وكنت أشبع فضولهم، وأسهب فـي وصـف مـا شاهدته وشعرت به وإحساسي وأنا الوحيدة بين بنات جنسي التي تجرأت ودخلت وراء عشماوي لتحضر التنفيذ الفعلـي لإعدام المحكوم عليهم الثلاثة..

هناك تعبير عسكري يعرفه كل من عاش في الحيـاة العسكرية والتعبير يقول تطعيم الجنود ومعنـاه أن الجنـدي يكون سبق له أن حارب في معركة وبمعنى آخر يكون قـد تأقلم في هجوم حربي. وهذا التعبير ينطبق على حالتي بعـد أن عشت في تجربة تنفيذ الإعدام على عصـابة دوجـلاس وبعد أن زالت رهبة الموقف وأصبحت مهيأة للجولة الثانيـة أي لحضور ما بعد ذلك من تنفيذ أحكام الإعدام على القتلـة والقاتلات.

ومضت الأيام كما تمضي على فتـاة وهبـت قـوة العزيمة والإرادة والرغبة في الاستمرار وتحقيق الذات. أخذ عملي في قسم الحوادث يلفت أنظار القـراء. كنـت أركـز على النواحي الإنسانية في عالم الجريمة وأمـارس هـوايتي في تحليل شخصيات الأحداث. وتعودت على مواجهة الموت مع مأموري الأقسام وضباط المباحث حيث كنت أذهب معهم أثناء معاينة جرائم القتل، وأدخل غرفة القتيل وأحضر تحقيق النيابة والمعاينة ومعاينة الطبيب الشرعي لمكان الجثة. وكنت أحضر حوادث الانتحار والغرق وعشـت أحـداث ضـحايا الباخرة دندرة لحظة بلحظة ودخلت مشـرحة زيـنهم وراء

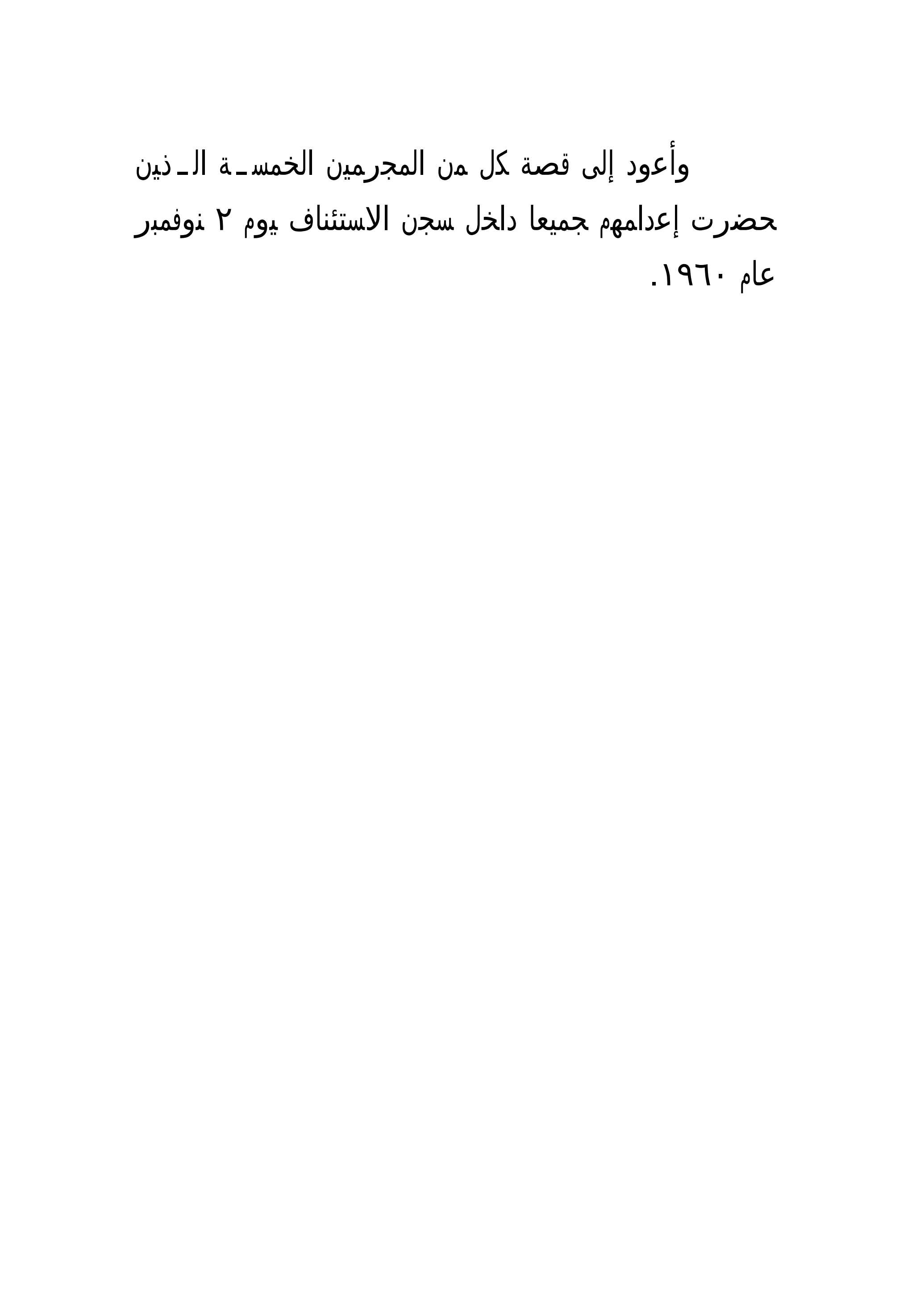
جثث الضحايا كما كنت أقوم بمفردي بتغطية حوادث انهيـار المنازل القديمة بينما زميلي المصور يلتقط صـور الحـادث وأشهد الجثث تخرج من تحت الأنقاض وأشهد من كتبت لهم النجاة. كما عشت قصة السفاح محمـود أمـين وحضـرت مصرعه داخل المغارة. باختصار كنت أصر علـى القيـام بعملي كاملاً كغيري من شباب القسم بلا تفرقة. وكما لفـت نشاطي اهتمام القراء فإن جميع رجال الشرطة في الأقسـام والمباحث كانوا يعرفونني وكانوا يقومون باستدعائي إذا وقع حادث هام حتى بعد منتصف الليل وكانت سـيارة الشـرطة تحضر إلي في منزلي لأحضر معهم إجراءات المعاينة على الطبيعة.

وكان عام ١٩٥٩ هو العام الذهبي لقسم الجرائم لـم يكن يمر يوم دون أن تنشر الجريدة لي مانشيت عن حـادث وقع. مما دفع زملائي إلى تكثيف نشاطهم ليلحقوا بي وكـان نتيجة لهذا النشاط والجهد أن رقيت إلى منصب نائب رئـيس قسم الحوادث ولم يمض عام على تعييني..

قصة ٥ مجرمين أعدموا

وأعود إلى أحكام الإعدام.. إلى المرة الثانية التي حضرت فيها تنفيذ ٥ أحكام إعدام دفعة واحدة من بين تلك الأحكام شنق امرأتين قاتلتين إحداهما قتلت مخدومتها وعند تنفيذ الحكم بإعدامها اعترفت بارتكاب جريمة أخرى أفلتت من العقاب عليها وهو قيامها بقتل طفلة صغيرة لكن عين ا لا تغفل ونفذ فيها حكم الإعدام والمرأة الثانية شنقت لقتلها طفلة وسرقة قرطها أيضا.

إن تنفيذ الإعدام في المجرمين الخمسة تم يوم ٢ نوفمبر عام ١٩٦٠ وقبلها بخمسة أيام نشرت موضوعا في الجريدة يتضمن صورا للمجرمين وأخرى لعشماوي. وكان عنوان الموضوع هو عشماوي يستعد لشنق خمسة الساعة الثامنة صباح الأربعاء. حيث يبدأ بشنق قاتل أمه ثم اثنين من المجرمين وينهي عشماوي موكب الإعدام بشنق مجرمتين قاتلتين. لم يكن يربط بين المجرمين الخمسة أي رابط فقط جمعهم يوم تنفيذ الأحكام على طبلية المشنقة.



وأعود إلى قصة كل من المجرمين الخمسـة الـذين حضرت إعدامهم جميعا داخل سجن الاستئناف يوم ٢ نوفمبر عام ١٩٦٠.

المجرم الأول: قاتل أمه

وأبدأ بقصة المجرم الأول قاتل أمه. إن القاتل لم يكن مجرما عاديا كان إنسانًا مثقفًا ومن أسرة ثرية. كان متزوجا وعنده أطفال وكانت الأم تشغل منصبا مرموقًا في الهيئة الاجتماعية. لم يشفع لها موقعا كأم أوصت جميع الشرائع والأديان برعايتها وحفظ حقوقها وجاء حقها في ذلك قبل حق الأب لم يشفع لها قيامها بدور الأم والأب معا بعد وفاة زوجها حيث تحملت العبء وحدها وقامت بتربية الابن والبنتين. وكانت تسارع بتلبية رغبات الابن المدلل ولا تبخل عليه بما يطلب من مال باختصار كانت الأم تسارع إلى تحقيق كل ما يطلبه ابنها الذي كان يتمادى في طلباته حتى بعد أن أصبح موظفًا ويعول زوجة وأولاد، وكانت حياته مع رفاق السوء تتطلب أعباء لا يستطيع مرتبه أن يفي بها، فكان يسرع إلى بيت والدته يطالبها بالنقود، حتى أرهقها بمطالبه وجاء الوقت الذي شعرت أنه يجب عليها أن تمتنع عن إعطائه بعد أن أوشكت على الإفلاس وحسمت الأمر مع

نفسها شعرت أنها تظلم ابنتيها حيث تترك لشـقيقهما الحبـل على الغارب، ليبدد أموال الأسرة في علب الليـل وملاهيـه وفي رفقة الغانيات ورفقاء السوء.

وجاءت اللحظة الحاسمة أنها لـن تتـرك لعاطفـة الأمومة أن تقودها إلى الخراب فالابن يتمادى في طلباته ولا يكف عن السهر كل ليلة والمبيت خارج بيته وبعيـدا عـن زوجته وأطفاله، وكثيرا ما شكت إليها زوجـة ابنهـا مـن تصرفاته وعدم تحمله لمسئولية بيته وأولاده، ولكنها كانـت تطلب منها الصبر وتنصحها بالتحمل قائلة لها: بكره يعقـل ويرجع لبيته وأولاده..

وتعيش الأسرة الثرية حياة كلها شقاء. الشجار دائـم بين الأم التعسة والابن المدلل دائما يطلب ويلح أنـه يريـد النقود، ويبدأ الموقف بشجار وينتهي بأن تـدخل الأم غرفـة نومها وتخرج منها وفي يدها ما يطلب من مبلغ كبير. حيث يختطفه من يدها ويخرج مسرعا دون كلمة شـكر، ليلحـق برفاقه وتبدأ السهرة الحمراء دائما بعد منتصف الليل.

أيام متشابهة الأحداث تتواتر علـى تلـك الأسـرة. الجيران من كثرة مشاجرات الأم والابـن المـدلل. أصـبح

الموقف بالنسبة لهم عاديا حتى أنهم كانوا يستغربون إذا مضى يوم دون أن تخترق آذانهم كلمات السباب والشجار والحوار العنيف الذي يبدأ به الابن مطالبا أمه بالنقود، والذي ينتهي بتوسلاته إليها أنه سيحاول أن يمتنع عن مبازله ثم تختتم التمثيلية بتهديد ووعيد يوجهه إلى أمه وأنه سيقوم بقتلها في يوم ما...

إنه مشهد متكرر حتى حفظ الجيران ألفاظ الحوار ومعانيه لكثرة حدوثه. وكان دائما يتكرر كحلقات في مسلسل درامي تعرضه تمثيلية إذاعية.

وجاء الصيف بأنفاسه الثقيلة. أنه صيف ساخن صيف عام ١٩٥٨ وبالتحديد كان اليوم هو ١٧ يونيو كان الابن المدلل قد اتفق مع أصدقائه على قضاء سهرة ساخنة أيضا ومكلفة. وكان الأصدقاء يعلمون أنه من أسرة ثرية، ولذلك كان هو يتحمل العبء الأكبر من نفقات اللهو والعبث.

الوقت ظهرا ولهيب يونيو يهب قيظًا يكتم الأنفاس ويجثم فوق الصدور ككابوس مفزع. الأعصاب ثائرة متوترة فالقيظ يحول أهدأ الأعصاب إلى كتلة مشتعلة وخاصة عند الظهيرة.

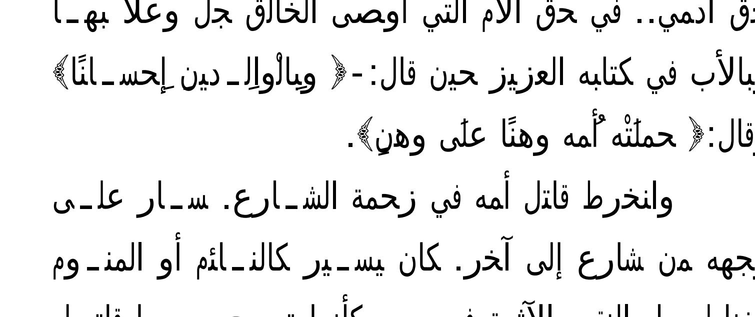
ويتوجه الابن المدلل إلى منزل والدته رأسـا. فهـو يريد أن يحصل منها على ما يغطي مصاريف سهرته هـذه الليلة وبعدها يذهب إلى منزله ليستريح استعدادا للسهرة.

جرس الباب يدق تفتح الأم الباب بعد عودتهـا مـن عملها الاجتماعي مباشرة وكانـت لا تـزال فـي ملابـس الخروج. تفاجأ بالابن أمامها. رأت علـى وجهـه علامـات التحفز طلبت منه أن يجلس ليستريح ويتناول معهـا طعـام الغداء قال لها: أنا مستعجل عاوز فلوس. هاتي ١٠٠ جنيـه حالاً عندي مشوار مهم بالليل. وعاوز أستريح قبل المشوار. بسرعة هاتي الفلوس.

لم يكن الموقف جديدا على الأم لكن هذه المرة كـان المبلغ المطلوب كبيرا وعلامات التحدي والشر تطل من وجه ابنها داهمها إحساس بالخوف إنها لأول مرة تخاف من ابنها وأرادت إخفاء شعورها عن ابنها فدخلت المطبخ لتعد طعـام الغداء أشعلت البوتاجـاز ووضـعت فوقـه حلـة الطعـام واستدارات حين سمعت خطوات ابنها. كان يقف خلفها تقدح عيناه بالشرر. مد يده فأطفأ البوتاجاز طلب منهـا أن تتـرك الأكل لتعطيه النقود أولاً. جذبها من يدها لتخرج من المطبخ

قاومته ثارت أعصابه فقد عقله وفي لحظات انتهى كل شيء أمسك بيد الهون وهشم بها رأس أمه في جنون ولم يكتف بذلك. خنقها بيديه حتى لفظت أنفاسها أمامه وعندئذ توجه إلى دولاب ملابسها ليفتش عن النقود القاتلة وأغلق وراءه باب الخروج وكأن شيئًا لم يكن.

أية جريمة بشعة ارتكبها هذا الابن العاق. إنه لم يشفق على الرحم التي حملته تسعة أشهر ولا على الصدر الذي رضع منه لبن الحياة ولم يرحم شيخوخة أمه، وكان الشيطان معه وهو ينفذ أبشع وأقسى جريمة ترتكب في



حق آدمي.. في حق الأم التي أوصى الخالق جل وعلا بها وبالأب في كتابه العزيز حين قال:- ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وقال:﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾.

وانخرط قاتل أمه في زحمة الشارع. سار على وجهه من شارع إلى آخر. كان يسير كالنائم أو المنوم مغناطيسيا. النقود الآثمة في جيبه كأنما تصيح به يا قاتل أمك.. شلت يدك. أنت مجنون لا تصلح لشيء إنك قتلت أقدس عاطفة وهانت عليك من ربتك ورعتك وعاشت لأجلك حتى صرت رجلاً وزوجا وأبا ولا زلت تمد يدك لتحصل

على نقودها ومع ذلك قتلتها إنك مجرم.. مجرم مجرم مجنون وظل لفظ مجرم يتكرر يردده عقله الباطن حتى خيل إليه أنه جن فعلاً فأشار إلى أول سيارة أجرة قابلته وأعطى السـائق عنوان بيته.

كانت نسمات الغروب تهب طرية رطبة لتخفف مـن وقدة الظهيرة وعناء الرطوبة والقيظ الملتهب. عندما فتح باب شقته بمفتاحه الخاص وأسرع إليه طفلاه منى وإيهاب يتعلقان به ولكنه دفعهما عنه في خشونة وأسرع إلى غرفـة نومـه وأغلق بابها عليه، وألقى بجسده المكدود فوق السرير.

أحقًا أنا قاتل أنا مجرم؟ ومن قتلت أيها الشقي إنهـا أمك.. والدتك التي دق قلبها بحبك قبل أن تـراك واحتـواك صغيرا وكبيرا. وضحت بكل شيء لتسـعدك عاشـت لـك ومن أجلك في حياة والدك وبعد وفاته لم تبخل عليك بشيء. تعلمت وحصلت على شهادة وتوظف وتزوجت وصرت أبـا وهي لا تزال ترعاك وترعى مصالحك في حزم وعزيمة.

أأنا قاتل ومن قتلت؟ أمي. أمي أنا قتلتها بيدي هاتين لا لا ليس هذا صحيحا إنني أحلم أنا في كابوس مفزع أحقًـا قتلت أمي هل هذا معقول؟!

ويرد شيطانه نعم قتلتها. كانت سيدة قوية متحكمـة مسيطرة كانت تتشاجر معك باستمرار إذا طلبت منها النقـود لتنفق منها على ملذاتك كانت ثرية ومع ذلك كانت لا تعطيك كل ما تطلب والآن أنت حر ويمكنك أن تتصرف في المـال وتسهر وتعربد كما تريد. أنت حر. حـر، أخيـرا سـتعيش حياتك على هواك.

ويعود إليه عقله يا ويلتي أأقتل أمي. كيف جـرؤت يدي على أن تمسك بيد الهون لتحطم رأسها ويتنـاثر منهـا المخ أمام عيني كيف تجاسرت وخنقتها حتى لفظـت آخـر أنفاسها أكل ذلك لأنها امتنعت عن إعطائي النقود يا ليتني ما ولدت. إنها لحظة جنون لا شك أو كابوس سرعان ما ينتهي وأتحقق من أنني كنت أحلم وأني لم أقتل أمي..

ويفيق لحظة: لا إنه ليس كابوسا إنها الحقيقة المفزعة إني أتذكر الآن ما حدث وبالتفصيل ونظـر إلـى ملابـس الخروج التي لم يبدلها وقد أوشـك الليـل علـى منتصـفه، وزوجته تدق الباب من الخارج وتطلب منه أن يقوم ليتنـاول عشاءه. لكنه يرفض ويقول لها إنه متعب ويشعر بوعكة ولا يستطيع النهوض.

وعادت الأفكار المزعجة تلح عليه أحقًا قتلت أمـي ولم العذاب سأذهب إلى منزلها الآن لأتحقق وهم بـالنهوض من سريره لكن خاطرا مفاجئًا أزعجه ماذا لو كنـت قتلتهـا حقيقة أتذهب إلى مسرح الجريمة وتسلم نفسك بيدك. سيراك الجيران في هذا الوقت وتكتشف الجريمة.

كن عاقلاً وفكر جيدا قبل أن ترتكب أي هفوة تقودك إلى المشنقة وليس أمامك سـوى الانتظـار حتـى يتكشـف الموقف وتعرف هل قتلت أمك فعلاً أم أصابك الجنون.

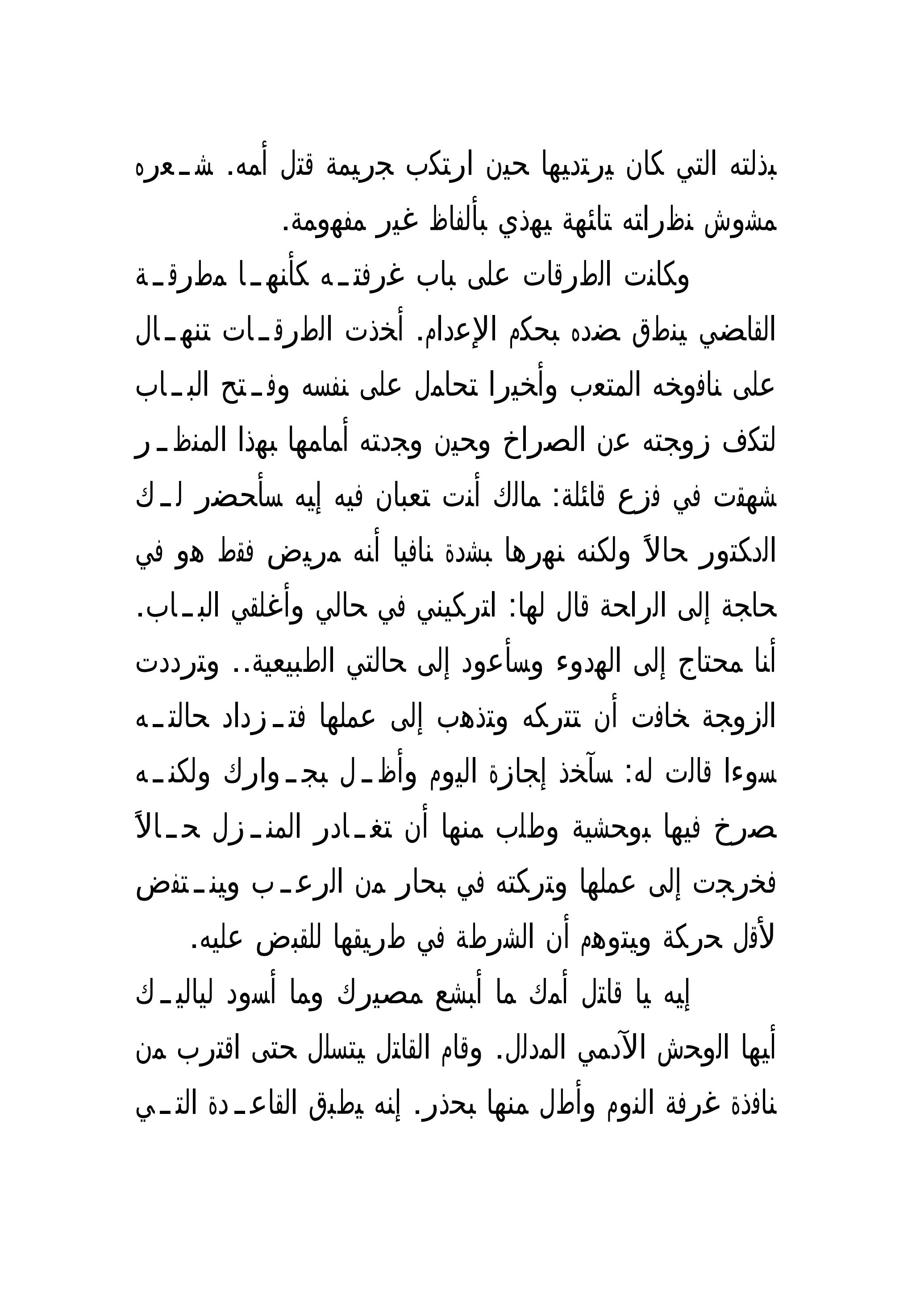
ليل طويل مليء بالهلوسة والخواطر السوداء أطبـق على القاتل الأثيم الذي طاوعه قلبه على أن يسلب الحياة ممن وهبته الحياة. ليل ثقيل مليء بالشياطين والمردة تتحلق حول قاتل أمه وتشير إليه بمخالبها صائحة: يا قاتل أمك يا سـفاح ويسمع قهقهات صاخبة وموكب الشياطين يرقص محاصـرا سريره. وجمرات من النار تخرج من عيونها وأفواهها فتحيل جو الغرفة إلى جحيم يكتم على أنفاسه ويوشـك أن يصـرخ ليستدعي زوجته لكنه يكتم الصرخة بيده مخافة أن تكتشـف جريمته. ظل ساهرا طول الليل تحاصره خطيئته يحملق في سقف الغرفة بعينين زائغتين وقلب واجف لا يكف عقله عـن

التفكير في أحداث يوم هو أشق على نفسه من يوم القيامـة. لقد أصبح الابن المدلل الثري. الابن الذي تربى في بحبوحة من العيش وتبوأت أسرته مركزا مرموقًا أصبح بـين يـوم وليلة مجرما قاتلاً وصم أسـرته وأطفالـه بوصـمة العـار والدنس.

إيه يا دنيا إنك تضحكين مني الآن أنـت وشـياطين الإنس رفقاء السوء. من شجعوني على السير فـي طريـق الظلام الذي انتهى بي إلى ارتكاب أبشع جريمة فـي حـق الإنسانية وقادني لكي أقتل أعز الناس عندي وأخنقها بيـدي ليتني ما ولدت.

وأخيرا أسفر الصباح عن وجهه الأبيض واستيقظت مخلوقات ا من سباتها. كل يسعى لشأنه وغـص المسـرح الآدمي برواده من الممثلين والمتفرجين وعلى خشـبة هـذا المسرح ترتكب يوميا أغرب الجـرائم المأسـاوية وسـتظل ترتكب إلى أن يرث ا الأرض ومن عليها. بـدءا بقابيـل وهابيل وانتهاء بآخر آدمي يودع الحياة.

تسللت أشعة الشمس إلى داخل غرفة المذنب لتجـده مكوما على نفسه في أقصى السرير يتصبب عرقًا. لم يغيـر


بذلته التي كان يرتديها حين ارتكب جريمة قتل أمه. شـعره مشوش نظراته تائهة يهذي بألفاظ غير مفهومة.

وكانت الطرقات على باب غرفتـه كأنهـا مطرقـة القاضي ينطق ضده بحكم الإعدام. أخذت الطرقـات تنهـال على نافوخه المتعب وأخيرا تحامل على نفسه وفـتح البـاب لتكف زوجته عن الصراخ وحين وجدته أمامها بهذا المنظـر شهقت في فزع قائلة: مالك أنت تعبان فيه إيه سأحضر لـك الدكتور حالاً ولكنه نهرها بشدة نافيا أنه مريض فقط هو في حاجة إلى الراحة قال لها: اتركيني في حالي وأغلقي البـاب. أنا محتاج إلى الهدوء وسأعود إلى حالتي الطبيعية.. وترددت الزوجة خافت أن تتركه وتذهب إلى عملها فتـزداد حالتـه سوءا قالت له: سآخذ إجازة اليوم وأظـل بجـوارك ولكنـه صرخ فيها بوحشية وطلب منها أن تغـادر المنـزل حـالاً فخرجت إلى عملها وتركته في بحار من الرعـب وينـتفض لأقل حركة ويتوهم أن الشرطة في طريقها للقبض عليه.

إيه يا قاتل أمك ما أبشع مصيرك وما أسود لياليـك أيها الوحش الآدمي المدلل. وقام القاتل يتسلل حتى اقترب من نافذة غرفة النوم وأطل منها بحذر. إنه يطبق القاعـدة التـي

تقول: يكاد المريب يقول خذوني.. واطمأن قليلاً عنـدما لـم يجد أثرا لعسكري الشرطة.

وهناك في الناحية الأخرى من المسـرح المأسـاوي حيث يقع بيت الأم القتيل تسللت شمس الصباح الذهبية كمـا تفعل كل يوم، لكنها هذه المرة فوجئت بأبشع منظر تسـللت خيوطها الدافئة لتسقط فوقه جثة باردة برودة الموت والعدم. ترقد في بركة من الدماء تجمدت بعد أن سال منها ما سـال وتسرب من تحت باب المطبخ إلى سلم الشغالين.

جرس التليفون يرن رنينًا متواصلاً. إنهم زملاؤهـا وزميلاتها في المكتب يريدون أن يطمئنوا عليها إنها لم تتعود على التأخير. وهذا الصباح افتقدها مكتبها والكرسي. ومضت ساعة وساعة أخرى ولم تحضر وكان لابد أن يدق جـرس التليفون خاصة وأن هناك اجتماع عاجل وموعد عمل هام.

أكثر من مرة يدق التليفون ويصـمت لـدقائق ثـم يواصل رنينه في إصرار ولكن من يجيب؟

الوقت يمضي ويكاد النهار أن ينتصف، والاجتمـاع الهام في انتظار وصول الرئيسة لينعقد، وهي لا تصل لابـد أن طارئًا حدث خاصة وأنها لا ترد على المكالمة التليفونية.

ويسرع السكرتير بسيارة أجرة إلى منزلها ويقابـل البـواب الذي ينفي أنه شاهدها تخرج هذا الصباح ولا يكـاد يكمـل حديثه حتى تنطلق صرخات رعب مصدرها سلم الشـغالين كان صوتًا نسائيا تصرخ صاحبته فـي هيسـتيرية. دم. دم. الحقوني أسرع البواب والسكرتير يخطفان درج السلم خطفًـا بينما تجمع جيران القتيل حول الخادمة التي أخـذت تشـير بيدها ناحية الدماء التي تسربت من باب المطبخ.

وتلقت شرطة النجدة بلاغًا بالحادث البشع. وفي أقل من ربع الساعة كانت سيارة النجدة تقف أمام مسرح الجريمة وتتابع وصول السيارات.. مأمور قسم الوايلي. مدير الأمن. مساعد مدير الأمن. ضباط البحث الجنائي. رجال البصمات والطبيب الشرعي.

وكان رجال الشرطة قد حطموا باب الشقة ليتمكنـوا من الدخول.. وفي المطبخ فوجئوا بأبشع منظر يمكن أن تقع عليه عين إنسان. سيدة في الستينات من عمرها. ترقد علـى ظهرها وقد تهشم رأسها وجحظت عيناها.. وتناثرت أجـزاء من المخ وعظام الجمجمة على بلاط المطبخ وبجوار الجثـة وجدت يد الهون أداة الجريمة ملوثة بالدماء.

وبدأ ضباط المباحث عملهم على الفـور. انتشـرت مجموعات منهم في كل مكان يبحثون ويجـرون المعاينـة. اكتشفوا أن دولاب ملابس القتيلة مفتوح وأدواتها مبعثرة مما يرجح أن الحادث ارتكب بقصد السرقة. ولكن كيـف دخـل القاتل إلى الشقة إن الأقفال سليمة وهكذا بدأوا يسـتنتجون أن القاتل كان على صلة بضحيته وهي نقطة جوهرية في البحث الجنائي.

وسجل تقرير الطبيب الشرعي أن الوفاة حدثت مـا بين الظهر والعصر، كما سجل الإصابات التي حدثت بالجثة ووصفًا لكل منها، وأثار إسفكسيا الخنق والحالة التي وجدت عليها الجثة والوقت الذي تمت خلاله المعاينة.

وتم استدعاء أولاد القتيلة. أصيبت البنتـان بـذهول إنهما لا تصدقان ما حدث لأنهما. لم يكن لها أعداء وكانـت محبوبة في الوسط الذي تعيش فيه، من جيرانها وزملائها في العمل. حتى البواب كانت تعطف عليه وعلى زوجته وأولاده فمن طاوعه قلبه على قتلها من ارتكب الحادث الفظيع؟

وكان هذا رد من البنتين علـى المحقـق، إنهمـا لا تعرفان شيئًا. من ولماذا ارتكبت الجريمة لا يعرفان سـوى

المشاجرات العادية التي كانت تحـدث دائمـا بـين أمهمـا وشقيقهما الوحيد وسببها الإلحاح المتزايد من الابن في طلب النقود. وهنا تنبه المحقق إلى غياب الابن لقد خرج ضابطان من فرقة البحث لإحضاره ولكنهما تأخرا. إنه ليس في منزله قالت زوجته إنه قضى ليلته في المنزل وخرجت إلى عملهـا وعند عودتها لم يكن موجودا ولا تعرف مكانه.

وبسؤال الزوجة أجابت أن زوجها كان دائم الشـجار مع أمه وكان خلافهما دائما على النقود. كان يستولي منهـا على المال لينفقه في سهراته مع أصحابه ولا يعـود إلا مـع الفجر وهكذا كانت تمضي حياته، وقالت أيضا في التحقيـق أنها كانت تقوم بالإنفاق على بيتها وأولادها من مرتبهـا لأن مرتب الزوج وإيراده من والدته كان يذهب كله على موائـد القمار وفي السهرات الصاخبة، وأن حياتها معـه لـم تكـن موفقة وتعيش من أجل أولادها فقط. وبعد التحقيق المبـدئي والمعاينة تم نقل الجثة إلى مشرحة زينهم ليتم تشريحها. كما تم رفع البصمات من فوق يد الهون.

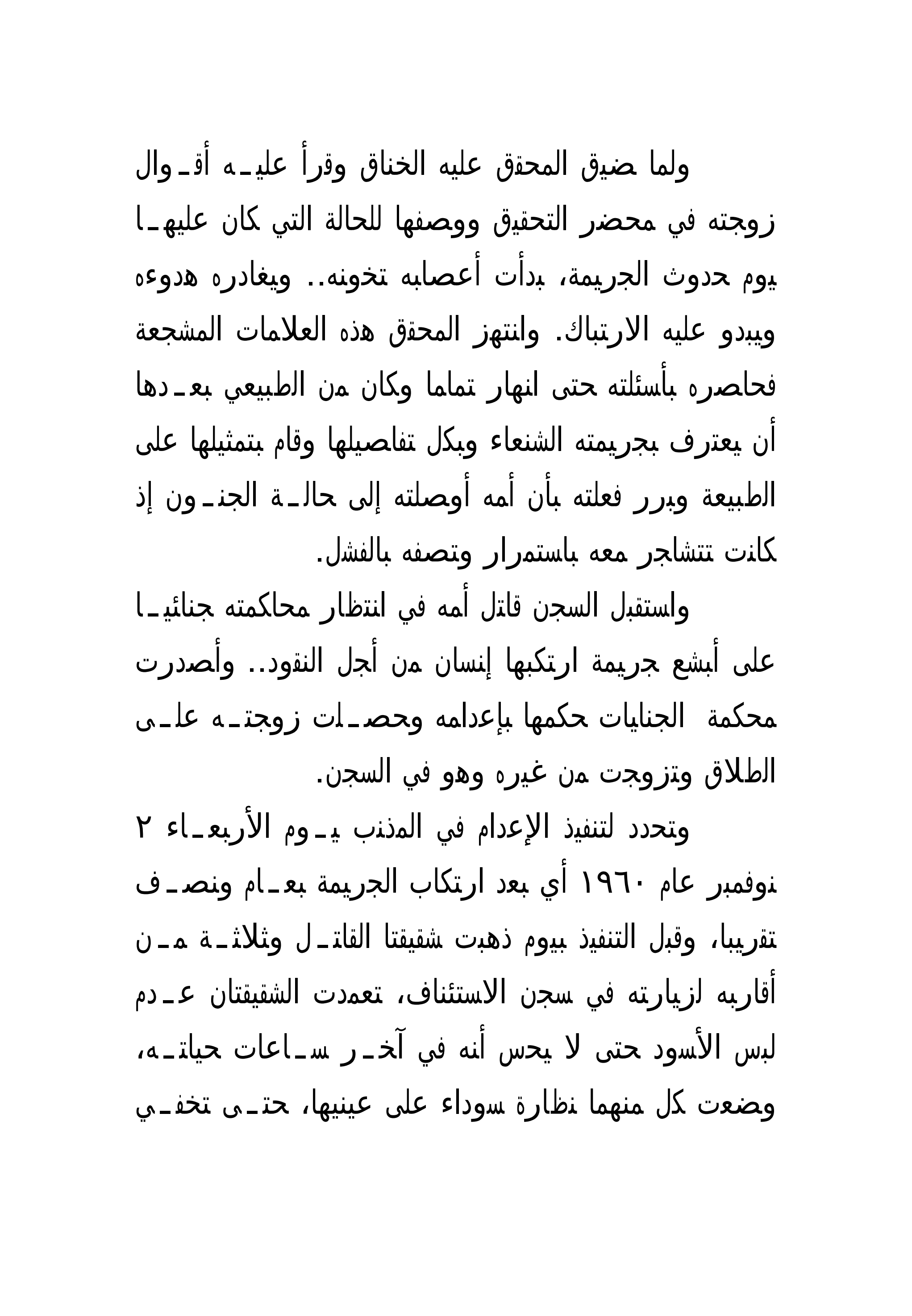
وتمضي الساعات والتحقيق يدور على قدم وسـاق. ضباط المباحث كخلية النحل ينتشرون في كل مكان يبحثون

عن الابن المختفي في منازل أصدقائه وفي أماكن سـهراته، وبعد أربعة أيام عثروا عليه في مدينة الإسكندرية مختبئًا في شقة للأسرة بحي الرمل.

وتم ضبط وإحضار الابن المـدلل وفـتح محضـر التحقيق وقام المحقق بمواجهة الابن بأقوال الشهود وبأنه كان يتشاجر دائما مع أمه ويرهقها بطلب النقود وأن مشـاجراته كانت تصل إلى الآذان في الشقق المجـاورة، كمـا واجهـه بأقوال شقيقتيه بأنه نشأ مدللاً لا ترفض له والدته طلبا وأنـه كان يقامر بكل مبلغ يصل إلى يده.

وحاول المراوغة في بادئ الأمر قال إن أمه كانـت تقتر عليه ولا تعطيه ما يحتاجه من نقود لينفق علـى بيتـه وأولاده، ولكن المحقق واجهه بأقوال زوجته، وتتلخص فـي أن كل دخله كان يضيع في موائد القمـار وفـي سـهرات المجون، وأنها هي التي تقوم بالإنفاق من مرتبها وأن والدته كانت دائما تعطيه ما يطلب من أموال.

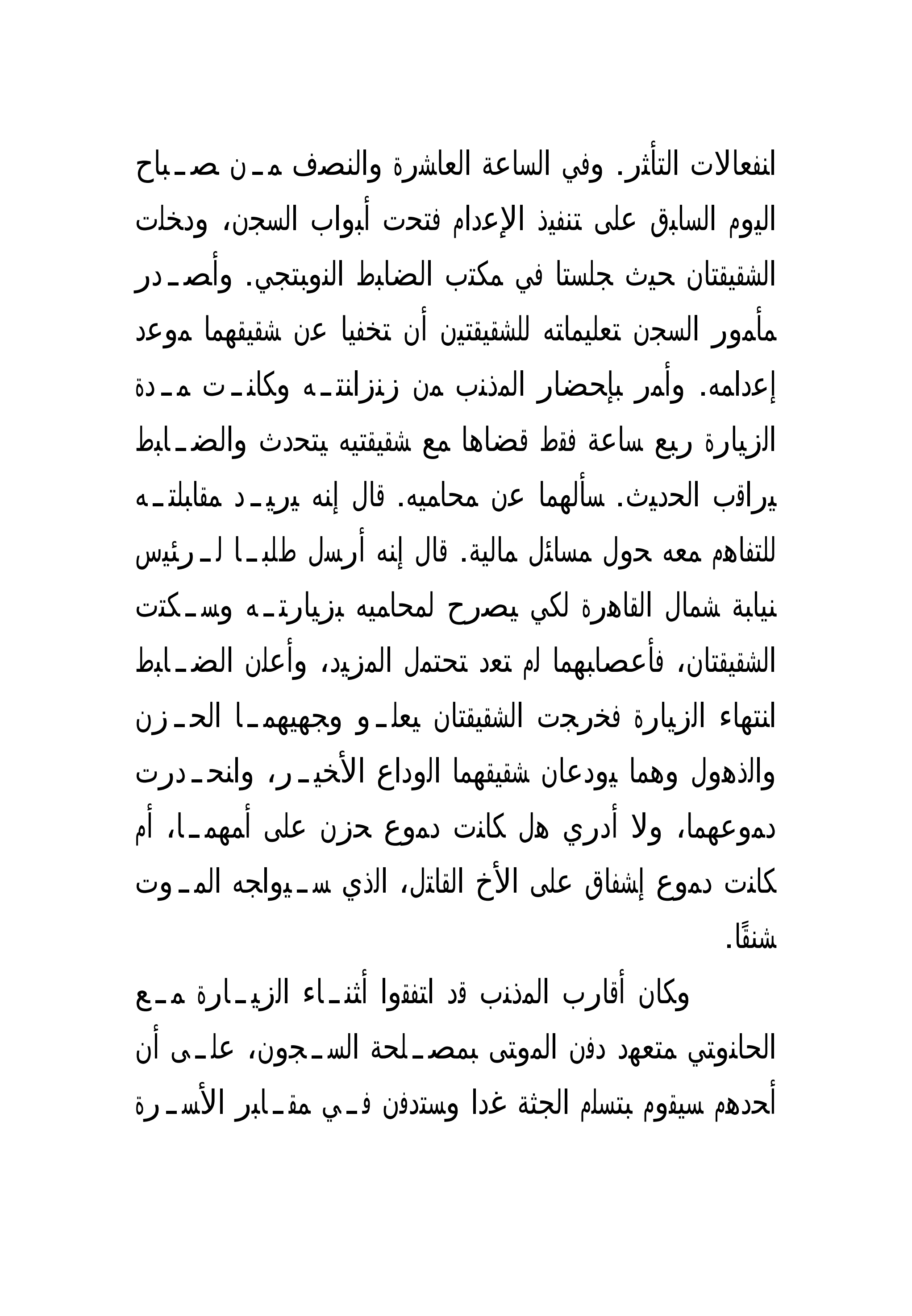
وحين سأله المحقق عن تحركاتـه وقـت حـدوث الجريمة قال إنه كان في عمله لكن التحريات أثبتت أنه خرج من مكتبه قبل الوقت الذي ذكره في التحقيق.



ولما ضيق المحقق عليه الخناق وقرأ عليه أقوال زوجته في محضر التحقيق ووصفها للحالة التي كان عليها يوم حدوث الجريمة، بدأت أعصابه تخونه.. ويغادره هدوءه ويبدو عليه الارتباك. وانتهز المحقق هذه العلامات المشجعة فحاصره بأسئلته حتى انهار تماما وكان من الطبيعي بعدها أن يعترف بجريمته الشنعاء وبكل تفاصيلها وقام بتمثيلها على الطبيعة وبرر فعلته بأن أمه أوصلته إلى حالة الجنون إذ كانت تتشاجر معه باستمرار وتصفه بالفشل.

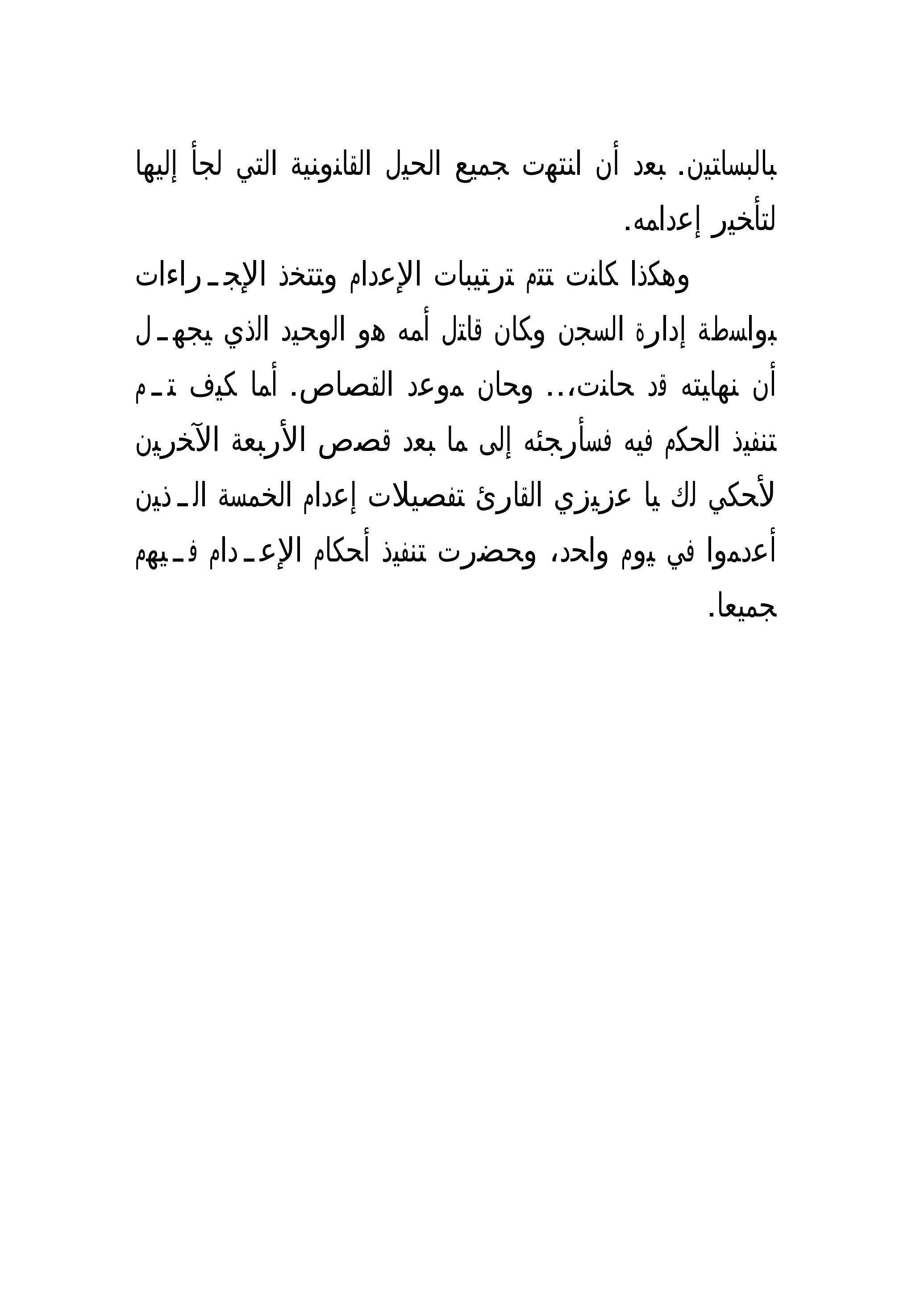
واستقبل السجن قاتل أمه في انتظار محاكمته جنائيا على أبشع جريمة ارتكبها إنسان من أجل النقود.. وأصدرت محكمة الجنايات حكمها بإعدامه وحصلت زوجته على الطلاق وتزوجت من غيره وهو في السجن.

وتحدد لتنفيذ الإعدام في المذنب يوم الأربعاء ٢ نوفمبر عام ١٩٦٠ أي بعد ارتكاب الجريمة بعام ونصف تقريبا، وقبل التنفيذ بيوم ذهبت شقيقتا القاتل وثلاثة من أقاربه لزيارته في سجن الاستئناف، تعمدت الشقيقتان عدم لبس الأسود حتى لا يحس أنه في آخر ساعات حياته، وضعت كل منهما نظارة سوداء على عينيها، حتى تخفي



انفعالات التأثر. وفي الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم السابق على تنفيذ الإعدام فتحت أبواب السجن، ودخلت الشقيقتان حيث جلستا في مكتب الضابط النوبتجي. وأصدر مأمور السجن تعليماته للشقيقتين أن تخفيا عن شقيقهما موعد إعدامه. وأمر بإحضار المذنب من زنزانته وكانت مدة الزيارة ربع ساعة فقط قضاها مع شقيقتيه يتحدث والضابط يراقب الحديث. سألهما عن محاميه. قال إنه يريد مقابلته للتفاهم معه حول مسائل مالية. قال إنه أرسل طلبا لرئيس نيابة شمال القاهرة لكي يصرح لمحاميه بزيارته وسكتت الشقيقتان، فأعصابهما لم تعد تحتمل المزيد، وأعلن الضابط انتهاء الزيارة فخرجت الشقيقتان يعلو وجهيهما الحزن والذهول وهما يودعان شقيقهما الوداع الأخير، وانحدرت دموعهما، ولا أدري هل كانت دموع حزن على أمهما، أم كانت دموع إشفاق على الأخ القاتل، الذي سيواجه الموت شنقًا.

وكان أقارب المذنب قد اتفقوا أثناء الزيارة مع الحانوتي متعهد دفن الموتى بمصلحة السجون، على أن أحدهم سيقوم بتسلم الجثة غدا وستدفن في مقابر الأسرة



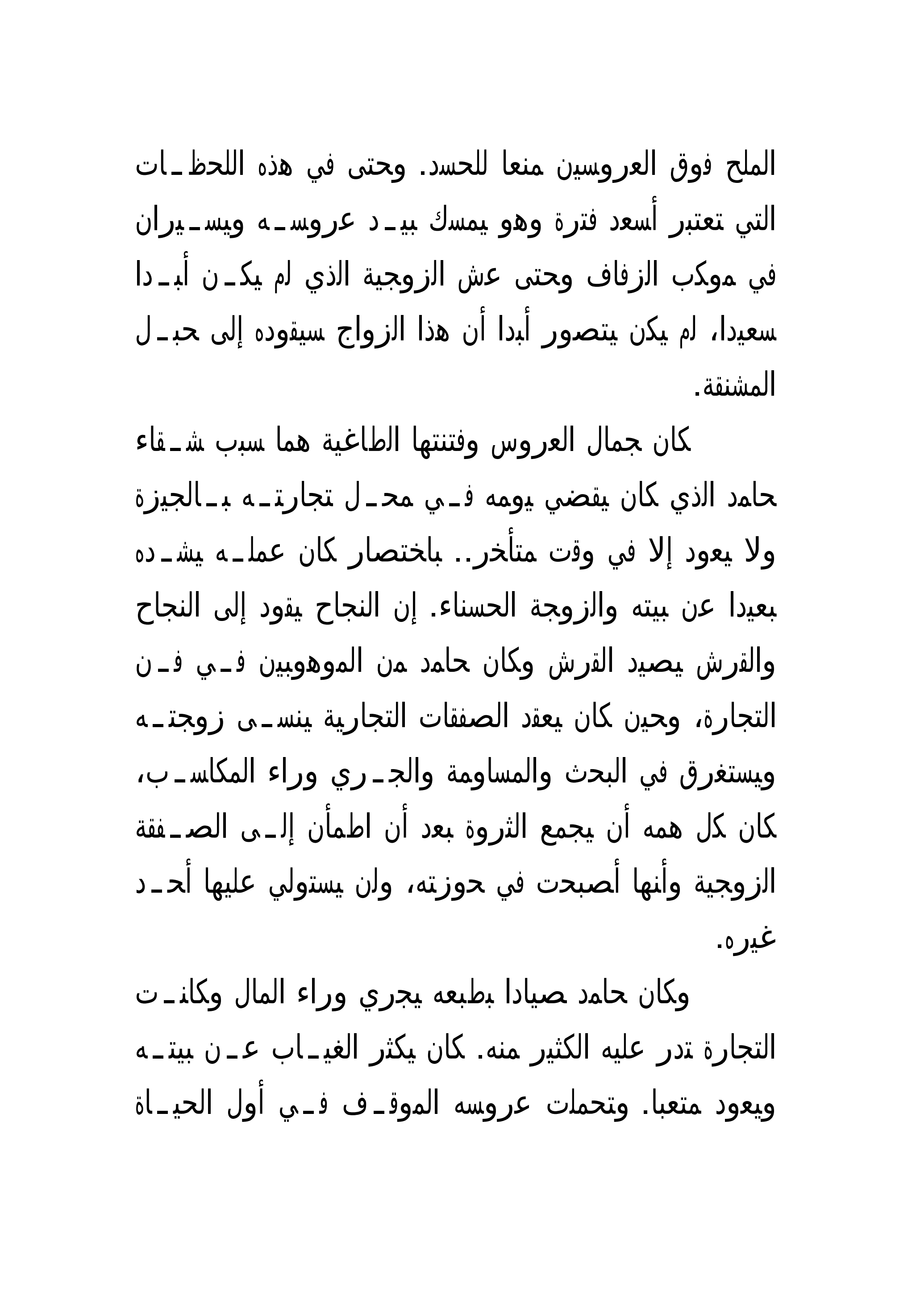
بالبساتين. بعد أن انتهت جميع الحيل القانونية التي لجأ إليها لتأخير إعدامه.

وهكذا كانت تتم ترتيبات الإعدام وتتخذ الإجـراءات بواسطة إدارة السجن وكان قاتل أمه هو الوحيد الذي يجهـل أن نهايته قد حانت،.. وحان موعد القصاص. أما كيف تـم تنفيذ الحكم فيه فسأرجئه إلى ما بعد قصص الأربعة الآخرين لأحكي لك يا عزيزي القارئ تفصيلات إعدام الخمسة الـذين أعدموا في يوم واحد، وحضرت تنفيذ أحكام الإعـدام فـيهم جميعا.

المجرم الثاني: قتل من أجل الصلح

إن المذنب رقم ٢ في قائمـة الإعـدام هـو تـاجر بالجيزة.. وجريمته قتل ثلاثة. ذهب ليصالح زوجته فـأفرغ رصاص مسدسه في صدر شقيقها وشقيقتها وابنـة شـقيقتها وهكذا انقلب الصلح إلى مأتم وانقلبت مائـدة الطعـام التـي أعدتها حماة الزوج لتكون عربونًا للصلح، واختلطت الأطباق بالدماء التي سالت ظلما وعدوانًا.

لم يكن حامد يتصور أبدا أن يرسـم القـدر نهايتـه لحياته بهذه الطريقة، ولم يكن يتخيل أنه سيقف على طبليـة المشنقة ليزهق عشماوي روحه حتى في أفظع الكوابيس التي كان يصاب بها لم يكن أحدهم يصور له هذه الخاتمة الرهيبة وحتى يوم أن جلس في الكوشة بجوار عروسـه سـنية ذات الستة عشر ربيعا البيضاء ذات العيون العسـلية وانطلقـت الزغاريد مجلجلة ودوت الطبول ودقت الـدفوف والراقصـة تتلوى كالثعبان والمطربة تغني ويعلو صوتها النشاز بأغنيات الأفراح وهي تتقدم موكب الزفة بينما شقيقات العروس ينثرن



الملح فوق العروسين منعا للحسد. وحتى في هذه اللحظات التي تعتبر أسعد فترة وهو يمسك بيد عروسه ويسيران في موكب الزفاف وحتى عش الزوجية الذي لم يكن أبدا سعيدا، لم يكن يتصور أبدا أن هذا الزواج سيقوده إلى حبل المشنقة.

كان جمال العروس وفتنتها الطاغية هما سبب شقاء حامد الذي كان يقضي يومه في محل تجارته بالجيزة ولا يعود إلا في وقت متأخر.. باختصار كان عمله يشده بعيدا عن بيته والزوجة الحسناء. إن النجاح يقود إلى النجاح والقرش يصيد القرش وكان حامد من الموهوبين في فن التجارة، وحين كان يعقد الصفقات التجارية ينسى زوجته ويستغرق في البحث والمساومة والجري وراء المكاسب، كان كل همه أن يجمع الثروة بعد أن اطمأن إلى الصفقة الزوجية وأنها أصبحت في حوزته، ولن يستولي عليها أحد غيره.

وكان حامد صيادا بطبعه يجري وراء المال وكانت التجارة تدر عليه الكثير منه. كان يكثر الغياب عن بيته ويعود متعبا. وتحملت عروسه الموقف في أول الحياة

الزوجية كانت تظل ساهرة حتى يعود ويتناولان العشاء معـا لكن بمرور الأيام بدأت تتذمر. طلبت منه أن يخصص لهـا وقتًا كما يخصص لتجارته، قالت له أنها تزوجت رجلاً ولـم تتزوج الأثاث ولا جدران البيت، وأنها تكلـم نفسـها لأنهـا لا تجد من تكلمه في غيابه.

ومضى عام منذ أن تركت العروس الحسناء سـنية منزل أسرتها وزفت إلى حامد تـاجر الجيـزة. عـام كـان المفروض أن تتوثق بينهما أقدس علاقة شرعها ا   بين رجل وامرأة. لكن على العكس من ذلك وثق الخلاف وسوء التفاهم علاقته بالزوج والزوجة. وأصبح الشجار عادة فـلا حامـد يخصص وقتًا لزوجته على حساب التجارة ولا سنية تـرحم حامد من سياط لسانها وثورة أعصابها حين يعود ليلاً متعبا، وكل همه أن يتناول عشاءه ويأوي إلى فراشه.

وبمرور الوقت تعددت الخلافـات واتسـعت الهـوة بينهما ولسوء حظ الزوجين فإنهما لم يرزقا بأطفـال. كـان وجود الطفل سيشغل الزوجة ويملأ فراغها ويجبـر الـزوج على رعاية أسرته.

وهكذا رسم القدر الطريق. في منتصف ليلة صيف. اشتعل الموقف بين سنية وحامد. قالت له إنها لم تعد تطيـق البقاء معه فهـو يحبسـها بـين أربعـة جـدران ويمنعهـا من الخروج ولو لزيارة أسرتها، وطلبـت الطـلاق وتـأزم الموقف ولم تنتظر حتى الصباح أسرعت تجمـع ملابسـها في حقيبة وتترك له البيت عائدة إلى مقرها الأول..

ومضت الأيام وسنية غاضبة فـي منـزل والـدها، ترفض العودة إلى حامد، أولاد الحلال يسعون في الصـلح. أمها تقول إن ابنتها على حق إنها لم تتزوج المال ومن حقها أن تعيش مثل كل زوجة إنها شابة صغيرة وحلـوة فكيـف يحكم عليها بأن تسجن داخل بيت الزوجية تقضـي يومهـا وحيدة.

وتضيف الأم أنها تخشى على ابنتها من يوم ستصاب فيه بانهيار عصبي والسبب هـو زوجهـا الـذي يحـرص على المال أكثر من حرصه على عروسه الشابة.

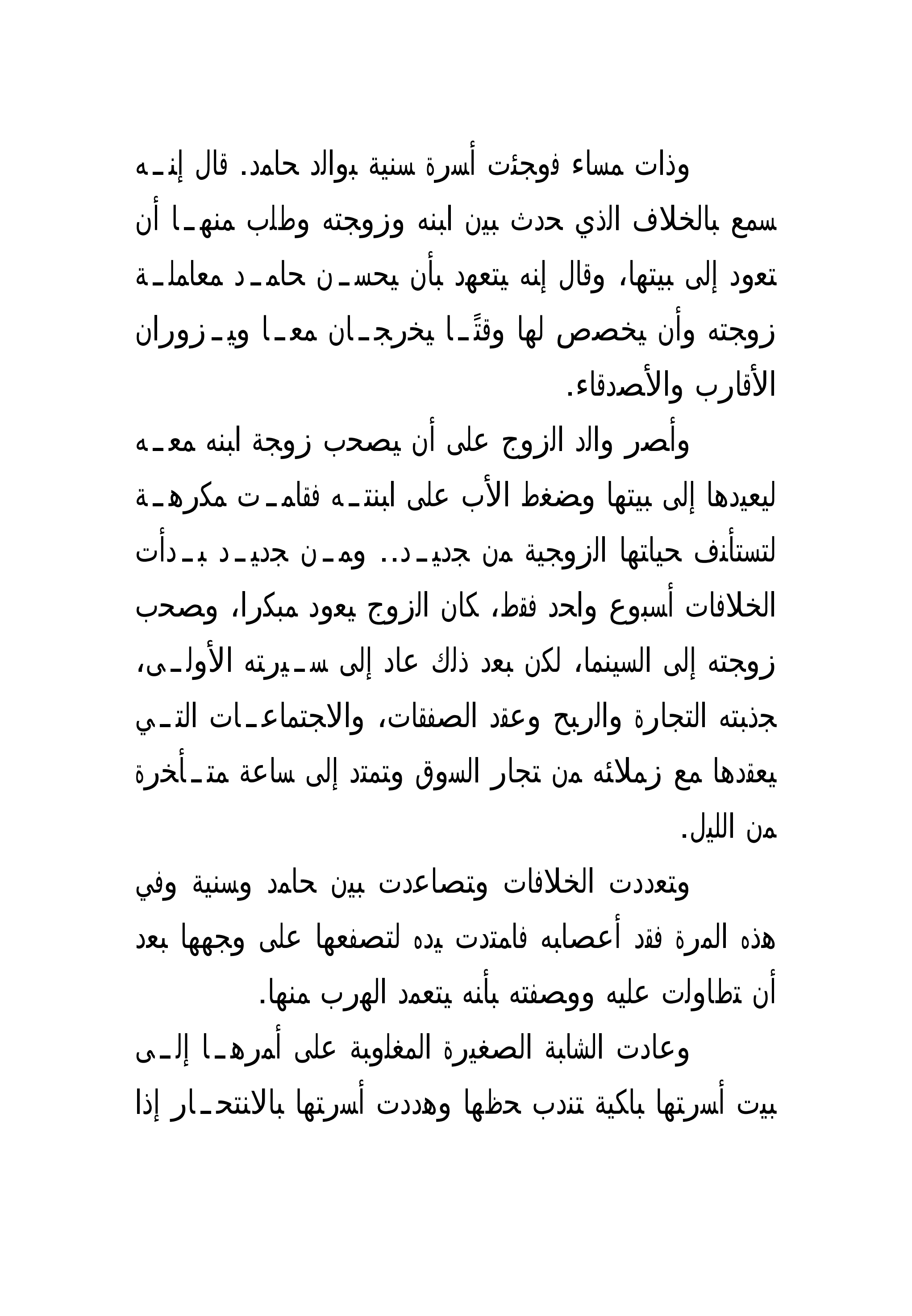
وتصرخ الأخت الكبرى متدخلة فـي الحـديث: إن حامد ظالم إنه تزوج من سنية ليثبت لشباب الحي أنه أفضلهم

جميعا، وأنه يستطيع أن يحصل على كل ما يريد ويقدر على ذلك ما دام معه المال الذي يفتح جميع الأبواب.

وتستطرد الشقيقة: إن الشابة الحلوة الضـاحكة ذات الخدود التفاحي تحولت إلى امرأة عابسة شـاحبة واختفـت حمرة التفاح من الخدود النضرة وحولها الهم والنكـد إلـى وردة ذابلة وحرام أن نتركها هكذا.

ويتدخل الأب: إن الزوج لم يقصر في طلبات بيتـه وهو يتغيب بسبب تجارته، وجمع المال ليس عيبا ولا حراما ويطلب من ابنته أن تصبر وتتحمل.

ولكن سنية تصر على عنادها وترد على أبيها وهـي تبكي:- أبدا لن أرجع له ثانية إنه يفضـل الفلـوس علـي . إنه متزوج من التجارة وليس مني أنا أريد أن أعيش حيـاتي أرجوكم لا أريد أن عاشره ثانية. لم أكن أريد الزواج وأنـا صغيرة. كنت أرغب في تكملة تعليمي، ولكـنكم اسـتعجلتم علي وزوجتموني للفلوس اتركوني في حالي. اتركوني أعود للمدرسة أنا لا زلت صغيرة ويمكنني أن أتعلم ثانية وتغـادر الغرفة مسرعة وهي تبكي وتلحق بها شقيقاتها.



وذات مساء فوجئت أسرة سنية بوالد حامد. قال إنـه سمع بالخلاف الذي حدث بين ابنه وزوجته وطلب منهـا أن تعود إلى بيتها، وقال إنه يتعهد بأن يحسـن حامـد معاملـة زوجته وأن يخصص لها وقتًـا يخرجـان معـا ويـزوران الأقارب والأصدقاء.

وأصر والد الزوج على أن يصحب زوجة ابنه معـه ليعيدها إلى بيتها وضغط الأب على ابنتـه فقامـت مكرهـة لتستأنف حياتها الزوجية من جديـد.. ومـن جديـد بـدأت الخلافات أسبوع واحد فقط، كان الزوج يعود مبكرا، وصحب زوجته إلى السينما، لكن بعد ذلك عاد إلى سـيرته الأولـى، جذبته التجارة والربح وعقد الصفقات، والاجتماعـات التـي يعقدها مع زملائه من تجار السوق وتمتد إلى ساعة متـأخرة من الليل.

وتعددت الخلافات وتصاعدت بين حامد وسنية وفي هذه المرة فقد أعصابه فامتدت يده لتصفعها على وجهها بعد أن تطاولت عليه ووصفته بأنه يتعمد الهرب منها.

وعادت الشابة الصغيرة المغلوبة على أمرهـا إلـى بيت أسرتها باكية تندب حظها وهددت أسرتها بالانتحـار إذا

حاولوا إعادتها ثانية إلى حياة الجحيم وفي هذه المرة أصرت على طلب الطلاق، ولما بلغ الخبر أسماع الزوج ثار وهـدد وتوعد وقال إنه لن يطلقها مهما كان وستظل معلقـة طـول حياتها.

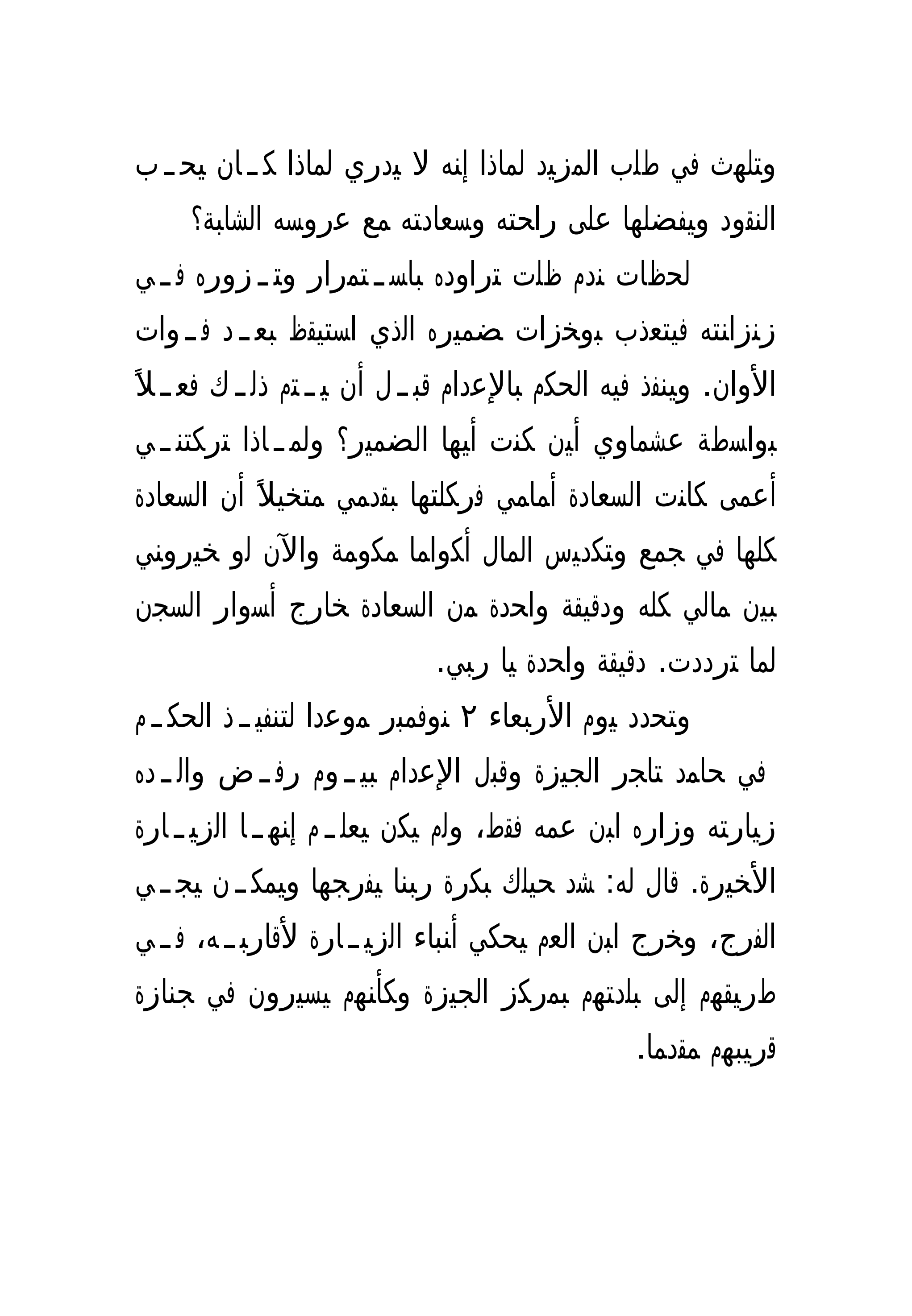
وتدخل الأهل والأقارب بـين الطـرفين، يحـاولون إصلاح الموقف وإعادة المياه إلى مجاريها، ولكـن الزوجـة الصغيرة ركبت رأسها وسـيطرت عليهـا فكـرة العـودة إلى الدراسة، لتحصل على شهادة وتصبح سيدة مثقفة وهـي الصفة التي يفتقدها زوجها حامد.

وفي يوم من أيام الصيف، كـان يومـا مـن أيـام أغسطس شديد القيظ، ويبدو أن شدة الحرارة تدخل كشـريك في ارتكاب الجرائم، وتفقد الإنسان اتزانه وهدوء أعصـابه. لذلك أثبتت الإحصائيات التي أجراها علماء النفس والاجتماع أن ارتكاب الجرائم يكثر في الصيف عنه في الشتاء.

في هذا اليوم توجه حامد ليصالح زوجته الصـغيرة بعد أن أغلق محله كارها، فهو لا يطيق مفارقـة المحـل أو تضييع جزء من الوقت يمكنه أن يربح فيه المال.

كانت أعصابه ثائرة. طلب من زوجتـه أن تجمـع ملابسها فورا وتخرج معه. رفضت وأسرعت إلـى داخـل المنزل فدخل وراءها يحاول أن يرغمها على تنفيـذ أمـره تدخلت والدتها بينهما فنهرها حدثت مشـاجرة بـين الحمـاة وزوج ابنتها وانقلب جو البيت إلى صراخ وتبـادل السـباب وتجمعت أسرة الزوجة الصغيرة واشتعل الموقـف ووجـد الزوج نفسه في طريق مسدود. لم يجد لنفسه مخرجـا منـه فأفرغ طلقات مسدسه في صدر شقيق الزوجة وشقيقتها وابنة شقيقتها وأصاب الزوجة كانت مذبحة بالجملة سقط فيهـا ٣ ضحايا بلا ذنب. وذهب الزوج ليصالح زوجته فـانتهى بـه الصلح إلى حبل المشنقة. وقبل ذلك إلى زنزانة فـي سـجن الاستئناف يعض بنان الندم ويحاسب نفسه على ما فات.

إن حامد كان ضحية لصلفه وغروره. غره الجـري وراء المادة، وعشق المال فوجد في ذلك منتهـى السـعادة. وضرب بعواطف زوجته الشابة عرض الحـائط، وعنـدما تذكر قسوته عليها وهجرته لها بكى وجـد دموعـه تسـيل بغزارة لماذا ضن عليها بالسعادة وحرمها من الحب. أكـان ذلك ليشبع ذاته النهمة إلى المال دائما. نفسه التـي لا تشـبع



وتلهث في طلب المزيد لماذا إنه لا يدري لماذا كان يحب النقود ويفضلها على راحته وسعادته مع عروسه الشابة؟

لحظات ندم ظلت تراوده باستمرار وتزوره في زنزانته فيتعذب بوخزات ضميره الذي استيقظ بعد فوات الأوان. وينفذ فيه الحكم بالإعدام قبل أن يتم ذلك فعلاً بواسطة عشماوي أين كنت أيها الضمير؟ ولماذا تركتني أعمى كانت السعادة أمامي فركلتها بقدمي متخيلاً أن السعادة كلها في جمع وتكديس المال أكواما مكومة والآن لو خيروني بين مالي كله ودقيقة واحدة من السعادة خارج أسوار السجن لما ترددت. دقيقة واحدة يا ربي.

وتحدد يوم الأربعاء ٢ نوفمبر موعدا لتنفيذ الحكم في حامد تاجر الجيزة وقبل الإعدام بيوم رفض والده زيارته وزاره ابن عمه فقط، ولم يكن يعلم إنها الزيارة الأخيرة. قال له: شد حيلك بكرة ربنا يفرجها ويمكن يجي الفرج، وخرج ابن العم يحكي أنباء الزيارة لأقاربه، في طريقهم إلى بلدتهم بمركز الجيزة وكأنهم يسيرون في جنازة قريبهم مقدما.

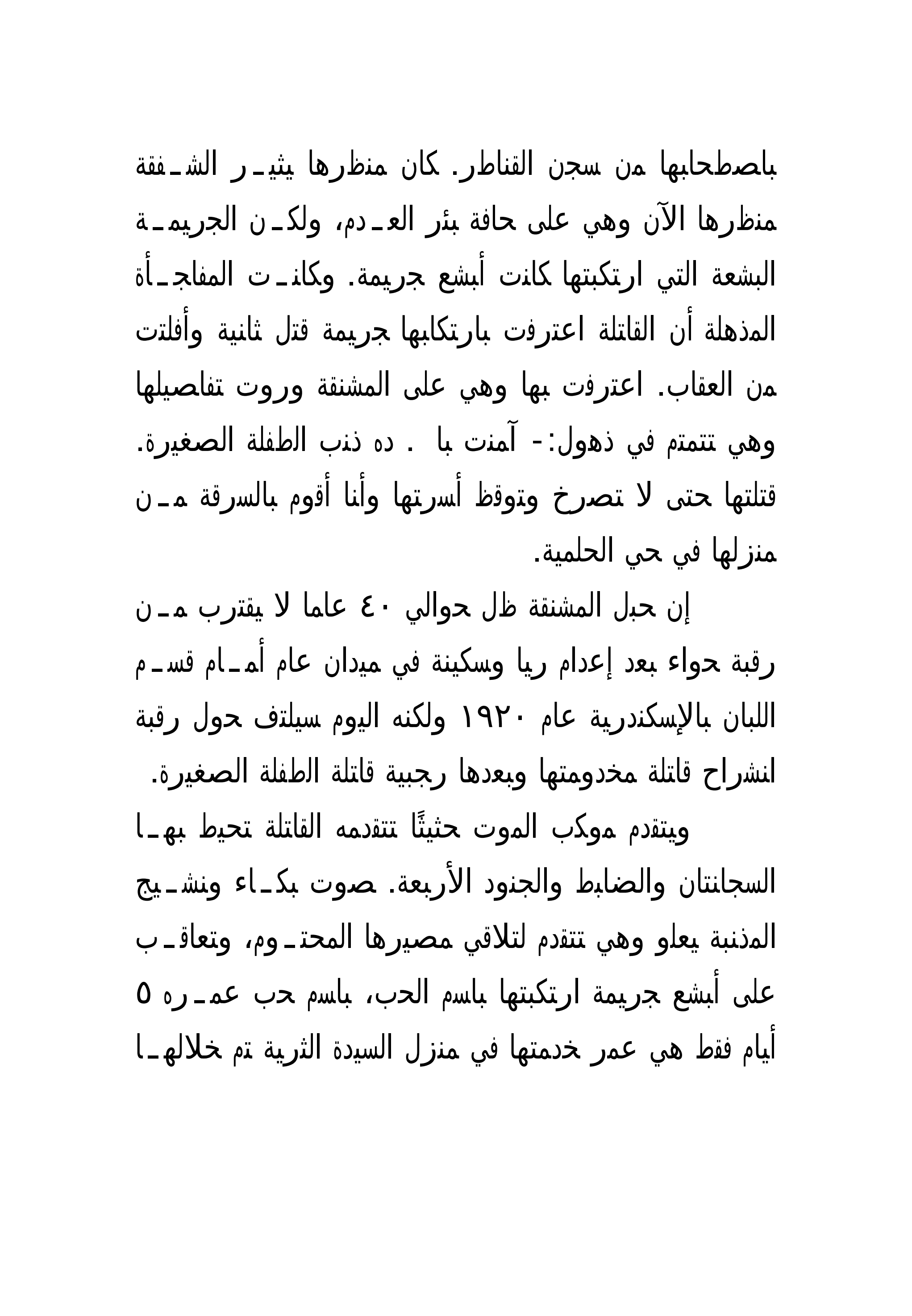
المجرم الثالث: امرأة

عند إعدامها اعترفت بجريمة لم تعاقب عليها

وفي نفس اليوم تحدد إعدام انشراح قاتلة مخـدومتها وقبلها بثلاث سنوات قتلت طفلة عمرها سنتان وأفلتـت مـن العقاب. إن انشراح هي أول امرأة تعدم بعد ريـا وسـكينة بحوالي ٤٠ عاما. ورقمها في موكب الموت هو الرقم ثلاثة.

لقد شهدت أحداث الجريمة عقب ارتكابها فـي حـي العباسية، ومنظر الضحية وقد شوهها الماء المغلي والبوتاس وجحظت عيناها بعد أن خنقتها القاتلة في تـوحش وسـرقت نقودها. كان منظرا رهيبا. كنت أقوم بتغطية الحادث البشـع ضمن عملي كمحررة في قسم الجرائم. والآن أشهد القصاص العادل من مجرمة محترفة لم تشفق على ضـحاياها وهـي تزهق أنفاسهم وتسرق مصوغاتهم.

كانت خواطري تدور مسرعة في رأسي وأنا أشـاهد موكب الموت يدخل من بوابة سـجن الاسـتئناف. القاتلـة في ثوب أحمر تبكي في انهيار تسير بين السجانتين المكلفتين



باصطحابها من سجن القناطر. كان منظرها يثيـر الشـفقة منظرها الآن وهي على حافة بئر العـدم، ولكـن الجريمـة البشعة التي ارتكبتها كانت أبشع جريمة. وكانـت المفاجـأة المذهلة أن القاتلة اعترفت بارتكابها جريمة قتل ثانية وأفلتت من العقاب. اعترفت بها وهي على المشنقة وروت تفاصيلها وهي تتمتم في ذهول:- آمنت با . ده ذنب الطفلة الصغيرة. قتلتها حتى لا تصرخ وتوقظ أسرتها وأنا أقوم بالسرقة مـن منزلها في حي الحلمية.

إن حبل المشنقة ظل حوالي ٤٠ عاما لا يقترب مـن رقبة حواء بعد إعدام ريا وسكينة في ميدان عام أمـام قسـم اللبان بالإسكندرية عام ١٩٢٠ ولكنه اليوم سيلتف حول رقبة انشراح قاتلة مخدومتها وبعدها رجبية قاتلة الطفلة الصغيرة.

ويتقدم موكب الموت حثيثًا تتقدمه القاتلة تحيط بهـا السجانتان والضابط والجنود الأربعة. صوت بكـاء ونشـيج المذنبة يعلو وهي تتقدم لتلاقي مصيرها المحتـوم، وتعاقـب على أبشع جريمة ارتكبتها باسم الحب، باسم حب عمـره ٥ أيام فقط هي عمر خدمتها في منزل السيدة الثرية تم خلالهـا

الاتفاق بين انشراح الشغالة الجديدة وطباخ السيدة. تم الاتفاق على القتل والسرقة والهرب ليتزوج الاثنان بعد ذلك.

وكان صباحا عاديا. أعدت الشغالة الجديـدة طعـام الإفطار لمخدومتها الثرية، ودخلت إلى الحمام تتظاهر بغسل الملابس وكان هذا هو الجزء الأول مـن الخطـة المـدبرة. انتظرت حتى وصل الماء إلى درجة الغليان ثم وضعت فيـه البوتاس وفاجأت مخدومتها بإلقاء الماء المغلي عليهـا ولمـا سقطت الضحية على الأرض انقضت عليها تخنقهـا بحبـل يساعدها الطباخ العاشق حتى لفظت آخر أنفاسها وبسـرعة جمع الاثنان المصوغات والحلي والنقود وهربا ليتزوجا. لكن يد العدالة كانت في أثرهما ولم يتحقق لهمـا مـا أرادا وتـم ضبطهما بعد تحريات لرجال المباحث أوصلتهم إلى الهاربين وحكم على الطباخ بالأشغال الشاقة المؤبدة، وعلى انشـراح بالإعدام، إنها كانت تتوسل إلى الواقفين أمامها فـي سـاحة الإعدام ليرحموها. وهل رحمت هي ضحيتها الأولى الطفلـة ذات العامين؟ وهل أشفقت على السيدة العجوز التي أكرمتها وآوتها في بيتها حين طرقت الباب متظاهرة بأنها بائسة فقيرة وفي حاجة إلى عمل شريف إنها مجرمة بطبعهـا وشـريرة

ولكي يصلح المجتمع يجب عليه أن يجتث شجرة الشر من جذورها. ﴿ولكُم فِي القَصاصِ حياةٌ يا أُولِي الألْبابِ﴾

صدق ا العظيم

ونترك عشماوي يعد غرفة الإعدام لاستقبال أول امرأة تشنق بعد ريا وسكينة، وسأعود إلى وصف عملية تنفيذ حكم الإعدام في القاتلة بالتفصيل إنها كانت تصرخ في رعب ولا زلت أتذكر منظرها، وهي تدخل الغرفة السوداء ترتفع صرخاتها الهيستيرية، إنها كانت تتشبث بالحياة في جنون وترفض الموت لعلها كانت تدرك سواد مصيرها لفرط ما ارتكبت من جرائم. وكانت هي الوحيدة التي جرحت رقبتها وسال منها الدم أثناء عملية الشنق، إن منظرها وهي تعدم لا يفارق عيني حتى الآن..

المجرم رقم ٤: امرأة

قتلت طفلة لتسرق قرطها

والرقم ٤ في قائمة الإعدام امرأة أيضاً اسمها رجبية. قتلت طفلة عمرها ٥ سنوات، لتسرق قرطها الذهبي وثمنه في هذا الوقت كان ٣ جنيهات فقط. إن رجبية تشترك مع فتوح قاتلة الإسكندرية والتي أعدمت بعدها بأسبوع في الدافع إلى الجريمة، وهو سرقة حلي الأطفال.

رأيتها وموكب الموت التقليدي يتقدم مجتازا بوابة سجن الاستئناف تحيط بها سجانتان، وقبل ذلك ظلت في سيارة خارج السجن أثناء إعدام زميلتها. وانطبعت صورتها في ذاكرتي. شابة في حوالي الثامنة والعشرين من عمرها. يعلو وجهها مسحة من جمال نظراتها زائغة هنا وهناك ثم إلى لا شيء. فاجأتها عدسات التصوير فظلت تسير تتوسط السجانتين، والضابط بمسدسه يتقدم الموكب وفي الخلف يسير الجنود، لم تكن تتكلم. كانت أشجع من قاتل أمه الذي نزل من زنزانته محمولاً على أيدي الحراس.

وجلست المذنبة في الغرفـة تنتظـر تنفيـذ الحكـم بإعدامها. أخذت يداها ترتعـدان بشـدة. تـوزع نظراتهـا على المحيطين بها. كأنها تريد أن تعرف حقيقة ما سـيحدث لها بعد قليل. كيف ستعدم وبماذا ستحس. هل ستتألم؟ كيـف سيأخذونها إلى المشنقة. إنها أشياء مجهولة. تواجههـا لأول وآخر مرة. إنها لم تفكر في مصيرها المؤلم حـين ارتكبـت جريمتها الفظيعة.

ومن صـدرها أخرجـت منـديلاً أبـيض. رفعتـه إلى عينيها تمسح دموعها لا أعرف إن كانت دموع النـدم أم الحزن علـى مفارقـة الـدنيا؟ ثـم قالـت وهـي تصـيح في هيستيرية: أنا حاموت خلاص حيشنقوني خـلاص. أنـا عارفة كل حاجة. عارفة إن النقض اترفض وحاموت حالاً.

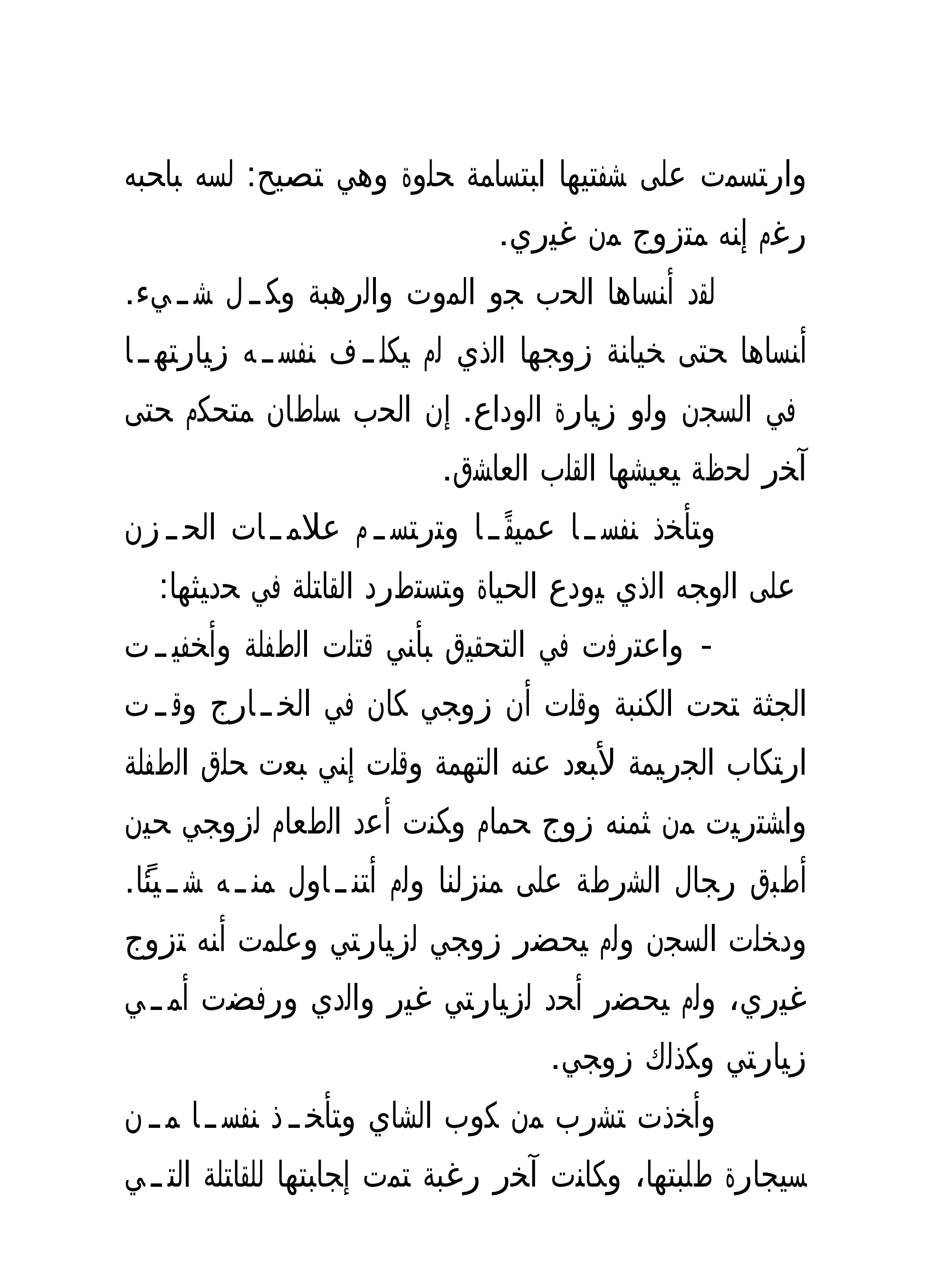
وعاد المنديل الأبيض يسمح سيل الـدموع المنهمـر وبدأت تتحدث إلى نفسها أكثر مما توجه حديثها إلى الواقفين حولها.

قالت: جوزي السبب. هو اللي بعتني لحبل المشنقة. ده رجل شقي: رماني في السجن وتزوج من أخرى. هو اللي قتل الطفلة، وجعلني أتحمل القضية حتـى لا يحكـم عليـه

بالإعدام. خدعني قال لي: اعترفي أنت بالجريمـة فهـم لا يشنقون السيدات أما إذا اعترفت أنا فسأعدم.

وحكت المذنبة قصة رهيبة قالت: إن زوجها أخذ ٣٠ جنيها من سيدة ليقتل بنت ضرتها الطفلة. قالت إنـه أعطـى عشرة قروش لإحدى الجارات لكي تستدرج الطفلة البريئـة إلى المنزل، وأحضرت الطفلـة، وحضـر زوجهـا وأحـد الأشقياء معه. وأمسك الـزوج بالطفلـة. وكانـت تضـحك في براءة ولا تدري ما سينزله بها هـذا الـوحش الآدمـي. الذي جذبها من شعرها فأوقعها على الأرض وأمسك زميلـه برجليها، بينما انقض الزوج عليها فخنقها. ثم أخذ الحلق من أذنيها وقام بإخفاء الجثة تحت الكنبة.

واستطردت المذنبة في اعترافاتها: قال زوجي: لـو قدمت إلى المحاكمة سيعدموني لكن أنت لا. فهم لا يشـنقون الستات، وصدقته لأني كنت أحبه وأعبده، وكنت أحسب أنني باعترافي بالجريمة سأنقذ رقبته من المشنقة، وأخـرج مـن السجن فنلتقي مرة ثانية ونعيش معا، إنه خـدعني. أرسـلني للمشنقة وتزوج من امرأة أخـرى. لكنـي لا زلـت أحبـه.



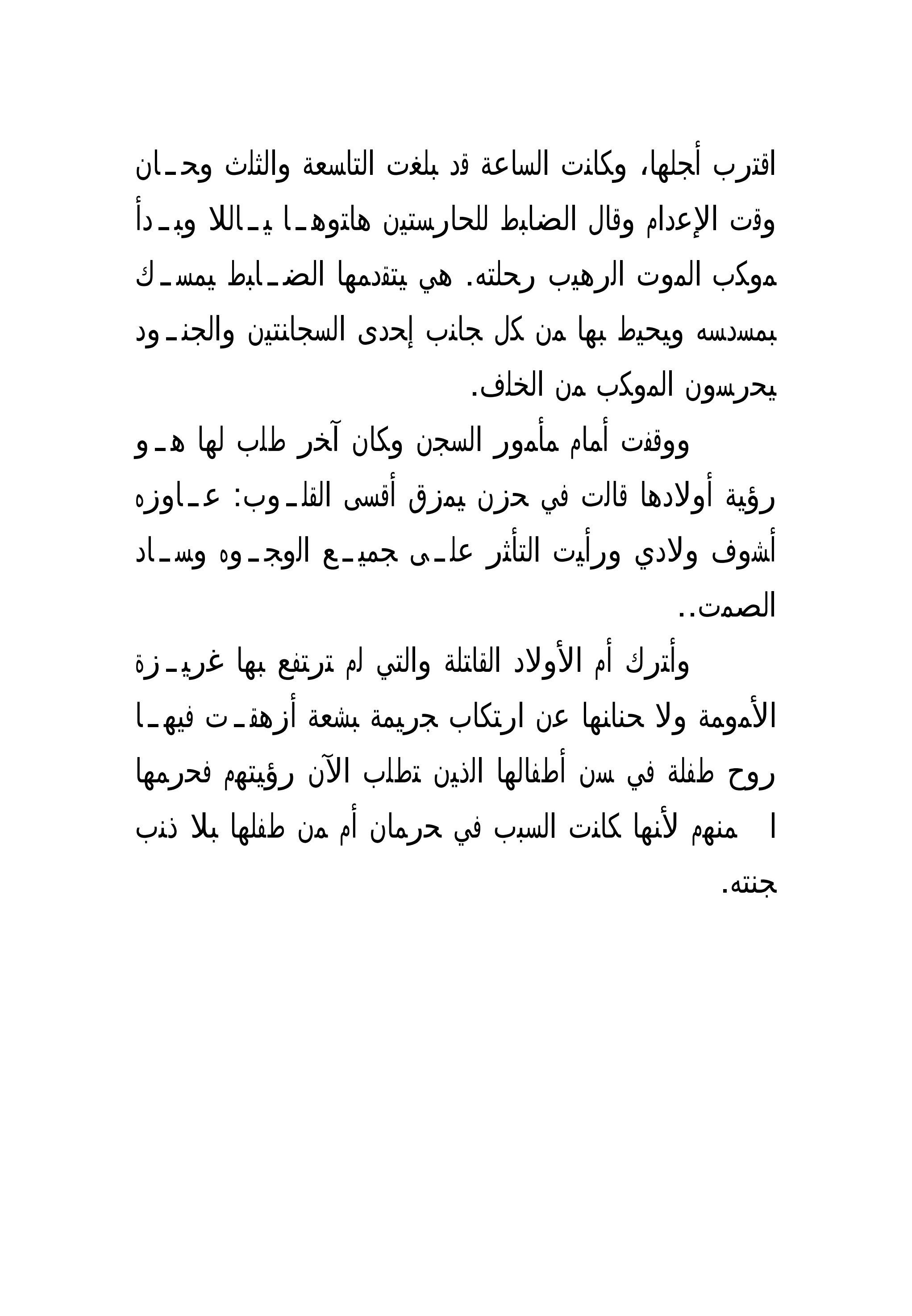
وارتسمت على شفتيها ابتسامة حلوة وهي تصيح: لسه باحبه رغم إنه متزوج من غيري.

لقد أنساها الحب جو الموت والرهبة وكـل شـيء. أنساها حتى خيانة زوجها الذي لم يكلـف نفسـه زيارتهـا في السجن ولو زيارة الوداع. إن الحب سلطان متحكم حتى آخر لحظة يعيشها القلب العاشق.

وتأخذ نفسـا عميقًـا وترتسـم علامـات الحـزن على الوجه الذي يودع الحياة وتستطرد القاتلة في حديثها:

- واعترفت في التحقيق بأني قتلت الطفلة وأخفيـت الجثة تحت الكنبة وقلت أن زوجي كان في الخـارج وقـت ارتكاب الجريمة لأبعد عنه التهمة وقلت إني بعت حلق الطفلة واشتريت من ثمنه زوج حمام وكنت أعد الطعام لزوجي حين أطبق رجال الشرطة على منزلنا ولم أتنـاول منـه شـيئًا. ودخلت السجن ولم يحضر زوجي لزيارتي وعلمت أنه تزوج غيري، ولم يحضر أحد لزيارتي غير والدي ورفضت أمـي زيارتي وكذلك زوجي.

وأخذت تشرب من كوب الشاي وتأخـذ نفسـا مـن سيجارة طلبتها، وكانت آخر رغبة تمت إجابتها للقاتلة التـي



اقترب أجلها، وكانت الساعة قد بلغت التاسعة والثلث وحـان وقت الإعدام وقال الضابط للحارستين هاتوهـا يـالله وبـدأ موكب الموت الرهيب رحلته. هي يتقدمها الضـابط يمسـك بمسدسه ويحيط بها من كل جانب إحدى السجانتين والجنـود يحرسون الموكب من الخلف.

ووقفت أمام مأمور السجن وكان آخر طلب لها هـو رؤية أولادها قالت في حزن يمزق أقسى القلـوب: عـاوزه أشوف ولادي ورأيت التأثر علـى جميـع الوجـوه وسـاد الصمت..

وأترك أم الأولاد القاتلة والتي لم ترتفع بها غريـزة الأمومة ولا حنانها عن ارتكاب جريمة بشعة أزهقـت فيهـا روح طفلة في سن أطفالها الذين تطلب الآن رؤيتهم فحرمها ا منهم لأنها كانت السبب في حرمان أم من طفلها بلا ذنب جنته.

المجرم الخامس: قتل صديقه

من أجل راديو لا يساوي جنيها

كان الأخير في قائمة الموت هذا اليوم هـو رقـم ٥ منحه القدر ساعتين زيادة في عمـره. إذ تحـددت السـاعة العاشرة صباحا لينفذ فيه حكم الإعدام إنه أغرب قاتل شهدته في حياتي. باع عمره وأضاع حياته ثمنًـا لراديـو صـغير وبضعة جنيهات.

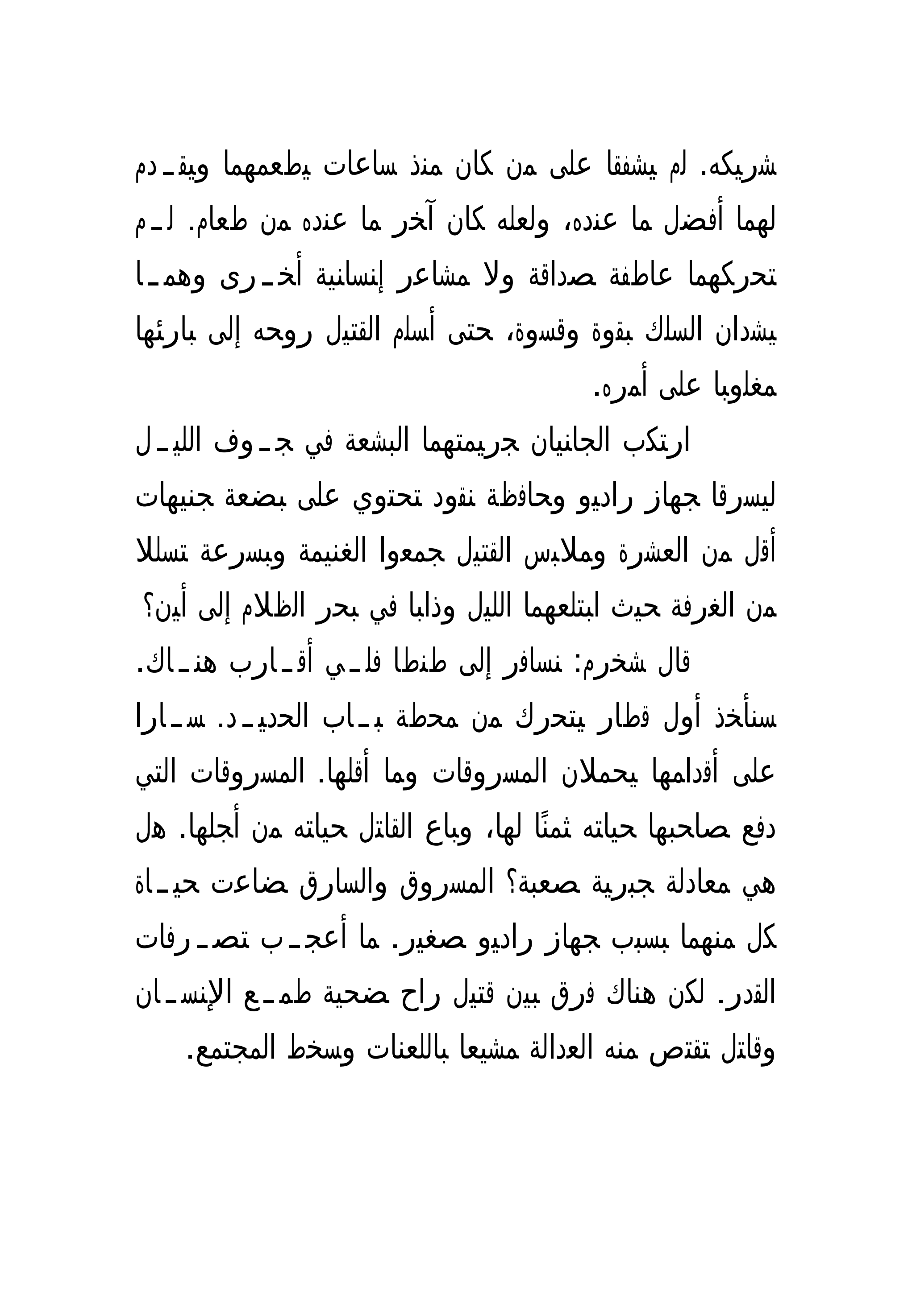
قتل صديقه الطباخ، خان الصداقة والعـيش والملـح وباع روحه للشيطان، ووقف الآن يواجـه المـوت جـزاء على ما ارتكب يواجـه عشـماوي وهيئـة تنفيـذ الحكـم والصحفيين بنظرات زائغة مشتتة لا تستقر على شيء بينمـا كان وجهه خاليا من أي انفعال، إنه المذنب رقم ٥ وشـهرته شخرم الحشاش قاتل صديقه.

في غرفة بحي السيدة كان يقطـن الطبـاخ القتيـل بمفرده. حياته عادية تسير في مجراها الطبيعي. رجل مكافح يعمل ويكدح، ليكسب لقمة عيشه بعرق جبينه. ويأتي مسـاء

يوم من أيام الصيف ليعترض ذلك المجرى بجريمـة غيـر بشعة أودت بحياة قاطن الغرفة دون جريرة. اللهم إذا اعتبرنا أن شهامته وكرمه وإحسانه لصديق غادر جريمة..

طارق يطرق الباب في إلحاح. فتح الباب وكان هناك في مدخل الباب الصديق وشخص آخر مجهول فـتح لهمـا ورحب بهما فهو رجل كريم وعلى مائدة العشاء جلس الثلاثة يتناولون طعام أعده الطباخ احتفالاً بضـيفيه وذهـب بهـم الحديث مذاهب شتّى. يتشعب إلى الماضـي أحيانًـا ويأخـذ بأطراف الحاضر ويتطرق إلـى المسـتقبل. وتعلـو أنغـام موسيقية مبعثها جهاز راديو صغير يمتلكه الصديق الطبـاخ وكان شخرم يختلس النظرات إلى الراديو من حين لآخر.

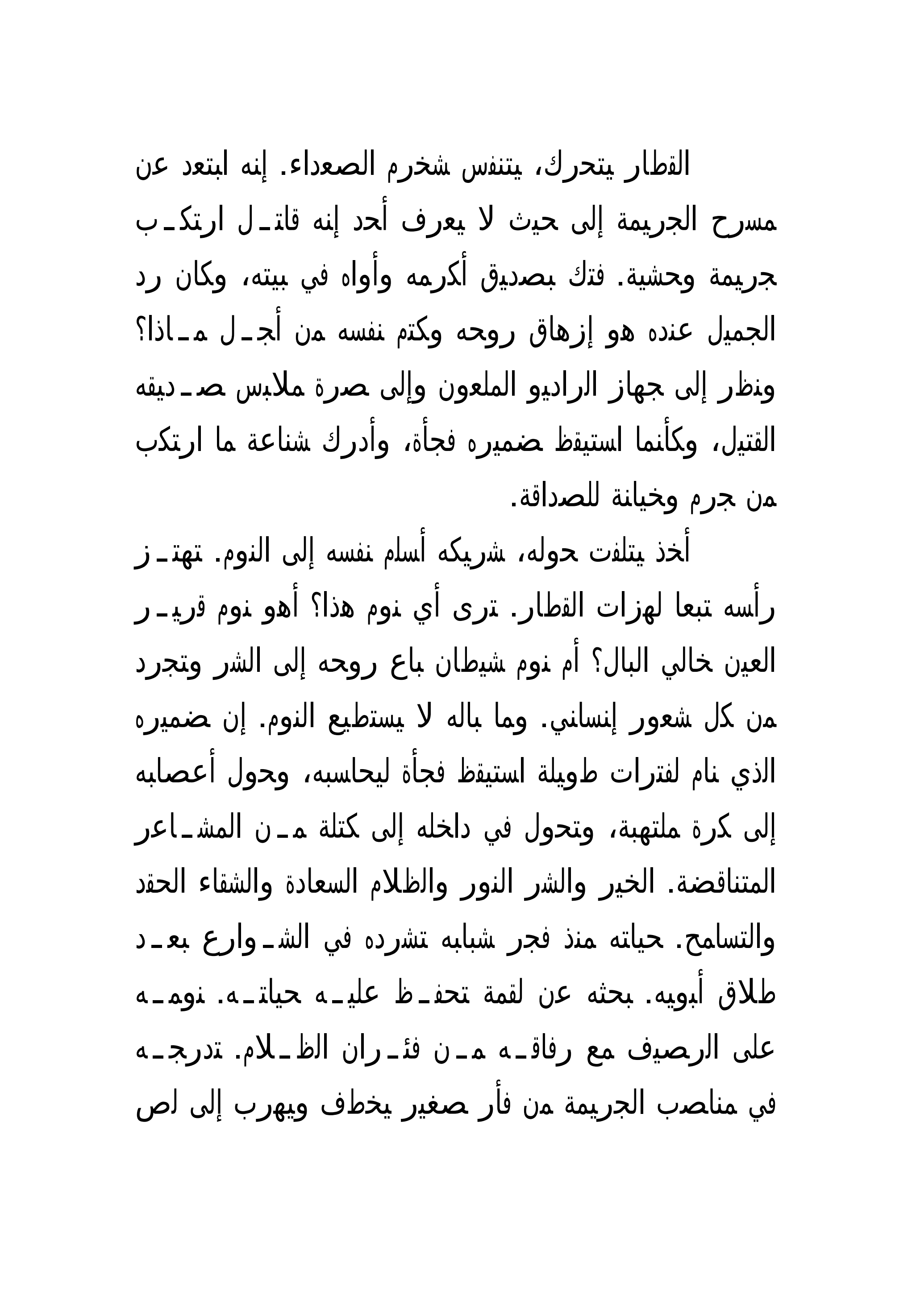
والليل يمد جناحيه، لينام الوجود تحت ستاره الأسود الذي يخفي كل شيء في طيات الظلام. كان الطباخ ينام آمنًا بعد أن استضاف صديقه شخرم وشريكه. كان يرقـد علـى الكنبة والضيفان على السرير. نام الطباخ آمنًا. لم يكن يدري أن شيطان الغدر يجري في دم صـديقه وأن يـد الإحسـان ستقابل بالإساءة. وتأكد الجانيان أن صاحب البيت راح فـي نوم عميق، فأسرع شخرم يخنقه بسـلك الراديـو يسـاعده



شريكه. لم يشفقا على من كان منذ ساعات يطعمهما ويقدم لهما أفضل ما عنده، ولعله كان آخر ما عنده من طعام. لم تحركهما عاطفة صداقة ولا مشاعر إنسانية أخرى وهما يشدان السلك بقوة وقسوة، حتى أسلم القتيل روحه إلى بارئها مغلوبا على أمره.

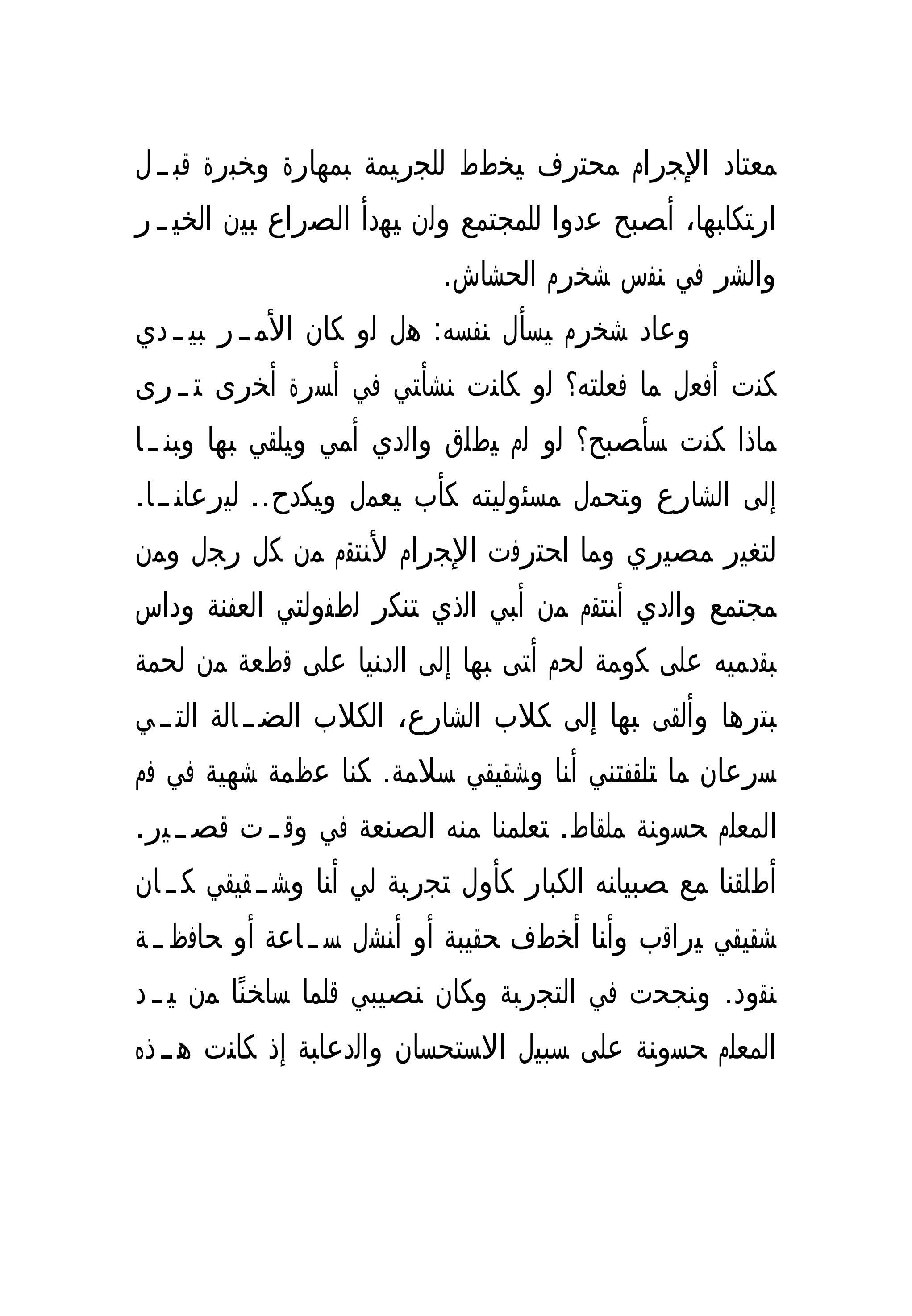
ارتكب الجانيان جريمتهما البشعة في جوف الليل ليسرقا جهاز راديو وحافظة نقود تحتوي على بضعة جنيهات أقل من العشرة وملابس القتيل جمعوا الغنيمة وبسرعة تسللا من الغرفة حيث ابتلعهما الليل وذابا في بحر الظلام إلى أين؟

قال شخرم: نسافر إلى طنطا فلي أقارب هناك. سنأخذ أول قطار يتحرك من محطة باب الحديد. سارا على أقدامها يحملان المسروقات وما أقلها. المسروقات التي دفع صاحبها حياته ثمنًا لها، وباع القاتل حياته من أجلها. هل هي معادلة جبرية صعبة؟ المسروق والسارق ضاعت حياة كل منهما بسبب جهاز راديو صغير. ما أعجب تصرفات القدر. لكن هناك فرق بين قتيل راح ضحية طمع الإنسان وقاتل تقتص منه العدالة مشيعا باللعنات وسخط المجتمع.



القطار يتحرك، يتنفس شخرم الصعداء. إنه ابتعد عن مسرح الجريمة إلى حيث لا يعرف أحد إنه قاتـل ارتكـب جريمة وحشية. فتك بصديق أكرمه وأواه في بيته، وكان رد الجميل عنده هو إزهاق روحه وكتم نفسه من أجـل مـاذا؟ ونظر إلى جهاز الراديو الملعون وإلى صرة ملابس صـديقه القتيل، وكأنما استيقظ ضميره فجأة، وأدرك شناعة ما ارتكب من جرم وخيانة للصداقة.

أخذ يتلفت حوله، شريكه أسلم نفسه إلى النوم. تهتـز رأسه تبعا لهزات القطار. ترى أي نوم هذا؟ أهو نوم قريـر العين خالي البال؟ أم نوم شيطان باع روحه إلى الشر وتجرد من كل شعور إنساني. وما باله لا يستطيع النوم. إن ضميره الذي نام لفترات طويلة استيقظ فجأة ليحاسبه، وحول أعصابه إلى كرة ملتهبة، وتحول في داخله إلى كتلة مـن المشـاعر المتناقضة. الخير والشر النور والظلام السعادة والشقاء الحقد والتسامح. حياته منذ فجر شبابه تشرده في الشـوارع بعـد طلاق أبويه. بحثه عن لقمة تحفـظ عليـه حياتـه. نومـه على الرصيف مع رفاقـه مـن فئـران الظـلام. تدرجـه في مناصب الجريمة من فأر صغير يخطف ويهرب إلى لص



معتاد الإجرام محترف يخطط للجريمة بمهارة وخبرة قبل ارتكابها، أصبح عدوا للمجتمع ولن يهدأ الصراع بين الخير والشر في نفس شخرم الحشاش.

وعاد شخرم يسأل نفسه: هل لو كان الأمر بيدي كنت أفعل ما فعلته؟ لو كانت نشأتي في أسرة أخرى ترى ماذا كنت سأصبح؟ لو لم يطلق والدي أمي ويلقي بها وبنا إلى الشارع وتحمل مسئوليته كأب يعمل ويكدح.. ليرعانا. لتغير مصيري وما احترفت الإجرام لأنتقم من كل رجل ومن مجتمع والدي أنتقم من أبي الذي تنكر لطفولتي العفنة وداس بقدميه على كومة لحم أتى بها إلى الدنيا على قطعة من لحمة بترها وألقى بها إلى كلاب الشارع، الكلاب الضالة التي سرعان ما تلقفتني أنا وشقيقي سلامة. كنا عظمة شهية في فم المعلم حسونة ملقاط. تعلمنا منه الصنعة في وقت قصير. أطلقنا مع صبيانه الكبار كأول تجربة لي أنا وشقيقي كان شقيقي يراقب وأنا أخطف حقيبة أو أنشل ساعة أو حافظة نقود. ونجحت في التجربة وكان نصيبي قلما ساخنًا من يد المعلم حسونة على سبيل الاستحسان والدعابة إذ كانت هذه

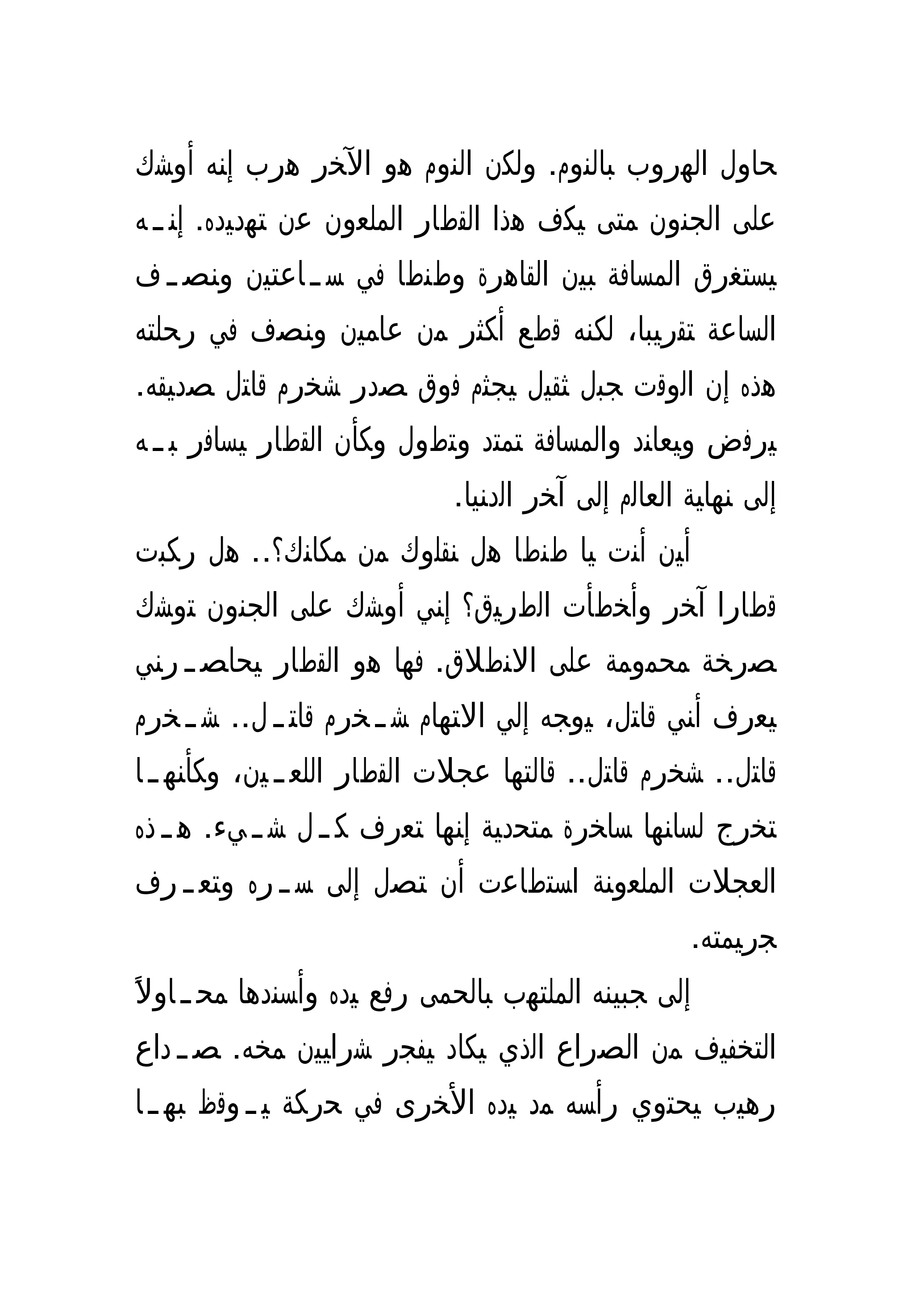
عادته حين يكون مبسوطًا، كان يصفع الصبي بالقلم على قفاه ويثني بشلوت وهو يقهقه – يا ابن الـ..

عجلات القطار تحتك بالقضـبان فتحـدث صـريرا مرتفعا، كأنما القطار كان يتعمد أن يذكر الجـاني بجريمتـه النكراء، تحول الصرير إلى جملة واحدة يكررها القطار فـي سيره وتخترق أذني الجاني.. شخرم قاتل.. شـخرم قاتـل. شخرم قاتل..

وتلفت حوله مذعورا. خاف أن يسمع أحـد غيـره صيحات الاتهام التي يوجهها القطار إليه. لم يجد مـا يلفـت النظر. كل راكب غارق في همومه. والشريك النائم تتطـوح رأسه مع هزات القطار الغاضب.

إنه وحده هو الذي يسمع صيحات الاتهـام يوجههـا القطار إليه إنها لا تنقطع منذ شد القطار أنفاسـه مسـرعا.. تصر عجلاته في سيرها على القضبان الحديديـة. وترتفـع الصيحات أكثر وتتكرر إنها نفس الجملة شخرم قاتل.. شخرم قاتل.. شخرم قاتل..

جملة واحدة لم تتغير. حاول سد أذنيه. لكن الكلمات الرهيبة تسللت من بين أصابعه لتخترق سمعه لا فائـدة إذن



حاول الهروب بالنوم. ولكن النوم هو الآخر هرب إنه أوشك على الجنون متى يكف هذا القطار الملعون عن تهديده. إنه يستغرق المسافة بين القاهرة وطنطا في ساعتين ونصف الساعة تقريبا، لكنه قطع أكثر من عامين ونصف في رحلته هذه إن الوقت جبل ثقيل يجثم فوق صدر شخرم قاتل صديقه. يرفض ويعاند والمسافة تمتد وتطول وكأن القطار يسافر به إلى نهاية العالم إلى آخر الدنيا.

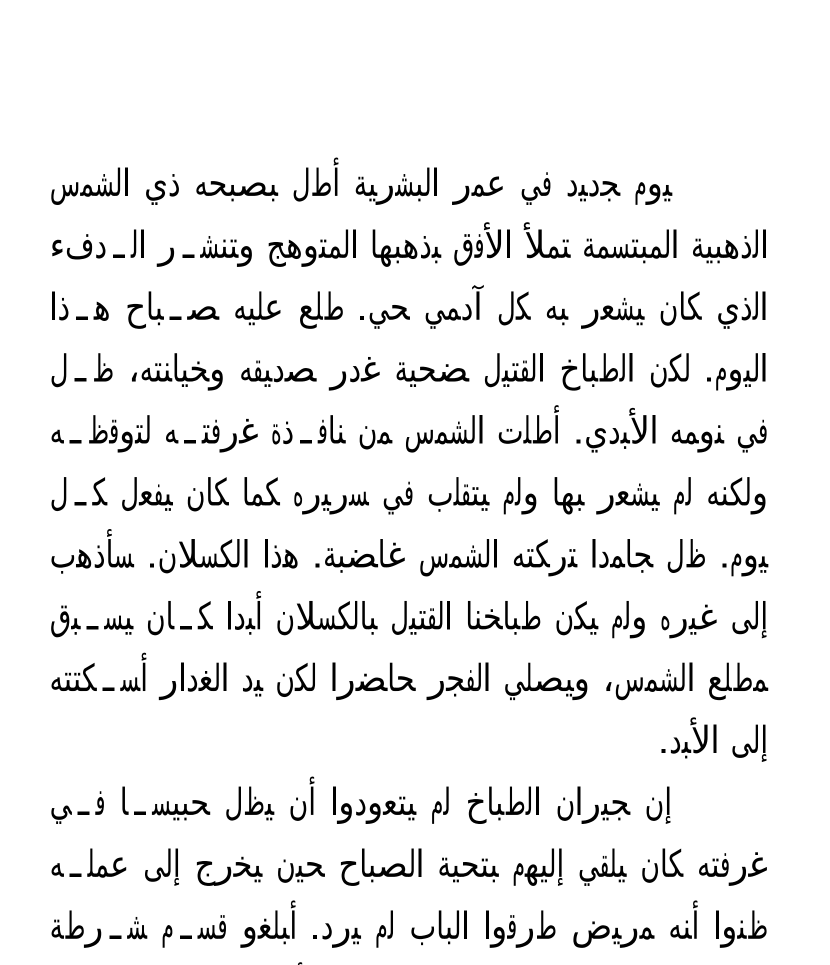
أين أنت يا طنطا هل نقلوك من مكانك؟.. هل ركبت قطارا آخر وأخطأت الطريق؟ إنني أوشك على الجنون توشك صرخة محمومة على الانطلاق. فها هو القطار يحاصرني يعرف أني قاتل، يوجه إلي الاتهام شخرم قاتل.. شخرم قاتل.. شخرم قاتل.. قالتها عجلات القطار اللعين، وكأنها تخرج لسانها ساخرة متحدية إنها تعرف كل شيء. هذه العجلات الملعونة استطاعت أن تصل إلى سره وتعرف جريمته.

إلى جبينه الملتهب بالحمى رفع يده وأسندها محاولاً التخفيف من الصراع الذي يكاد يفجر شرايين مخه. صداع رهيب يحتوي رأسه مد يده الأخرى في حركة يوقظ بها

الشريك النائم، لم تفلح أول هزة ونجحت الثانية فـتح ثـاني الشركاء عينيه في تثاقل. نظر إلى زميله مستفهما. صـرخ فيه:- أنت نائم رايح في النوم مستريح ومبسوط، وأنا وحدي أفكر وأدبر قوم واشترك معايا في الكلام.. كم السـاعة الآن. ومتى نصل إلى طنطا أعصابي لم تعد تتحمل..

وبكلمات نائمة رد الشريك. هانت باقي ربع سـاعة وندخل محطة طنطا. لا تقلق. كله تمام. واقترب منه يهمـس إليه: أضبط أعصابك ولا ترتبك أمام أي عسـكري شـرطة تشاهده في محطة القطار أو في الشارع.

وأخيرا خفف القطار من سرعته وأبطـأ وتحولـت النغمة التي كانت تطلقها عجلات من ثلاث جمل فـي كـل حركة إلى جملة واحدة تتصاعد ببطء.. شخرم قاتل.. وتوقف القطار. بلغ نهاية رحلته. توقف في محطة الوصـول أمـام الساعة الكبيرة وسكنت حركته تماما، ليخرج من جوفه مئات الركاب. يتسربون إلى الخارج. احتوتهم الأرصفة لفترة وهم يحملون حقائبهم ومتعلقاتهم من سلال وغيرها. وتفرقوا فـي الطريق.



يوم جديد في عمر البشرية أطل بصبحه ذي الشمس الذهبية المبتسمة تملأ الأفق بذهبها المتوهج وتنشـر الـدفء الذي كان يشعر به كل آدمي حي. طلع عليه صـباح هـذا اليوم. لكن الطباخ القتيل ضحية غدر صديقه وخيانته، ظـل في نومه الأبدي. أطلت الشمس من نافـذة غرفتـه لتوقظـه ولكنه لم يشعر بها ولم يتقلب في سريره كما كان يفعل كـل يوم. ظل جامدا تركته الشمس غاضبة. هذا الكسلان. سأذهب إلى غيره ولم يكن طباخنا القتيل بالكسلان أبدا كـان يسـبق مطلع الشمس، ويصلي الفجر حاضرا لكن يد الغدار أسـكتته إلى الأبد.

إن جيران الطباخ لم يتعودوا أن يظل حبيسـا فـي غرفته كان يلقي إليهم بتحية الصباح حين يخرج إلى عملـه ظنوا أنه مريض طرقوا الباب لم يرد. أبلغو قسـم شـرطة السيدة، وهكذا تم اكتشاف الجريمة، وبدأ البحـث والتحـري بمعرفة رجال المباحث. إن آخر من زار القتيـل شخصـان طرقا الباب مساء أمس. هكذا قال الجيران. وأكـدت حالـة الغرفة أقوالهم.. منضدة خشبية فوقها أطباق بها بقايا طعـام لثلاثة أشـخاص. محتويـات الغرفـة مبعثـرة ممـا يـدل

على حدوث سرقة. الفوضى في كل مكـان. بينمـا ترقـد الضحية جثة باردة وآثار الخنق تبدو من جحـوظ العينـين وبروز اللسان واللون الأزرق الذي يبدو علـى الجثـة وأداة الجريمة.

غرفة القتيل مزدحمة بزوارها في هـذه المناسـبة. ضباط المباحث رجال الطب الشرعي يعاينون الجثة والوضع الذي وجدت عليه يرفعون البصمات من كل مكان. المحقـق يفتح محضرا بالتحقيق يثبت فيه وقت الإبلاغ عن الجريمـة. ساعة انتقاله إلى مكان حدوثها.. أسماء من معـه الضـباط وبدءا بمدير الأمن ومساعديه وفرقة البحث الجنائي.

واتضحت معالم الجريمة وتكاملت خيوطها في أيدي رجال الشرطة فأسرعوا وراء الجانيين إلـى طنطـا، وتـم ضبطهما بعد أن قاما ببيع الراديو والملابس الخاصة بالقتيل.

وعاد القاتلان إلى القاهرة، إلى مسـرح الجريمـة، اعترفا بأنهما قتلا الطباخ صديقهما، ليسرقا نقوده وملابسـه، أحيلا إلى محكمة الجنايات حيث صدر الحكم علـى شـخرم بالإعدام شنقًا وعلى شريكه بالأشغال الشاقة المؤبدة.

إن المجرمين الخمسة الذين تحدد لتنفيذ أحكام الإعدام فيهم يوم الأربعاء ٢ نوفمبر من عام ١٩٦٠، لم تكن تـربط بينهم رابطة ولم تجمع بينهم مدينـة واحـدة. ولا يعرفـون بعضهم بعضا. ارتكب كل منهم جريمة لهدف مختلف وأزهق روح ضحيته بسبب مختلف. لكن جمع بينهم عشماوي، التقوا به على حبل المشنقة، وجمعت بينهم وحدة المصير المجهول إنهم سيعدمون جميعا في ساعة محددة من هذا الصباح بل تم تحديد ساعة إعدام كل منهم. وحضرت تنفيذ الإعـدام فـي المذنبين الخمسة. في ثاني تجربة لي داخل الغرفة السـوداء. غرفة الإعدام.

نهاية القتلة الخمسة

في الصباح الباكر طرق باب السجن ثلاثة أشـخاص يرتدون الملابس المدنية وبيد كل منهم حقيبة متوسطة. فـتح الحارس البوابة وتبادل تحية الصباح مـع القـادمين. كـان عشماوي ومساعداه يحملون ملابس الإعدام السـوداء (عـدة الشغل) داخل الحقائب وكانت حقيبة عشماوي تحتوي أيضـا على ٦ حبال مستوردة كل حبل مخصص لشنق واحـد مـن المذنبين الخمسة والحبل السادس احتياطي.

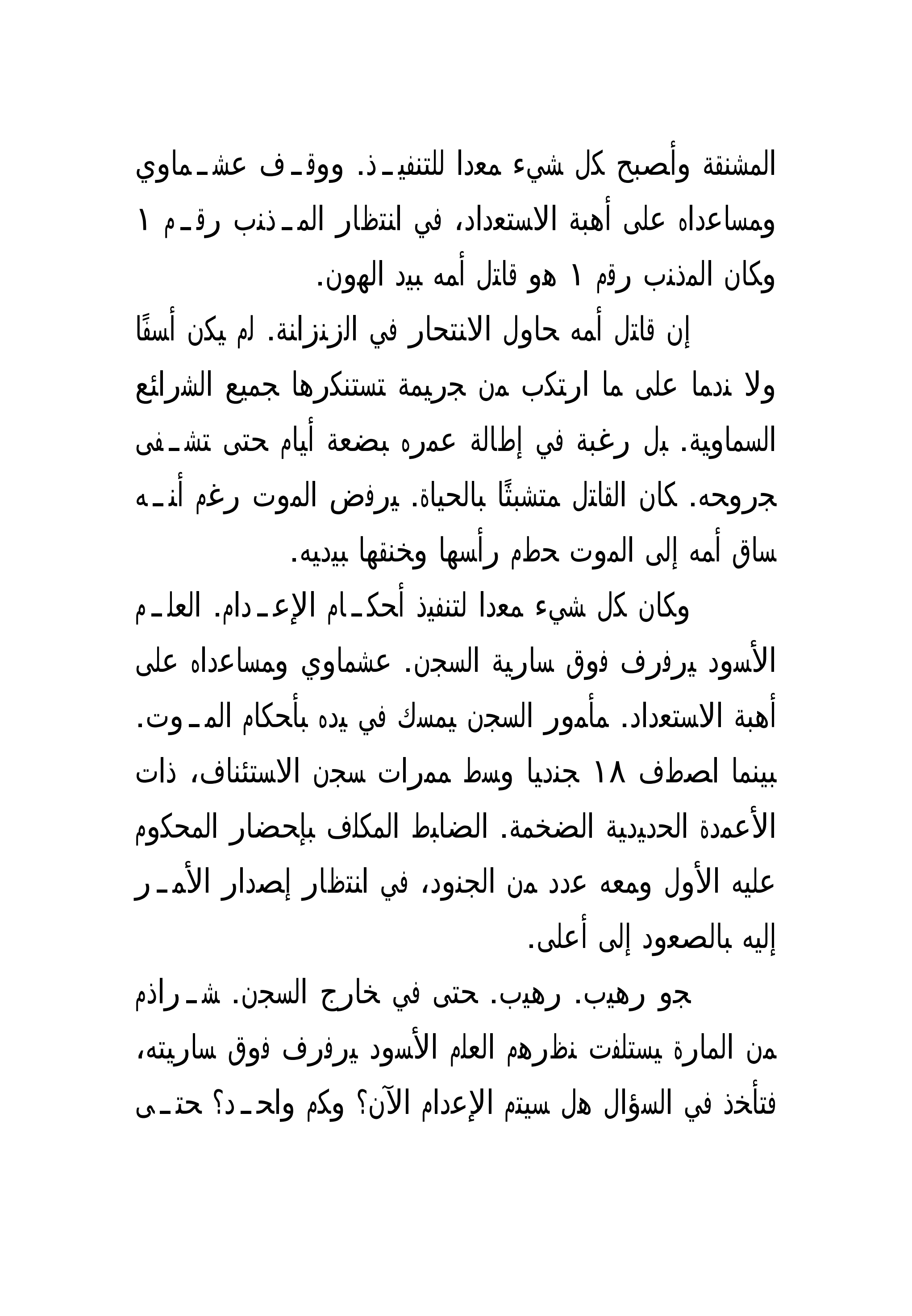
إن حبال الإعدام تصنع من مادة خاصة، وتستوردها مصلحة السجون من الخارج. وثمـن الحبـل الواحـد فـي الستينات كان يتراوح بين ١٠ و ١٥ جنيها. وكان يعد لكـل مذنب حبل يناسبه من حيث الطول والوزن. وكان عشماوي يقوم بهذه العملية قبل التنفيذ بيوم واحـد. يأخـذ أوصـاف وأوزان المحكوم علـيهم بالإعـدام. ويعـد الحبـال طبقًـا للمواصفات كما كان يجري بروفة على الشنق ويتفقد الغرفة السوداء في اليوم السابق.

وتم الإعداد لشنق الخمسة. ثلاثة رجال وامرأتـان. كل شيء كان معدا للموت. حتى الهواء المحيط بنا كنت أشم فيه رائحة الموت، وكان الجو ثقيلاً، لحظات رهيبة تمر بنـا نحن الأحياء الأبرياء البعيدين عن المشنقة. فكيـف بهـؤلاء الذين سيعلقون من رقابهم بحبال تلتـف وتضـغط لتزهـق أنفاسهم. عقابا لهم على ما ارتكبوه من جرائم بشعة وأزهقوا من أرواح بريئة.

عشماوي أو مساعد الشرطة محمد زنفل. على عينيه نظارة سوداء وبيده الحقيبة الشهيرة. يـدخل غرفـة خلـع الملابس، ليبدل الملابس البلدية التي يرتديها بملابس الإعدام السوداء. وكذلك فعل مساعداه زناتي علي وعبد اللطيف أحمد الذي حصل على منصب عشماوي بعد هذه الأحـداث بعـام واحد، حينما أحيل الصول زنفل إلى المعاش.

دخل رجال الموت الثلاثة إلى الغرفة رقم ٣١ خلعوا ملابسهم العادية وخرجوا في ملابـس المـوت. أوفـرولات سوداء صنعت خصيصا لهذه المناسبة.

رأيتهم يتحركون إلى غرفة الإعدام. كـانوا يعـدون الغرفة لتستقبل أول زائريها من المذنبين. علقوا الحبل فـي

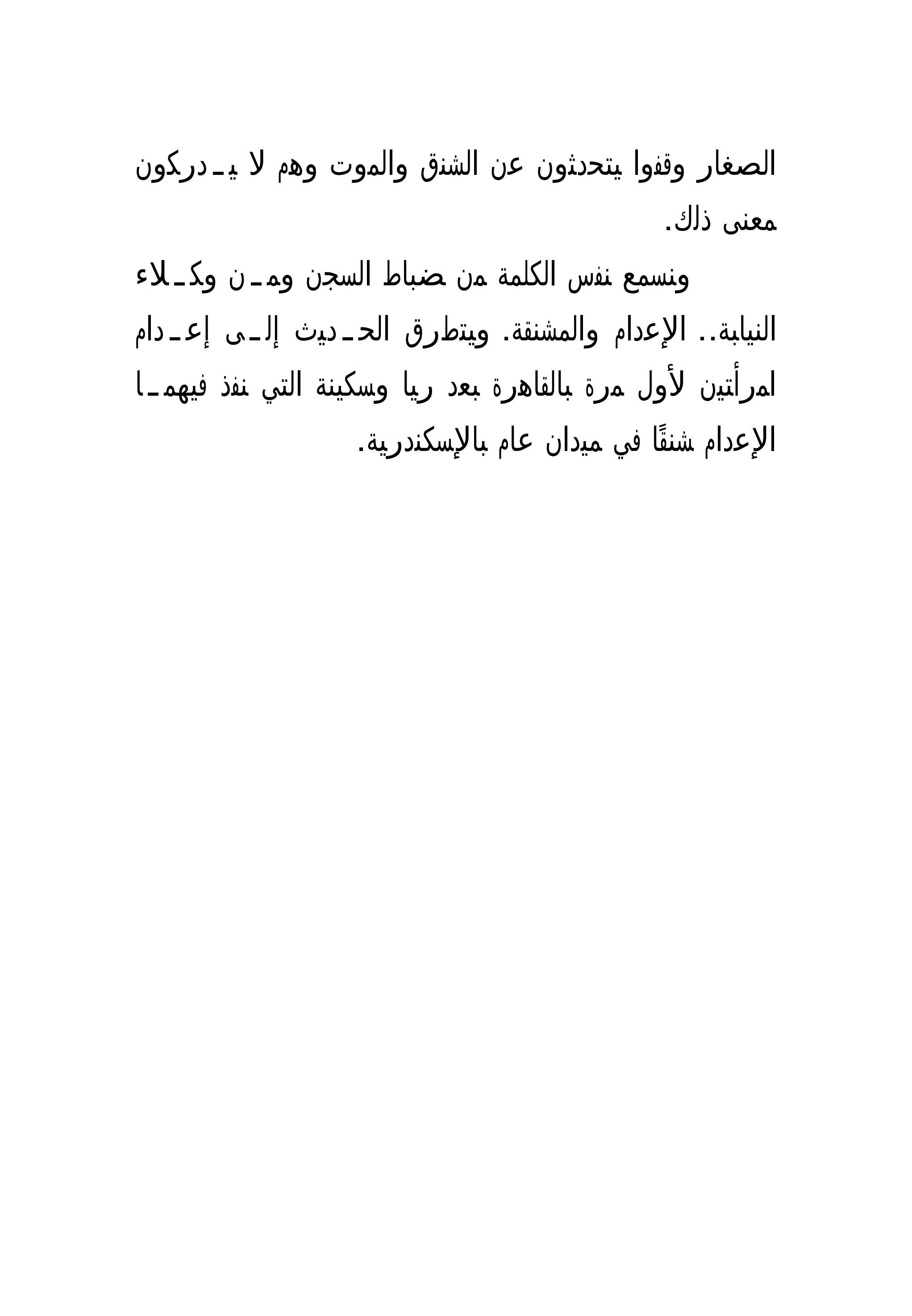


المشنقة وأصبح كل شيء معدا للتنفيـذ. ووقـف عشـماوي ومساعداه على أهبة الاستعداد، في انتظار المـذنب رقـم ١ وكان المذنب رقم ١ هو قاتل أمه بيد الهون.

إن قاتل أمه حاول الانتحار في الزنزانة. لم يكن أسفًا ولا ندما على ما ارتكب من جريمة تستنكرها جميع الشرائع السماوية. بل رغبة في إطالة عمره بضعة أيام حتى تشـفى جروحه. كان القاتل متشبثًا بالحياة. يرفض الموت رغم أنـه ساق أمه إلى الموت حطم رأسها وخنقها بيديه.

وكان كل شيء معدا لتنفيذ أحكـام الإعـدام. العلـم الأسود يرفرف فوق سارية السجن. عشماوي ومساعداه على أهبة الاستعداد. مأمور السجن يمسك في يده بأحكام المـوت. بينما اصطف ١٨ جنديا وسط ممرات سجن الاستئناف، ذات الأعمدة الحديدية الضخمة. الضابط المكلف بإحضار المحكوم عليه الأول ومعه عدد من الجنود، في انتظار إصدار الأمـر إليه بالصعود إلى أعلى.

جو رهيب. رهيب. حتى في خارج السجن. شـراذم من المارة يستلفت نظرهم العلم الأسود يرفرف فوق ساريته، فتأخذ في السؤال هل سيتم الإعدام الآن؟ وكم واحـد؟ حتـى



الصغار وقفوا يتحدثون عن الشنق والموت وهم لا يدركون معنى ذلك.

ونسمع نفس الكلمة من ضباط السجن ومن وكلاء النيابة.. الإعدام والمشنقة. ويتطرق الحديث إلى إعدام امرأتين لأول مرة بالقاهرة بعد ريا وسكينة التي نفذ فيهما الإعدام شنقًا في ميدان عام بالإسكندرية.

العشاء الأخير

كانت الساعة تقترب من الثامنة صباحا. موعد إعدام قاتل أمه يقترب. كان في زنزانته رقم ٣١. تناول عشاءه الأخير بناء على طلبه كان يتكون من رطل كباب وفرخة محمرة وفي الصباح طلب إفطارا من التفاح والبيض والحلاوة والشاي.

الدقائق تمر مسرعة. هيئة تنفيذ الأحكام تغادر غرفة مأمور السجن، لتقف أمام غرفة الإعدام، وأمر رئيس الهيئة بإحضار المذنب رقم ١.

صعد النقيب وهبه عبد المتعال ومعه ٣ حراس إلى الدور الثاني. فتح السجان الزنزانة، وطلب الضابط من المذنب النزول إلى الفسحة. أدرك بإحساسه الداخلي ومن نظرات الضابط أن نهايته حانت رأى حبل المشنقة يتأرجح أمام عينيه وجثته تتراقص في الهواء. لم يدرك معنى الكلام الذي يوجهه إليه الضابط. عرف أن عمره الباقي في هذه الدنيا هو دقائق محسوبة بالثانية. كان هذا أقوى من

احتماله. انهارت أعصابه فأسرع أحد الحراس وقيـد يديـه بالكلابشات خلف ظهره. وارتمى القاتل على أرض الزنزانة. كان يحاول أن يبعد شبح الموت عنه ولو لدقائق.

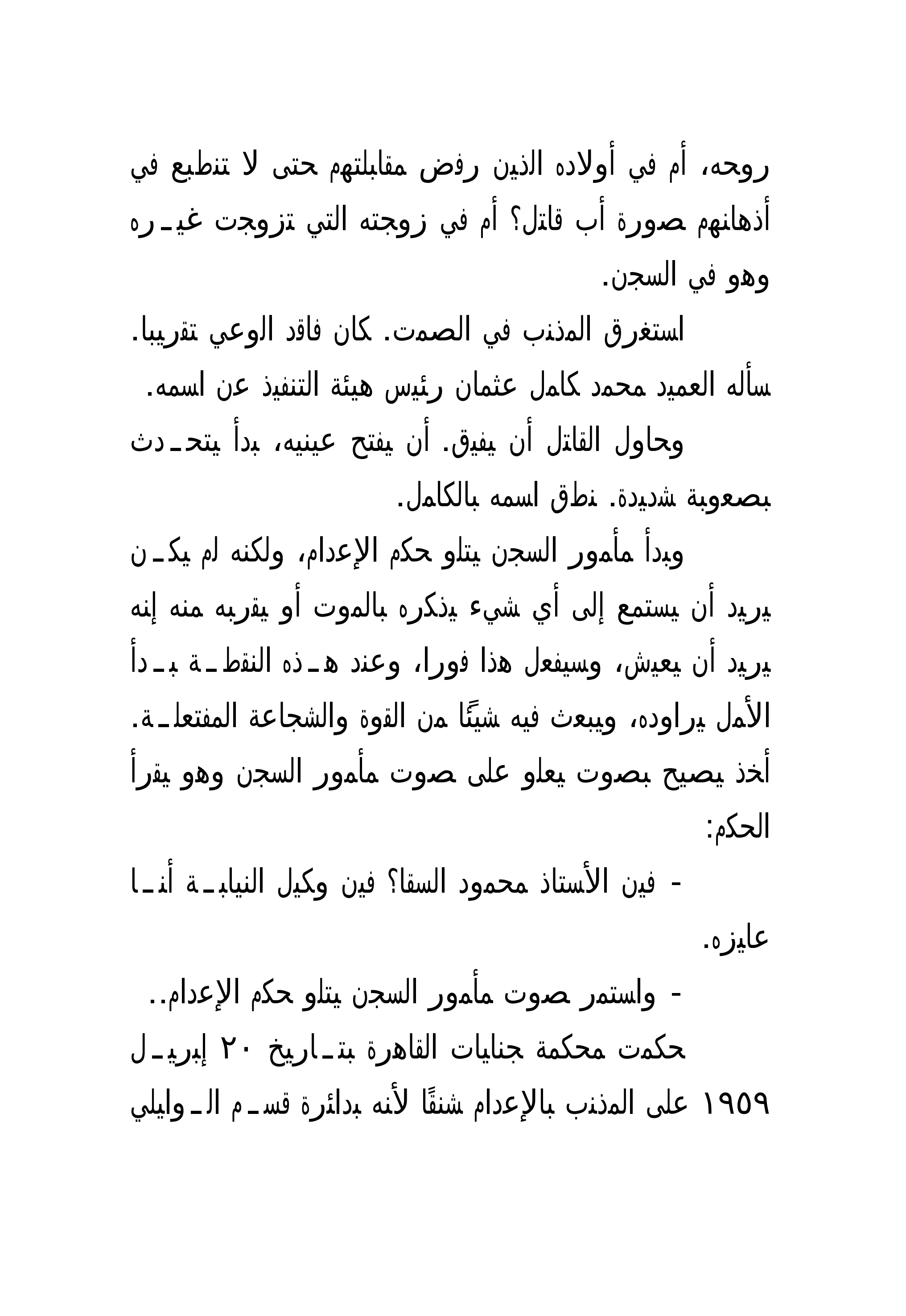
ولكن حكم الإعدام لابد من تنفيـذه. أمـر الضـابط جنوده أن يحملوا المذنب حتى ساحة الإعدام. وتقدم موكـب الحراس يتقدمهم الضابط أخذوا يهبطون السـلم فـي بـطء. الصمت يخيم على المكان إلا صوت أحذية الجنود الميـري تفرقع على درجات السلم. العيون كلها مركزة علـى السـلم الضخم ذي الأعمدة الحديدية وهناك على السلم كان أربعـة من الحراس يحملون المذنب ويهبطون الدرج وهو غائب عن الوعي.

إنه منظر رهيب بلا شك. رجـل يواجـه المـوت ويرفضه ويتمسك بالحياة. وبعد دقائق يعلم أنه سيدخل غرفة الإعدام. ليعلق من رقبته على المشنقة. دقائق فقـط يصـبح بعدها جثة و يتحول إلى عدم. يتحول مـن إنسـان يتـنفس ويعيش ويأمل ويدرك إلى مجرد اسم في دفتر الوفيات ورقم في دفتر السجن يدل على إنسان شقي تعس كان نزيل سـجن الاستئناف قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام.

لحظات تكهرب فيها الجو. صمت ثقيل يحط بجناحيه على المكان إن القاتل عندما يواجه المشنقة يتحدث عادة عن جريمته. يعترف كنا نتوقع أن يتحدث قاتل أمه عنهـا فـي لحظاته الأخيرة. كنا نتوقع أن يصيح أنا بريء.. أو أنا قاتل. أنا ضربت أمي بيد الهون على رأسها وخنقتها عندما رفضت أن تعطيني نقودا. لقد جنت علي أمي أو زوجتي أو المجتمع أي شيء عن الجريمة، لكن كل هذا لم يحدث، أبدا لم يفكـر في جريمته.. لكن كان يفكر في طريقة يطيل بها حياته ولـو لعدة أيام. كان يعشق الحياة ويتشبث بها حتى وهو على بعـد خطوات من الموت.

إن قاتل أمه قام بمحاولة أخيرة ليطيل عمـره أيـام أمسك بشفرة حلاقة وحاول الانتحار لكـن شـجاعته خانتـه فأحدث بنفسه جروحا سطحية،.. وكان يقصد مـن ذلـك أن تقرر النيابة تأجيل إعدامه، حتى يتم التحقيـق فـي جنايتـه الشروع في الانتحار، ولكن النيابة رفضت أن تخـدع بهـذه الحيلة وتقرر أن يتم الإعدام في موعده.

وأمام هيئة التنفيذ وقف المذنب. لا أعرف فيم كـان يفكر هل في لقاء أمه الذي سيتم بعد لحظات مـن صـعود



روحه، أم في أولاده الذين رفض مقابلتهم حتى لا تنطبع في أذهانهم صورة أب قاتل؟ أم في زوجته التي تزوجت غيـره وهو في السجن.

استغرق المذنب في الصمت. كان فاقد الوعي تقريبا. سأله العميد محمد كامل عثمان رئيس هيئة التنفيذ عن اسمه.

وحاول القاتل أن يفيق. أن يفتح عينيه، بدأ يتحـدث بصعوبة شديدة. نطق اسمه بالكامل.

وبدأ مأمور السجن يتلو حكم الإعدام، ولكنه لم يكـن يريد أن يستمع إلى أي شيء يذكره بالموت أو يقربه منه إنه يريد أن يعيش، وسيفعل هذا فورا، وعند هـذه النقطـة بـدأ الأمل يراوده، ويبعث فيه شيئًا من القوة والشجاعة المفتعلـة. أخذ يصيح بصوت يعلو على صوت مأمور السجن وهو يقرأ الحكم:

- فين الأستاذ محمود السقا؟ فين وكيل النيابـة أنـا عايزه.

- واستمر صوت مأمور السجن يتلو حكم الإعدام..

حكمت محكمة جنايات القاهرة بتـاريخ ٢٠ إبريـل ١٩٥٩ على المذنب بالإعدام شنقًا لأنه بدائرة قسـم الـوايلي

قتل أمه بأن هشم رأسها بآلة حادة وخنقها، وقد تحدد اليـوم والساعة لتنفيذ الحكم.

وعاد المذنب يصيح: أنا أرفض كـل هـذا. عـاوز محمود السقا وكيل النيابة اللي حقق معايا؟

وتقدم منه إسماعيل زعزوع وكيل النيابة وسأله:

- عاوز محمود السقا ليه. أنا وكيل النيابة.

- حضرتك وكيل النيابة؟

- أيوه.

- امبارح أصبت بجروح في صدري.

المأمور: لقد حررنا محضرا بالحادث أمس.

المذنب: لم يعمل محضر.

زعزوع: هل حرر محضر؟

المأمور: فيه تحقيق اتعمل هنا في السجن لأنه أحدث هذه الإصابة في نفسه.

المذنب: لم يعمل محضر. وده السبب إني مش قادر أمشي على رجلي أنا مش منهار. أنا مضروب بخنجر في صدري.

زعزوع: مين ضربك؟

المذنب: أنا ضربت نفسي

وفي هذه اللحظة أمسك الحراس بيدي المـذنب مـن الخلف لصرخ فيهم: حاسبوا إيدي مجروحة.

زعزوع: ضربت نفسك ليه؟

المذنب:عشان أنا مظلوم وكنت عايز أنتحر.

زعزوع: ومين جاب لك الخنجر؟

المذنب: مفيش داعي.

المأمور:الإصابة سطحية وقام طبيب السجن بإسعافه.

وكيل النيابة:رأينا الاستمرار في الحكم.

وكان هذا آخر ما يتوقعه المذنب قاتل أمـه. مـاذا؟ الاستمرار في تنفيذ الحكم؟ لا يمكن.. ولكن مـاذا يحـدث؟ وتقدم منه واعظ السجن يقول له: اتشاهد. قل: أشهد أن لا إله إلا ا . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت.

ولكن المذنب لم يسمع أو يعي شيئًا. إن المفاجأة لـم تكن أنهم أنزلوه للإعدام، لكن المفاجأة أنهم رفضـوا تأجيـل التنفيذ وانهار تماما وهم يقودونه إلى غرفة المشنقة، وعندما أوقفوه على الطبلية كاد يسقط فسنده عشـماوي. ثـم قيـدوا

ذراعيه ولفوا الحبل حول رقبته والطاقية السـوداء تغطـي وجهه. وبسرعة رهيبة تم كل شيء. جـذب عشـماوي يـد المشنقة فانزاحت الطبلية التي يقف فوقها المذنب، وهو بثقـل جسمه إلى أسفل، والحبل يحيط برقبته ويضغط عليها فتنكسر الفقرة العنقية وينقطع الحبل الشوكي فتحدث الوفاة في الحال.



إن عشماوي حين يضع الحبل حول عنق المحكـوم عليه بالإعدام، لا يفعل ذلك اعتباطًا. بـل يـتم ذلـك وفقًـا لمقاييس علمية حيث يحكم الحبل فوق نقطة اسـمها "سـنتر أوف كلود" برنارد نسبة إلى مكتشفها. لتحدث الوفاة بسـرعة لأن هذه النقطة تحمل سر الحياة، وإذا استطاع فرد أن يقـوم بغرس دبوس في الرقبة ووصل إلى هذه النقطة بالذات فـإن الوفاة تحدث في الحال، ولقد ضغط حبل المشنقة بقوة اندفاع ثقل الجسم فكسر الفقرة العنقية، ومات المذنب في ثوانٍ دون أن يحس رغم أن قلبه ظل ينبض لعدة دقائق.

وكان من مفارقات الدهر أن حبـل المشـنقة الـذي استخدم في شنق قاتل أمه بالقاهرة تم استخدامه بعد أسـبوع في سجن بني سويف في شنق شاب قتـل والـده. إن حبـل

الإعدام يستخدم ٣ مرات فقط في عمليـة الشـنق وبعـدها لا يصلح. أي أن كل حبل يستخدم في شنق ثلاثة أشـخاص، ودائما يوجد حبل احتياطي في كل مرة ينفذ فيها حكم إعدام.

* * *

وانتهى الإعدام رقم ١ وأصبح قاتل أمه الآن في عالم واحد معها. ترى كيف تم اللقاء بينهما. هل ستعاتبه على مـا فعله بها؟ هل ستغفر له؟ كلها أمور غيبية لا يعلمهـا إلا ا لكنها أسئلة تلح على خاطري.

* * *

١٥ دقيقة مرت والجثة معلقة في حبل المشنقة بينمـا هبط طبيب السجن إلى أسفل وأخذ يعد نبض المشنوق، وبعد ذلك نقلت الجثة إلى غرفة عيادة السجن، وأصبح كـل مـا يربطها بالحياة الآن ورقة في يد حـانوتي السـجن يطلـب التوقيع عليها من طبيب السجن ليتم الدفن.

إن مأمور السجن تحدث بعد الإعدام، عـن محاولـة قاتل أمه الانتحار داخل زنزانته، قال:- بعد زيارة شقيقتيه له في السجن أمس. فوجئنا به في المساء ملقـى علـى أرض الزنزانة والدماء تسيل منه، كما وجدنا بجواره قطعة صغيرة

من شفرة حلاقة ملوثة بالداء. لقد رفض أن يرشد عن الـذي قدم إليه قطعة الشفرة، ولكنني أرجح أنه أحد المساجين. لكي يؤجل تنفيذ الإعدام ولكنه أمل لم يتم.

* * *

نصف ساعة استراحة لعشماوي ومساعديه، وخلالها تم إعداد حبل المشنقة، للمحكوم عليه رقم ٢.

وبدأ الموكب الرهيب من جديـد. نفـس الموكـب. الجنود بوجوههم الجامدة. الضابط يسمك بمسدسه خشـية أن يثور أحد المحكوم بإعدامهم الضابط يصيح تمام يا افندم. كل شيء كما هو وكما تم في موكب الإعـدام رقـم ١، وكـل الوجوه هي عدا اثنين. المحكوم عليه بالإعدام هذه المرة هو حامد تاجر الجيزة الذي ذهب ليصالح زوجته فقتـل شـقيقها وشقيقتها وبنت شـقيقتها أفـرغ رصـاص مسدسـه فـي صدورهم..

كما تغير أيضا حبل المشنقة، فأصبح أقصر ٢٠ سم وأغلظ قليلاً، لكي يتناسب مع جسم المحكوم عليه بالإعـدام رقم ٢ فإنه أقصر وجسمه أثقل من المحكوم عليه رقم ١.

* * *

إن الحبل يعد حسب الوزن والطول. ويحصل عليهما عشماوي من إدارة السجن قبل التنفيذ بيوم ويجري بروفـات على الحبل لكي يضمن أن عملية الشـنق ستـتم بـالطريق المضبوط.

وعشماوي يحرص على ذلك في عمله فهو معرض للمحاكمة العسكرية إذا لم يكن الشنق مضـبوطًا. واللائحـة تنص على أنه إذا استمر نبض المشنوق أكثر من ١٥ دقيقـة فمعنى ذلك أن الشنق لم يتم بالطريق السليم.

وحان وقت الإعدام صعد الضابط والجنود إلى أعلى. أخرجوا حامد من زنزانته. شعر من نظـرات الحـراس أن نهايته تقترب. وأن حبل المشنقة يقترب من رقبته. ومع ذلك كان ثابتًا يحاول أن يبدو متماسكًا شجاعا. يمشي فـي ثبـات بين الجنود ونزل الموكب وحامد يسير على قدميه. لم يكـن محمولاً.

سأله رئيس هيئة التنفيذ عن اسمه وأجـاب بصـوت هادئ: وتلا مأمور السجن صـيغة الحكـم بالإعـدام شـنقًا على المذنب لأنه في بلدته بمركز الصف، كان يريد مصالحة زوجته وكانت غاضبة في منزل أسرتها، وحـاول أن يـتم

الصلح، ولكن أسرتها رفضت، وثـارت أعصـاب الـزوج فأخرج مسدسه وأفرغ رصاصته في صدور شقيق وشـقيقة الزوجة وبنت شقيقتها فقتلهم كما أصـاب زوجتـه وزوجـة شقيقه. وأخذوه إلى السجن ثم إلى المحكمة، وصـدر الحكـم بإعدامه.

هل كان يعرف أن صـلحه مـع زوجتـه سـيؤدي إلى هذه الخسائر في الأرواح؟ إلى المجزرة البشعة ويقـوده إلى المشنقة.

أفاق حامد من خواطره على صوت مأمور السـجن وهو يسأله:

- نفسك في إيه يا حامد.

أخذ يصيح أنا بريء. أنا معايا شهود يقولـوا إنـي بريء لكن رفضوا يحضروا معي في المحكمة. أنا بريء.

ثم أفاق لنفسه. ما الفائدة الآن. ما فائـدة الاسـتجداء والهلوسة بريء. مذنب. لا فائدة. سيموت حالاً ويجـب أن يموت رجلاً.

وصاح: نفسي أسلم على مـأمور السـجن والشـيخ محروس الواعظ وفي هدوء قبل المأمور والواعظ ثـم ردد الشهادتين.

وتقدم منه عشماوي يمسكه بقوة ليقيد يديه بـالحزام الجلدي.

قال له حامد: أنت ماسكني كده ليه. أنا مستعد أروح برجليه للمشنقة.

وفوجئنا بعسكري يحتضن المحكوم عليه بشدة ويقبله وهو يبكي.

وقال العسكري: أصله عاش معانا كتير.

وفي هدوء توجه حامد إلى المشنقة، وتركهم يضعون فوق رأسه الطاقية السوداء، ثم هوى في بئر الإعدام والحبل في رقبته يقضي عليه في ثوانٍ وخرج من الغرفة السـوداء جثة هامدة. وبجوار الجثة وقف الحارس يبكي،.. والحانوتي حائر يمسك بيده تصريح الدفن ليوقعه من الطبيب.

أما عشماوي الذي قام بعملية الشنق فقد خرج ليتناول كوب شاي، وسألته عن رأيه في حامد وشجاعته وهو يواجه الموت.

قال: أبدا.. فيه محكوم عليهم بيدخلوا على المشـنقة زي السبع.

قلت: هل شعرت بالتعب بعد شنق اثنين وباقي ثلاثة هذا اليوم؟

قال: أبدا أنا قمت بشنق ٨ مذنبين في يوم واحد.

وانتهت الاستراحة. وتم فك الجثة من المشنقة بعـد ثلث ساعة بالضبط من تنفيذ الحكم كما تنص اللوائح.

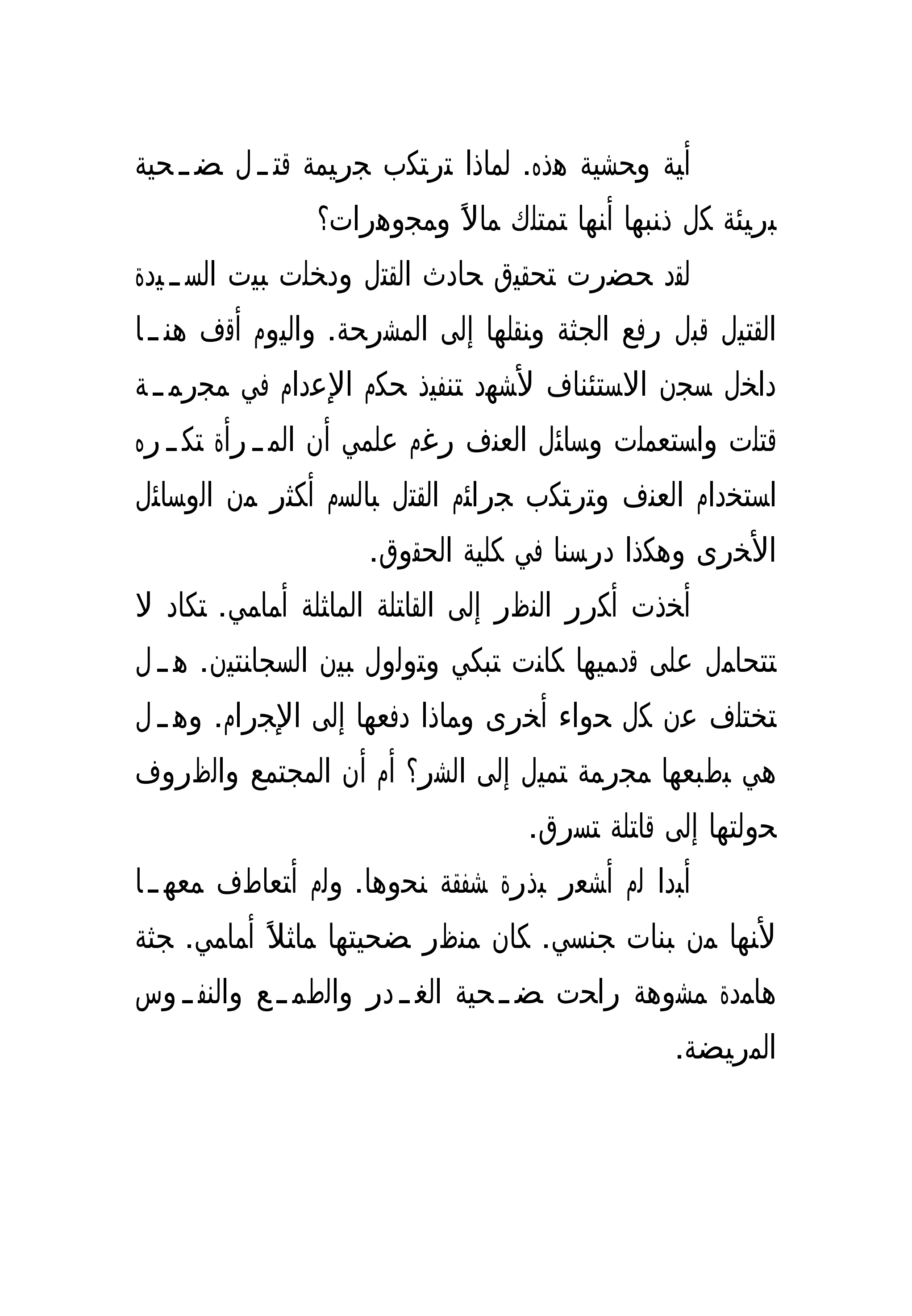
وعاد موكب الموت من جديد. مع اختلاف شخصية المحكوم عليه بالإعدام، إنها امرأة. إن المحكوم عليه بالإعدام رقم ٣ في كشف عشماوي هي انشراح قاتلة مخدومتها بعد ٥ أيام فقط من التحاقها بخدمتها، وسرقت نقودها ومصـوغاتها بالاشتراك مع طباخ السيدة الثرية.

ولا زلت أتذكر منظرها حتى كتابة هـذه السـطور، وهي تدخل من باب سجن الاستئناف. كانت تبكي، ترتـدي جلبابا أحمر حافية القدمين. منهارة تستند علـى السـجانتين سعاد وحكمت كانتا مكلفتين مـن سـجن النسـاء بالقنـاطر بحراسة المذنبة حتى يتم تنفيذ الإعدام فيهـا شـنقًا بسـجن الاستئناف.

وتقدم موكب انشراح. يخترق فناء السجن في بـطء فالمذنبة لا تكاد تقوى على السير. جسـدها النحيـل يسـتند إلى السجانتين اللتين تتميزان بالطول وضخامة الجسم. كانت تبكي بصوت مرتفع. لا تريد أن تموت. كان منظرها يثيـر الشفقة، ولكن الجريمة التي ارتكبتها كانـت أبشـع جريمـة راحت ضحيتها سيدة عجوز. أكرمتها وفتحـت لهـا بيتهـا وأمنت لها فقابلت كل هذا بالجحود والنكران وعذبتها بإلقـاء الماء المغلي والبوتاس عليها، ثم انقضـت عليهـا تخنقهـا بمساعدة الطباخ الذي وعدته بالزواج بعد قتـل مخـدومتها وسرقة مجوهراتها ونقودها.

مفاجأة ثانية مذهلة أن انشراح اعترفت وهي علـى حبل المشنقة بقتل طفلة صغيرة عمرها عامان فقط ولم تعاقب على جريمتها، وأفلتت من يد العدالة طوال ٣ سنوات كاملة.

إن جريمة قتل السـيدة الثريـة بواسـطة خادمتهـا والطباخ كانت على درجة كبيرة من البشاعة. وقـد ذهبـت إلى بيت الضحية وشاهدت الجثة المشوهة بالماء والبوتـاس وآثار الخنق تبدو على الوجه وطعنة السكين من يد الطباخ.



أية وحشية هذه. لماذا ترتكب جريمة قتـل ضـحية بريئة كل ذنبها أنها تمتلك مالاً ومجوهرات؟

لقد حضرت تحقيق حادث القتل ودخلت بيت السـيدة القتيل قبل رفع الجثة ونقلها إلى المشرحة. واليوم أقف هنـا داخل سجن الاستئناف لأشهد تنفيذ حكم الإعدام في مجرمـة قتلت واستعملت وسائل العنف رغم علمي أن المـرأة تكـره استخدام العنف وترتكب جرائم القتل بالسم أكثر من الوسائل الأخرى وهكذا درسنا في كلية الحقوق.

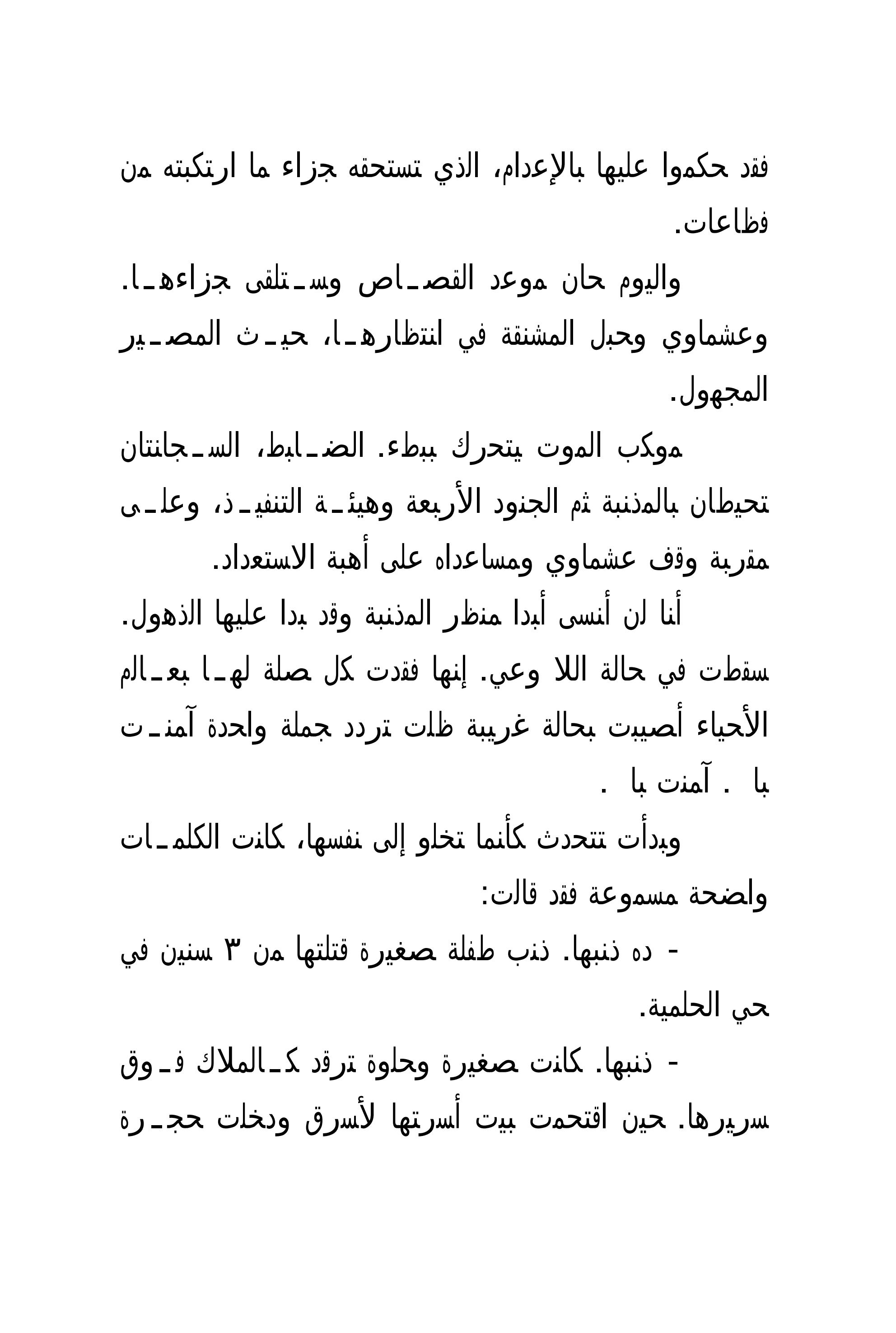
أخذت أكرر النظر إلى القاتلة الماثلة أمامي. تكاد لا تتحامل على قدميها كانت تبكي وتولول بين السجانتين. هـل تختلف عن كل حواء أخرى وماذا دفعها إلى الإجرام. وهـل هي بطبعها مجرمة تميل إلى الشر؟ أم أن المجتمع والظروف حولتها إلى قاتلة تسرق.

أبدا لم أشعر بذرة شفقة نحوها. ولم أتعاطف معهـا لأنها من بنات جنسي. كان منظر ضحيتها ماثلاً أمامي. جثة هامدة مشوهة راحت ضـحية الغـدر والطمـع والنفـوس المريضة.

كانت تصيح في وجه كل شـخص تقابلـه: والنبـي مظلومة أنا مظلومة ألفاظ محمومـة وحركـات هيسـتيرية. وكأنها كانت تتوقع أن يشفق عليهـا الموجـودون أمامهـا، فيرحمونها من حبل المشنقة هي التـي لـم تـرحم ضـعف وشيخوخة مخدومتها، ولم تشفق على طفلة عمرهـا عامـان فأزهقت روحها حتى لا تصرخ وتوقظ أسرتها فتمسك بهـا وهي تسرق.

محاولة من السجانتين الضخمتين في إنسانية تحاولان تهدئة المذنبة قالتا لها إحنا رايحين نحضر جلسـة الـنقض ولكنها لم تكن تصدق. كانت تعرف أنها ستموت، وجلسـت على الأرض منهارة تبكي وتصيح مولولة خلاص حـاموت. حيشنقوني خلاص. حيموتوني خـلاص. وتسـيل دموعهـا في غزارة.

إنها أول امرأة تعدم بعد ريا وسكينة منذ أربعين عاما تقريبا جزاء ارتكابها لجريمة قتل مخدومتها بالاشتراك مـع الطباخ وسرقة المصوغات والنقود وقد هرب الشريكان عقب الحادث ليتزوجا وحكم على الطباخ بالأشغال المؤبدة أما هي



فقد حكموا عليها بالإعدام، الذي تستحقه جزاء ما ارتكبته من فظاعات.

واليوم حان موعد القصاص وستلقى جزاءها. وعشماوي وحبل المشنقة في انتظارها، حيث المصير المجهول.

موكب الموت يتحرك ببطء. الضابط، السجانتان تحيطان بالمذنبة ثم الجنود الأربعة وهيئة التنفيذ، وعلى مقربة وقف عشماوي ومساعداه على أهبة الاستعداد.

أنا لن أنسى أبدا منظر المذنبة وقد بدا عليها الذهول. سقطت في حالة اللا وعي. إنها فقدت كل صلة لها بعالم الأحياء أصيبت بحالة غريبة ظلت تردد جملة واحدة آمنت با . آمنت با .

وبدأت تتحدث كأنما تخلو إلى نفسها، كانت الكلمات واضحة مسموعة فقد قالت:

- ده ذنبها. ذنب طفلة صغيرة قتلتها من ٣ سنين في حي الحلمية.

- ذنبها. كانت صغيرة وحلوة ترقد كالملاك فوق سريرها. حين اقتحمت بيت أسرتها لأسرق ودخلت حجرة

النوم، سرقت كل ما أستطيع، لم يشعر بي أحد. كان السكون سائدا والجميع ينامون. لكن الطفلة الصغيرة وعمرها حوالي العامين شعرت بي، رأتني حـين فتحـت عينيهـا وهمـت بالصراخ أسرعت إليها قبل أن تصرخ وكتمت أنفاسها قبـل أن توقظ من في البيت. خنقتها حتى ماتت وهربت وتركتهـا جثة هامدة لم يقبض علي ومرت ٣ سنوات دون أن أضـبط أو أعاقب على جريمتي والآن أواجه حبل المشنقة. إنه ذنب الصغيرة التي قتلتها. ذنبها هي.. آمنت با .. آمنت با .

وعادت تتمتم: إن ا لا يترك الجاني بدون قصاص. آمنت با .. آمنت با ..

وظلت تردد هذه الجملة وهي تقف أمام هيئة التنفيـذ وسألها رئيس الهيئة:

- اسمك إيه؟
- آمنت با .
- اسمك إيه؟ إنشراح؟
- آمنت با .

وأجابت السجانة: أيوه إنشراح يا بيه.

وبدأ المأمور يتلو صيغة الحكـم: حكمـت محكمـة جنايات القاهرة في ١٨ فبراير عام ١٩٦٠ بالإعـدام شـنقًا على إنشراح.. لأنها مع متهم آخر حكم عليه بالمؤبـد قـتلا مخدومتهما مع سبق الإصرار. وتقدم عشماوي ومساعداه من المذنبة وقيدوها بالحزام الجلد.

وسألها وكيل النيابة:

- اك طلبات؟
- آمنت با .
- موش عايزة حاجة؟
- آمنت با .

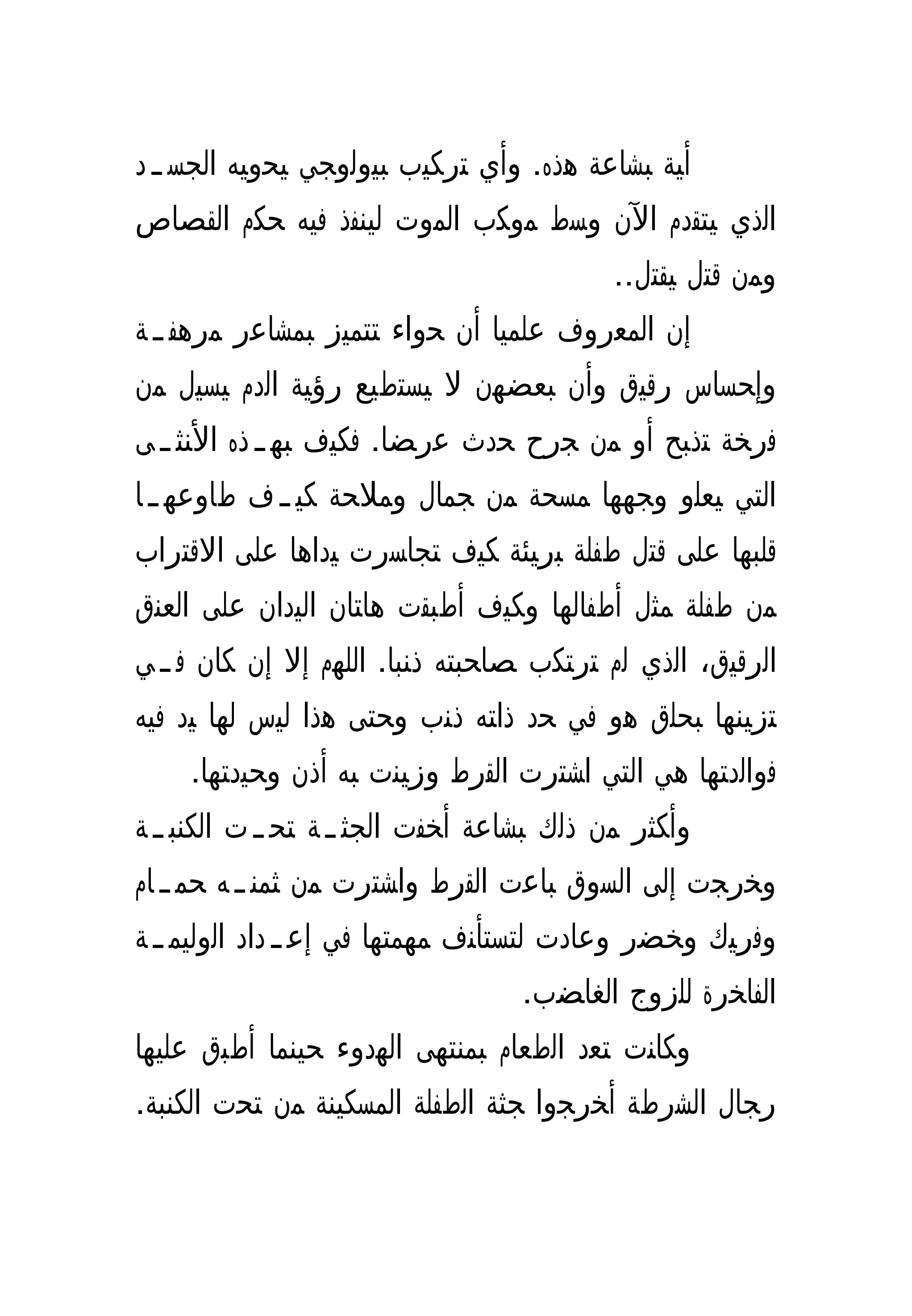
واقتادها عشماوي إلى المشـنقة ودخلـت وراءهـا لأحضر تنفيذ الإعدام فيها رغم أنها من بنات جنسي. لكـن النفوس الشريرة لا تستحق الشفقة ولا الرثاء.

رأيتها بعد أن جذب عشماوي يـد المشـنقة تهـوي إلى أسفل وحبل المشنقة يؤدي عمله لكن يبدو أن الحبل كان أقوى من جسدها النحيل فسالت بضع قطرات من الدماء من رقبتها، حيث أحدث الحبل حرجا بالرقبة.

وقالت السجانتان: إن المذنبة كانت تشعر بدنو أجلها وبأنها ستموت في هذا اليوم – كانت تصيح منـذ الصـباح الباكر: أنا حاموت النهاردة.. لقد طلبت على الغداء لحم البط وفي الصباح تناولت آخر إفطارها لها من العسـل الأبـيض والقشدة. وكان هذا آخر ما تذوقته قبل أن تتحول إلـى جثـة باردة تدفن في مدافن الصدقة.. إن الحبل الذي شـنقت بـه إنشراح. استخدمه عشماوي بعدها بأسبوع في شـنق قاتـل والده الثاني في سجن بني سويف..

* * *

ثاني امرأة تعدم في نفـس اليـوم اسـمها رجبيـة. جريمتها قتل طفلة عمرها ٥ سنوات لتسرق قرطها الـذهبي وتبيعه وتشتري بثمنه طعاما كعربون للصلح مع زوجها الذي تعبده وتعيش من أجله، وبسببه ضحت بحياتها وانتهى بهـا الحب المجنون إلى المشنقة، ولا يفصلها عنها سوى دقـائق حب الزوج الذي تزوج على امرأته وهي في السجن لم تعـد بعد..



أية بشاعة هذه. وأي تركيب بيولوجي يحويه الجسد الذي يتقدم الآن وسط موكب الموت لينفذ فيه حكم القصاص ومن قتل يقتل..

إن المعروف علميا أن حواء تتميز بمشاعر مرهفة وإحساس رقيق وأن بعضهن لا يستطيع رؤية الدم يسيل من فرخة تذبح أو من جرح حدث عرضا. فكيف بهذه الأنثى التي يعلو وجهها مسحة من جمال وملاحة كيف طاوعها قلبها على قتل طفلة بريئة كيف تجاسرت يداها على الاقتراب من طفلة مثل أطفالها وكيف أطبقت هاتان اليدان على العنق الرقيق، الذي لم ترتكب صاحبته ذنبا. اللهم إلا إن كان في تزينها بحلق هو في حد ذاته ذنب وحتى هذا ليس لها يد فيه فوالدتها هي التي اشترت القرط وزينت به أذن وحيدتها.

وأكثر من ذلك بشاعة أخفت الجثة تحت الكنبة وخرجت إلى السوق باعت القرط واشترت من ثمنه حمام وفريك وخضر وعادت لتستأنف مهمتها في إعداد الوليمة الفاخرة للزوج الغاضب.

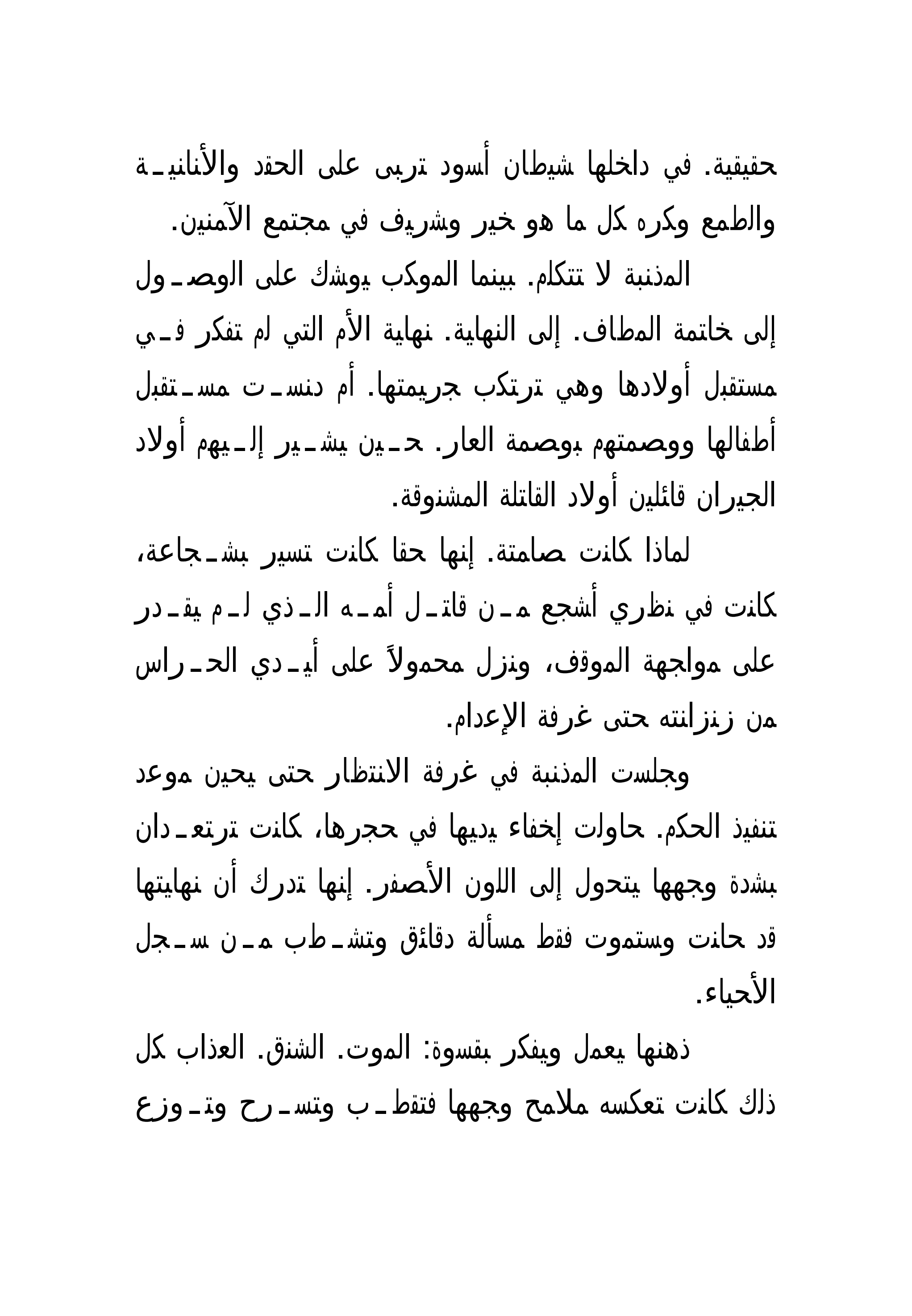
وكانت تعد الطعام بمنتهى الهدوء حينما أطبق عليها رجال الشرطة أخرجوا جثة الطفلة المسكينة من تحت الكنبة.

وخرجت مكبلة بالقيد الحديدي دون أن يصالحها زوجهـا أو تنعم معه بليالي الصلح. خرجت من الدار إلى النار. حيـث التحقيق والمحاكمة وزنزانة في سجن النساء بالقناطر لياليها موحشة يأكلها الندم والخوف من المصير الأسود.

والآن حان موعد القصاص من قاتلة الطفلة. موكب الموت رقم ٤ بعد أن ظلت بين السجانتين في سيارة خـارج السجن حتى تم إعدام زميلتها.

تقدم الموكب الرهيب. الضابط يمسك بمسدسه، ومن خلفه سارت المذنبة الشابة أم الأطفال قاتلة الطفلـة، وتسـير عن يمينها سجانة ضخمة، عن يسارها أخرى أضخم منهـا. يتقدم الموكب فوق الممشى الحجري لفنـاء السـجن. وقـع الخطوات يحدث رهبة والموقف نفسه يبعث الرهبة في أشـد النفوس ثباتًا.

نظرات زائغة. عينان تنظران إلى لا شيء. تفاجئها عدسات التصوير تركـز علـى وجههـا، وعلـى المشـهد الذي يبدو كمشهد درامي في فيلم تقـوم بتمثيلـه مجموعـة من الممثلين المحترفين. ولكنه لم يكن كـذلك. كـان واقعـا والتي تتقدم في بطء لتلاقي مصيرها الأسـود هـي قاتلـة



حقيقية. في داخلها شيطان أسود تربى على الحقد والأنانية والطمع وكره كل ما هو خير وشريف في مجتمع الآمنين.

المذنبة لا تتكلم. بينما الموكب يوشك على الوصول إلى خاتمة المطاف. إلى النهاية. نهاية الأم التي لم تفكر في مستقبل أولادها وهي ترتكب جريمتها. أم دنست مستقبل أطفالها ووصمتهم بوصمة العار. حين يشير إليهم أولاد الجيران قائلين أولاد القاتلة المشنوقة.

لماذا كانت صامتة. إنها حقا كانت تسير بشجاعة، كانت في نظري أشجع من قاتل أمه الذي لم يقدر على مواجهة الموقف، ونزل محمولاً على أيدي الحراس من زنزانته حتى غرفة الإعدام.

وجلست المذنبة في غرفة الانتظار حتى يحين موعد تنفيذ الحكم. حاولت إخفاء يديها في حجرها، كانت ترتعدان بشدة وجهها يتحول إلى اللون الأصفر. إنها تدرك أن نهايتها قد حانت وستموت فقط مسألة دقائق وتشطب من سجل الأحياء.

ذهنها يعمل ويفكر بقسوة: الموت. الشنق. العذاب كل ذلك كانت تعكسه ملامح وجهها فتقطب وتسرح وتوزع

نظراتها على الواقفين حولها. كانت الغرفة مزدحمة بنا نحن الصحفيين والمصورين والضابط والحرس وكانت هي تجلس بين السجانتين.

وبنظرات فضولية في الوجوه المحيطة بها. كانـت تريد أن تعرف ما خفي عنها. ماذا سيحدث بعد دقائق؟ كيف ستعدم. هل ستشعر وهل تتعذب وهي على المشـنقة؟ كيـف سيقتادونها إلى غرفة الإعدام. إنه المصير المجهول والـذي يدق قلبها رعبا وتتجمد فيها الدماء، وهي تفكر فيـه. كيـف ستواجه مصيرها إنها أشياء غامضة ومخيفة تواجههـا لأول مرة.

إنها لم تفكر في نهايتها وعاقبة أمرها وهـي تقتـل الصغيرة البريئة ليتها فكرت قليلاً. ليت ضميرها استيقظ كما استيقظ بعد الجريمة وحرك فيها عاطفة الشفقة والخوف مـن ا .. لا فائدة.. انتهى كل شيء..

وأخرجت منديلاً أبيض من صدر جلبـاب الإعـدام الأحمر. أخذت تمسح دموعها، وتصيح بصوت مبحوح يشبه الأنين:

- انتم حاتشنقوني؟

- أبدا.

- أنا عارفة. أنتم حاتشنقوني.

وتسيل دموع المذنبة، وترفع منديلها الأبيض من جديد تجفف الدمع الأخير. ثم بدأت حديثًا أو اعترافًا تخفف به عن نفسها المعذبة، قالت:

- جوزي هو اللي بعتني المشنقة. ده راجل شقي كان واخد ٣٠ جنيه من سيدة اسمها أم هاشم ليقتل بنت ضرتها الطفلة.

وتصمت قليلاً كأنما تسترجع ذاكرتها وتقول:

- جوزي أعطى عشرة قروش لإحدى جارتها لتحضر الطفلة البريئة إلى المنزل. وأحضروا الطفلة، ودخل زوجها وأحد الأشقياء. كانت الطفلة تضحك في براءة ولا تعرف ما سيحدث لها.. وفجأة جذبها الزوج من شعرها فأوقعها على الأرض وأسرع الشقي الآخر فأمسك برجلها ثم انقض عليها الزوج فخنقها، وسرق الحلق من أذنيها وأخفى الجثة تحت الكنبة تمهيدا لنقلها تحت ستار الظلام.

وتنظر المذنبة إلينا كأنما لتعرف وقع القصة الرهيبة التي تحكيها علينا وعادت تكمل روايتها..

- جوزي طلب مني الاعتراف بأني قتلـت الطفلـة لأنهم لا يشنقون الستات. قال لـي: لـو قـدمت للمحاكمـة سيحكموا علي بالإعدام لأني رجل. لكـن أنـت.. لا.. لأن الستات مابيشنقوهمش.

- وصدقته. لم أكن أعرف أنه يخدعني، كنت أحبـه وكنت أحسب أنني باعترافي بارتكاب الجريمة سأنقذ رقبتـه من حبل المشنقة، وأخرج من السـجن لنلتقـي مـرة ثانيـة ونستأنف حياتنا مع أولادنا. جوزي خدعني. أرسلني للمشنقة وتزوج من امرأة أخرى.

وسألها أحد الصحفيين:

- ولسه بتحبيه. أجابت:

- أيوه.

وارتسمت ابتسامة فوق الوجه الذي سيقابل المـوت وبعد دقائق تقترب النهاية الأليمة.

نسيت القاتلة في هذا السؤال كل ما يحيط بهـا الآن من علامات الموت. اتسعت ابتسامتها وهي تصيح:

- لسه باحبه و حاموت وأنا باحبه.

هل هذا معقول؟ هل حقيقة تفعل حواء هـذا؟ أنهـا تسير إلى الموت منساقة راضية لأنها تحب الرجـل الـذي أرسلها إلى المشنقة. ما أعجب ما أسمع وأرى. أيها الحـب إنك لا تفرق بين النفوس الخبيثة وبين الطيبة. إنك سـاحر. حتى القاتلة تضحي بحياتها من أجل من تحب رغم علمها أنه خدعها كما تقول، ورغم علمها أنه تزوج عليها وهـي فـي السجن.

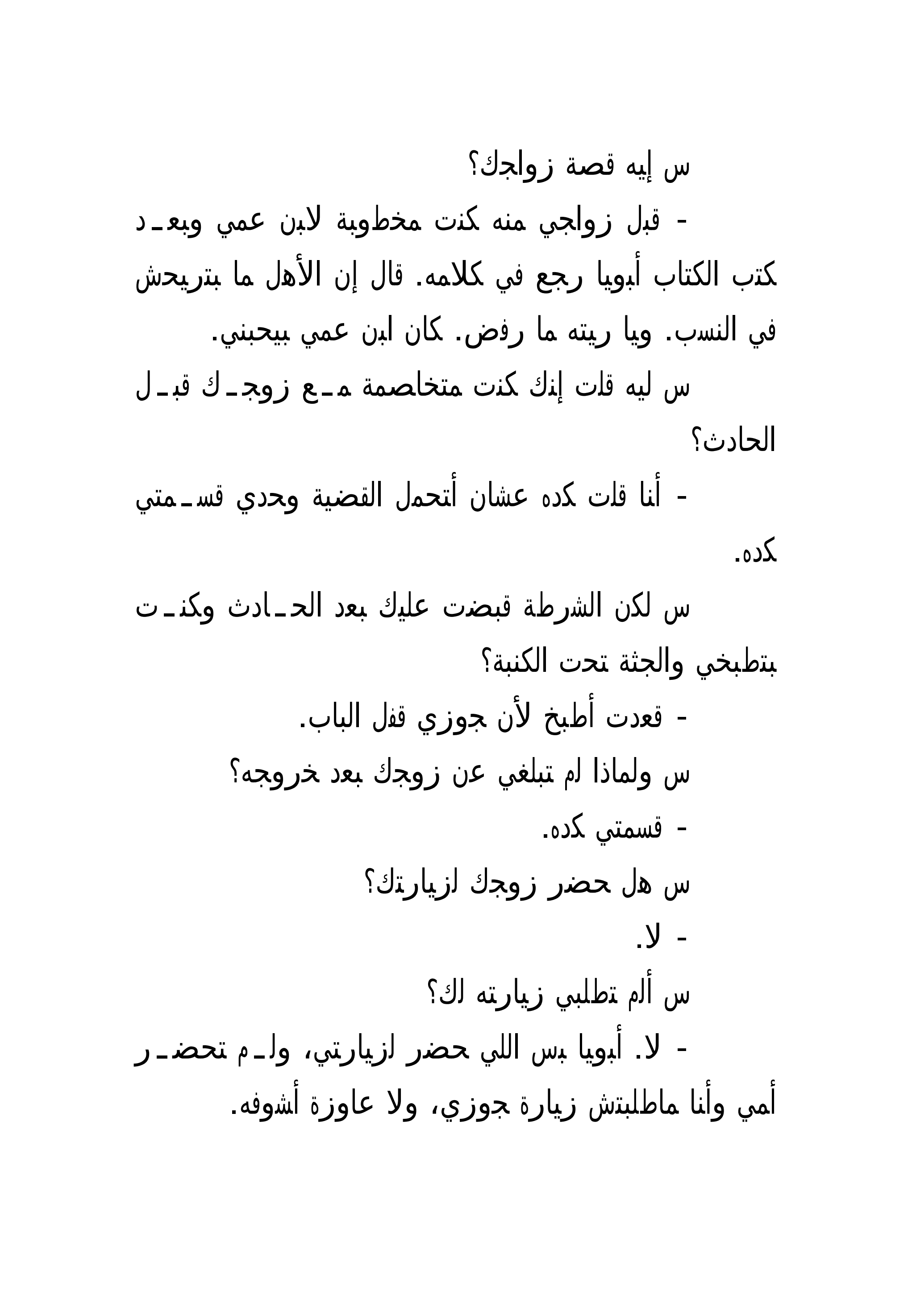
ووجه إليها صحفي سؤالاً آخر قال:

- أنت قلت غير كده في التحقيق. قلت إنك أنت اللي قتلتيها وزوجك كان بالخارج، وأنك أخفيت الجثة تحت الكنبة وبعت الحلق وقعدت تطبخي.

- جوزي قال لي قولي كده عشان قال إن النسوان لا يعدمون وأنا من خيبتي قلت كده.

سؤال آخر.. لكن قلت في التحقيق إنك في خصام مع زوجك وارتكبت الحادث، لتحصلي على نقـود، لتصـالحي زوجك وتعملي له حمام.

- لا. الحقيقة أنا كنت في خصام مع أهلـي بسـبب جوزي.



س إيه قصة زواجك؟

- قبل زواجي منه كنت مخطوبة لابن عمي وبعـد كتب الكتاب أبويا رجع في كلامه. قال إن الأهل ما بتريحش في النسب. ويا ريته ما رفض. كان ابن عمي بيحبني.

س ليه قلت إنك كنت متخاصمة مـع زوجـك قبـل الحادث؟

- أنا قلت كده عشان أتحمل القضية وحدي قسـمتي كده.

س لكن الشرطة قبضت عليك بعد الحـادث وكنـت بتطبخي والجثة تحت الكنبة؟

- قعدت أطبخ لأن جوزي قفل الباب.

س ولماذا لم تبلغي عن زوجك بعد خروجه؟

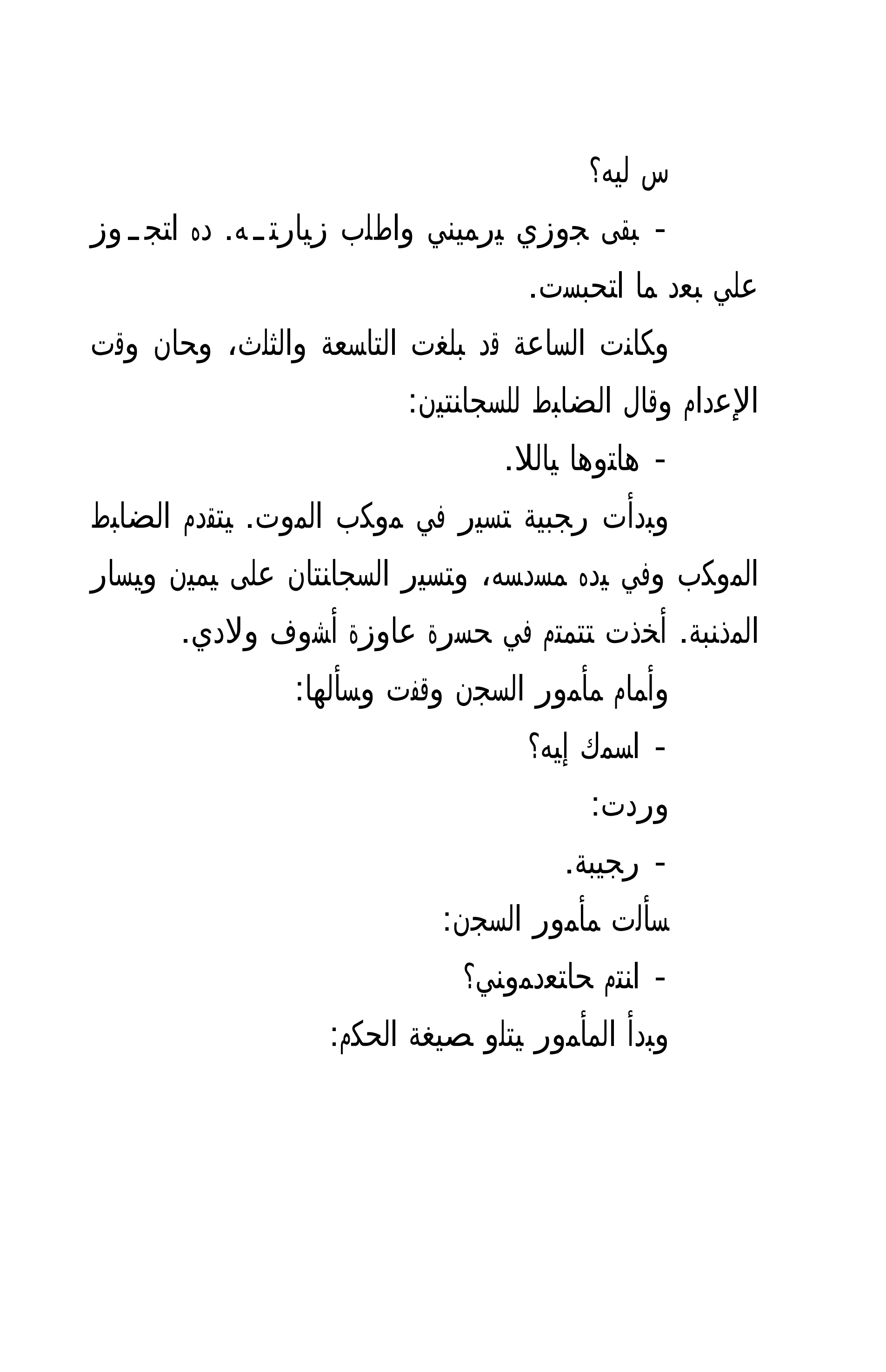
- قسمتي كده.

س هل حضر زوجك لزيارتك؟

- لا.

س ألم تطلبي زيارته لك؟

- لا. أبويا بس اللي حضر لزيارتي، ولـم تحضـر أمي وأنا ماطلبتش زيارة جوزي، ولا عاوزة أشوفه.



س ليه؟

- بقى جوزي يرميني واطلب زيارتـه. ده اتجـوز علي بعد ما اتحبست.

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة والثلث، وحان وقت الإعدام وقال الضابط للسجانتين:

- هاتوها ياللا.

وبدأت رجبية تسير في موكب الموت. يتقدم الضابط الموكب وفي يده مسدسه، وتسير السجانتان على يمين ويسار المذنبة. أخذت تتمتم في حسرة عاوزة أشوف ولادي.

وأمام مأمور السجن وقفت وسألها:

- اسمك إيه؟

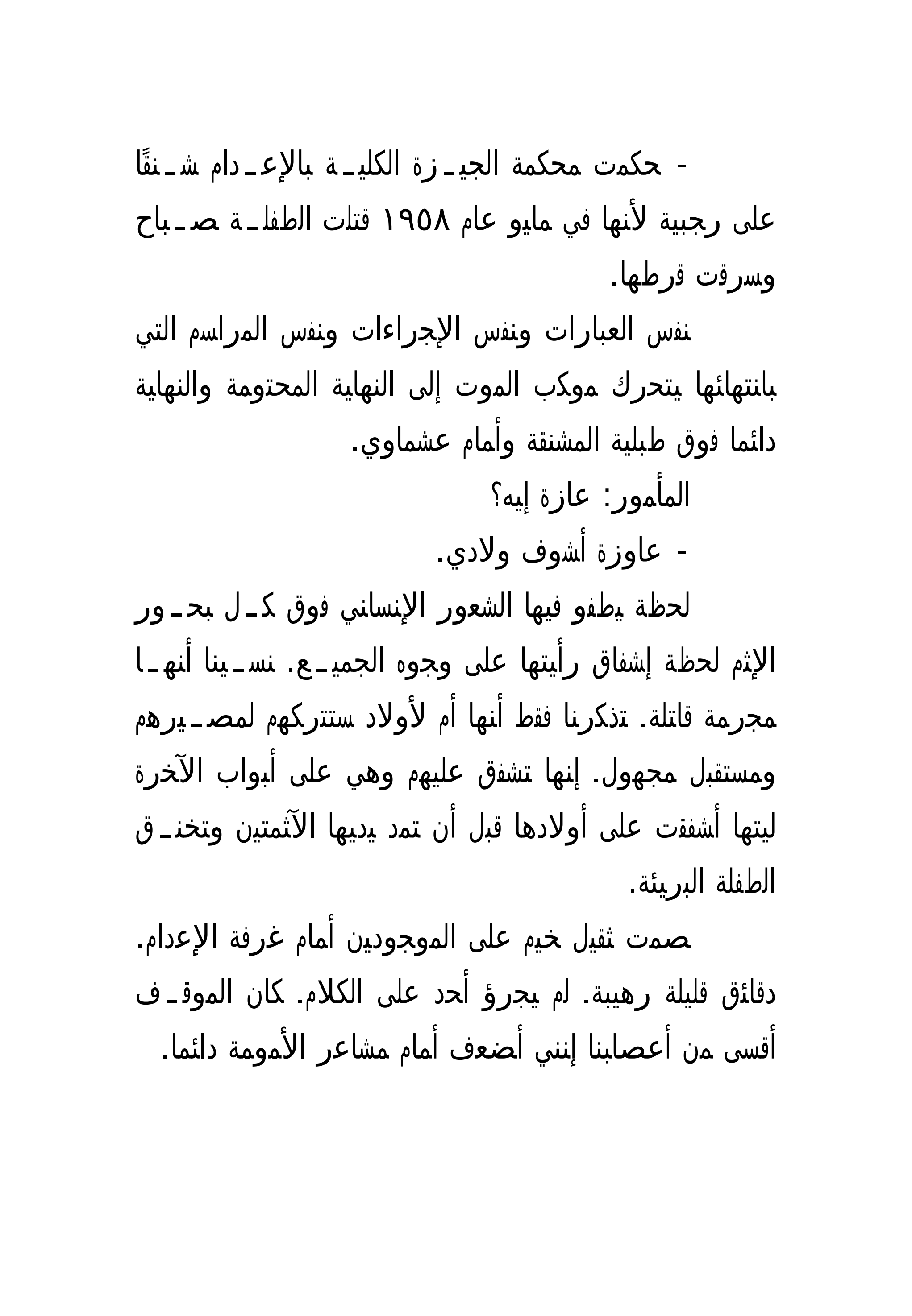
وردت:

- رجيبة.

سألت مأمور السجن:

- انتم حاتعدموني؟

وبدأ المأمور يتلو صيغة الحكم:



- حكمت محكمة الجيـزة الكليـة بالإعـدام شـنقًا على رجبية لأنها في مايو عام ١٩٥٨ قتلت الطفلـة صـباح وسرقت قرطها.

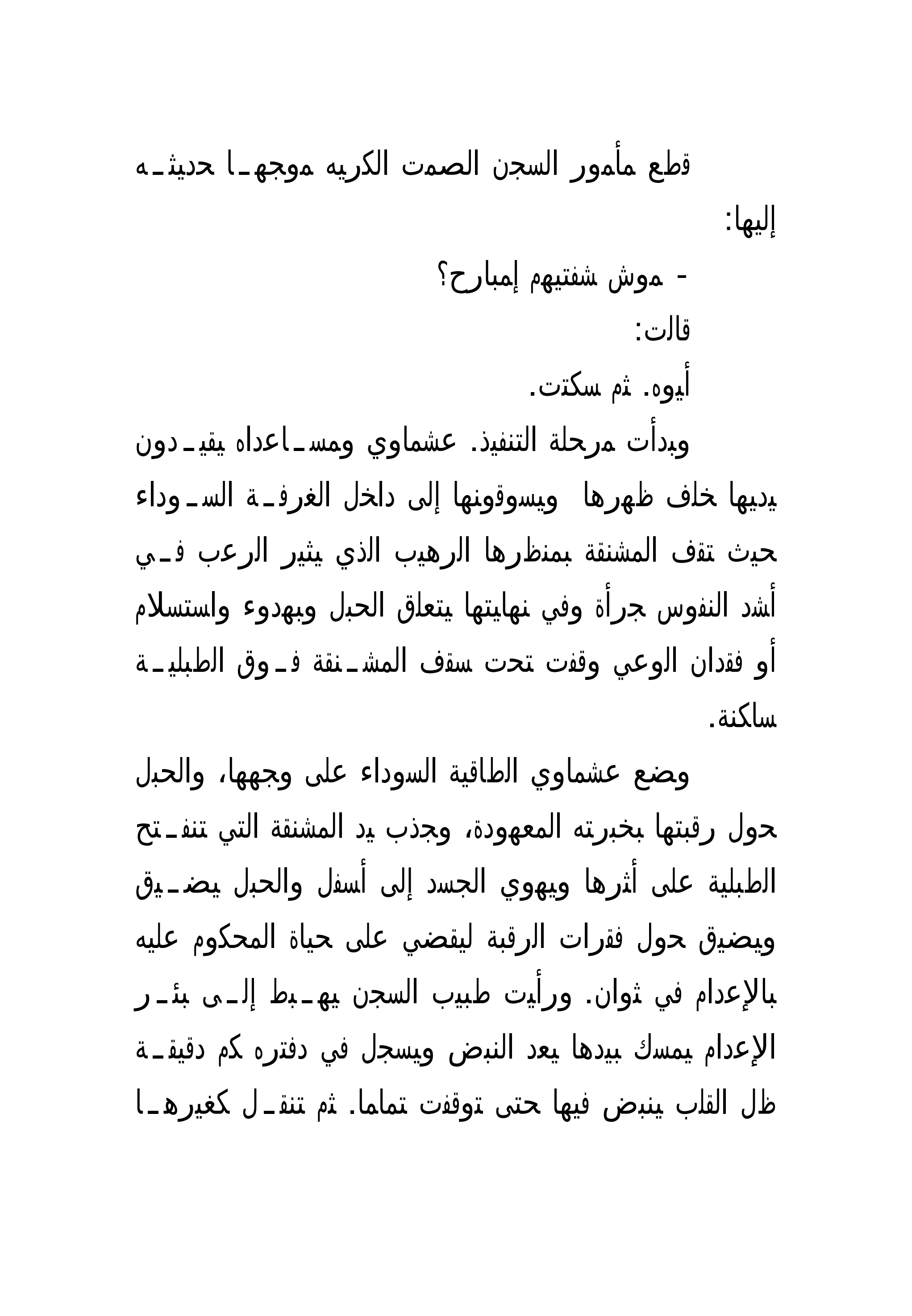
نفس العبارات ونفس الإجراءات ونفس المراسم التي بانتهائها يتحرك موكب الموت إلى النهاية المحتومة والنهاية دائما فوق طبلية المشنقة وأمام عشماوي.

المأمور: عازة إيه؟

- عاوزة أشوف ولادي.

لحظة يطفو فيها الشعور الإنساني فوق كـل بحـور الإثم لحظة إشفاق رأيتها على وجوه الجميـع. نسـينا أنهـا مجرمة قاتلة. تذكرنا فقط أنها أم لأولاد ستتركهم لمصـيرهم ومستقبل مجهول. إنها تشفق عليهم وهي على أبواب الآخرة ليتها أشفقت على أولادها قبل أن تمد يديها الآثمتين وتخنـق الطفلة البريئة.

صمت ثقيل خيم على الموجودين أمام غرفة الإعدام. دقائق قليلة رهيبة. لم يجرؤ أحد على الكلام. كان الموقـف أقسى من أعصابنا إنني أضعف أمام مشاعر الأمومة دائما.



قطع مأمور السجن الصمت الكريه موجهـا حديثـه إليها:

- موش شفتيهم إمبارح؟

قالت:

أيوه. ثم سكتت.

وبدأت مرحلة التنفيذ. عشماوي ومسـاعداه يقيـدون يديها خلف ظهرها ويسوقونها إلى داخل الغرفـة السـوداء حيث تقف المشنقة بمنظرها الرهيب الذي يثير الرعب فـي أشد النفوس جرأة وفي نهايتها يتعلق الحبل وبهدوء واستسلام أو فقدان الوعي وقفت تحت سقف المشـنقة فـوق الطبليـة ساكنة.

وضع عشماوي الطاقية السوداء على وجهها، والحبل حول رقبتها بخبرته المعهودة، وجذب يد المشنقة التي تنفـتح الطبلية على أثرها ويهوي الجسد إلى أسفل والحبل يضـيق ويضيق حول فقرات الرقبة ليقضي على حياة المحكوم عليه بالإعدام في ثوان. ورأيت طبيب السجن يهـبط إلـى بئـر الإعدام يمسك بيدها يعد النبض ويسجل في دفتره كم دقيقـة ظل القلب ينبض فيها حتى توقفت تماما. ثم تنقـل كغيرهـا

إلى غرفة العيادة في انتظار تصريح الـدفن الـذي يوقعـه الطبيب.

* * *

اقتربت من عشماوي الذي قامت بيني وبينـه ألفـة. سألته عن شعوره وهو يعدم المرأتين. رد:

- عادي جدا ولا حاجة. نفس الشعور وأنـا أقـوم بشنق أي مذنب. كله زي بعضه. إن القانون لا يفـرق بـين رجل وست حين يقتص منهما المجتمع عقابا على الجـرائم البشعة.

قلت: هل أخبرت زوجتك أمس أنك سـتقوم بشـنق امرأتين من بنات جنسها.

قال: أيوه. وقالت ربنا يقويك.

الساعة تقترب من العاشرة صباح يوم الإعدام وكنت أسميه كذلك لكثرة عدد من شنقوا فيه. بقى واحد فقـط فـي موكب الموت الذي بدأ رحلته داخل الغرفـة السـوداء منـذ الثامنة صباحا.

إنه المذنب رقم ٥ في قائمة الإعدام. شخرم الحشاش وكان هذا هو اسم الشهرة وشخرم دفع حياته ثمنًـا لجهـاز راديو قديم وحفنة من الجنيهات وملابس مستعملة..

ترى بماذا يشعر الآن وهو على أبواب الأبدية. هـل سيقابل ضحيته ويعتذر له عـن جريمتـه الوحشـية وهـل ستبررها روحه التي ستصعد بعد قليل إلى عالم المجهول؟

وبدأت إجراءات الإعدام. هي هي لا تتغير.

سأله مأمور السجن:

- اسمك؟

- أحمد.

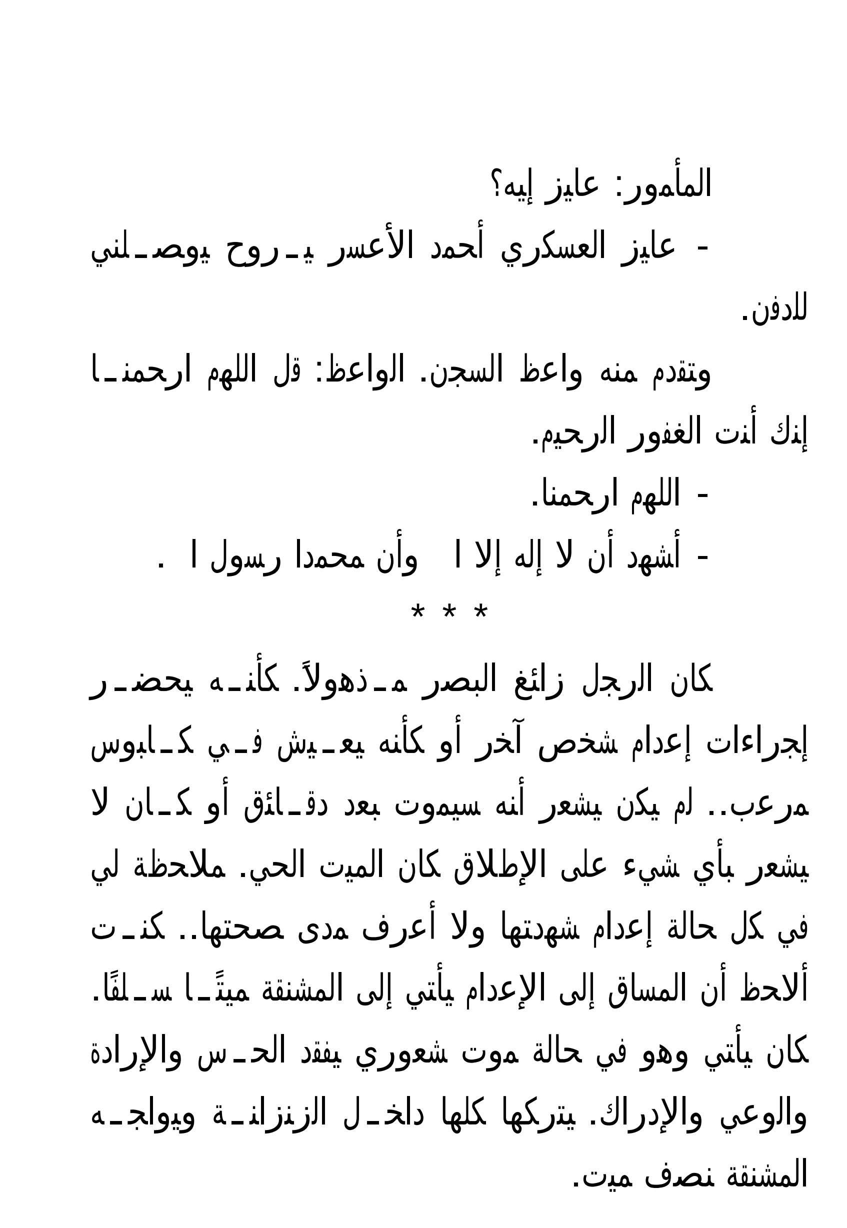
المأمور: وشهرتك شخرم الحشاش؟

- أيوه.

ثم بدأ في تلاوة صيغة التنفيذ: حكمت محكمة جنايات القاهرة ٧ فبراير على المتهم وشـهرته شـخرم الحشـاش بالإعدام شنقًا، لأنه قتل مع سبق الإصرار الطباخ سيد همام، وتحدد اليوم والساعة للتنفيذ.

وكيل النيابة: عايز حاجة؟

- عايز البيه المأمور.



المأمور: عايز إيه؟

- عايز العسكري أحمد الأعسر يروح يوصلني للدفن.

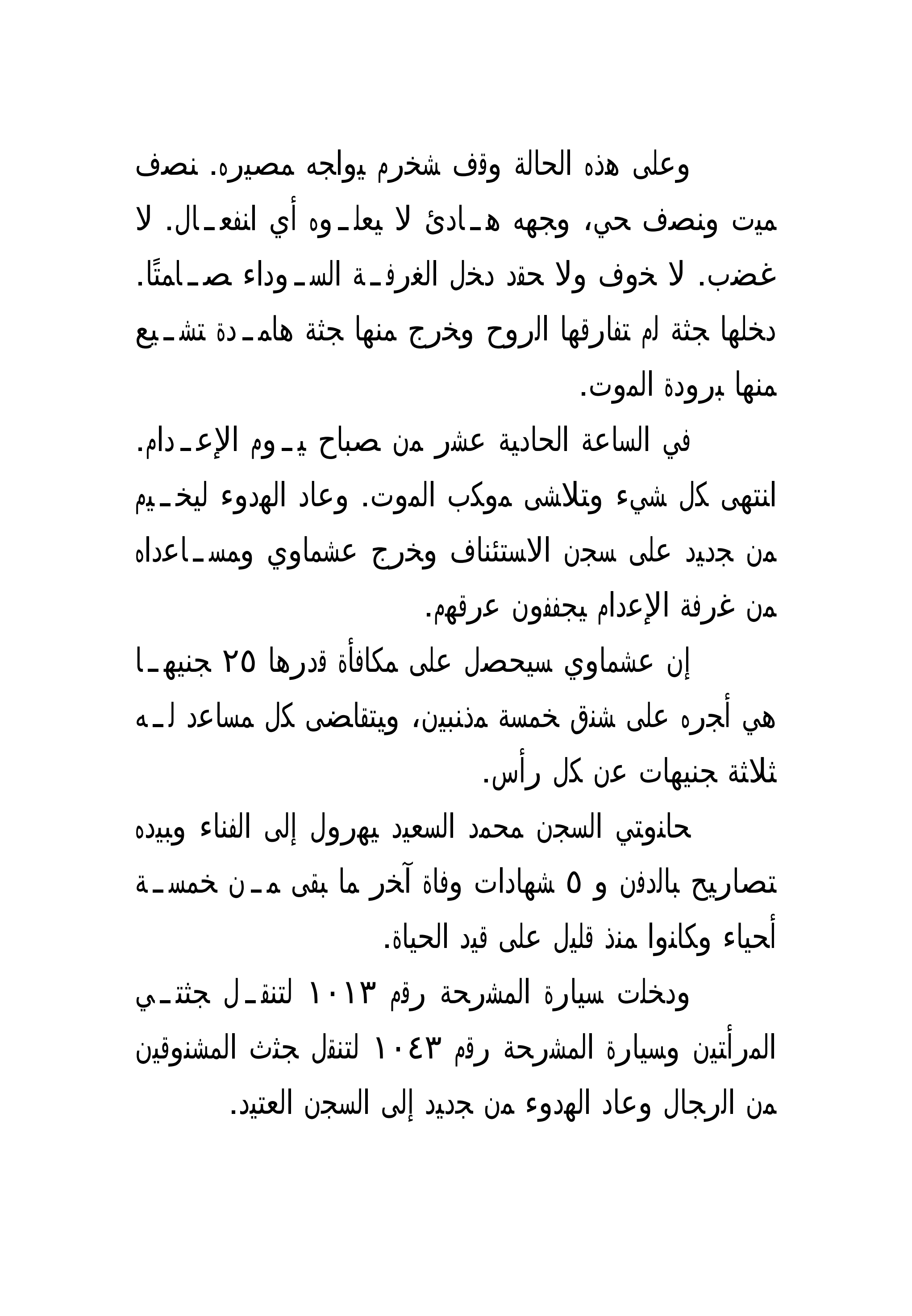
وتقدم منه واعظ السجن. الواعظ: قل اللهم ارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

- اللهم ارحمنا.

- أشهد أن لا إله إلا ا وأن محمدا رسول ا .

* * *

كان الرجل زائغ البصر مذهولاً. كأنه يحضر إجراءات إعدام شخص آخر أو كأنه يعيش في كابوس مرعب.. لم يكن يشعر أنه سيموت بعد دقائق أو كان لا يشعر بأي شيء على الإطلاق كان الميت الحي. ملاحظة لي في كل حالة إعدام شهدتها ولا أعرف مدى صحتها.. كنت ألاحظ أن المساق إلى الإعدام يأتي إلى المشنقة ميتًا سلفًا. كان يأتي وهو في حالة موت شعوري يفقد الحس والإرادة والوعي والإدراك. يتركها كلها داخل الزنزانة ويواجه المشنقة نصف ميت.



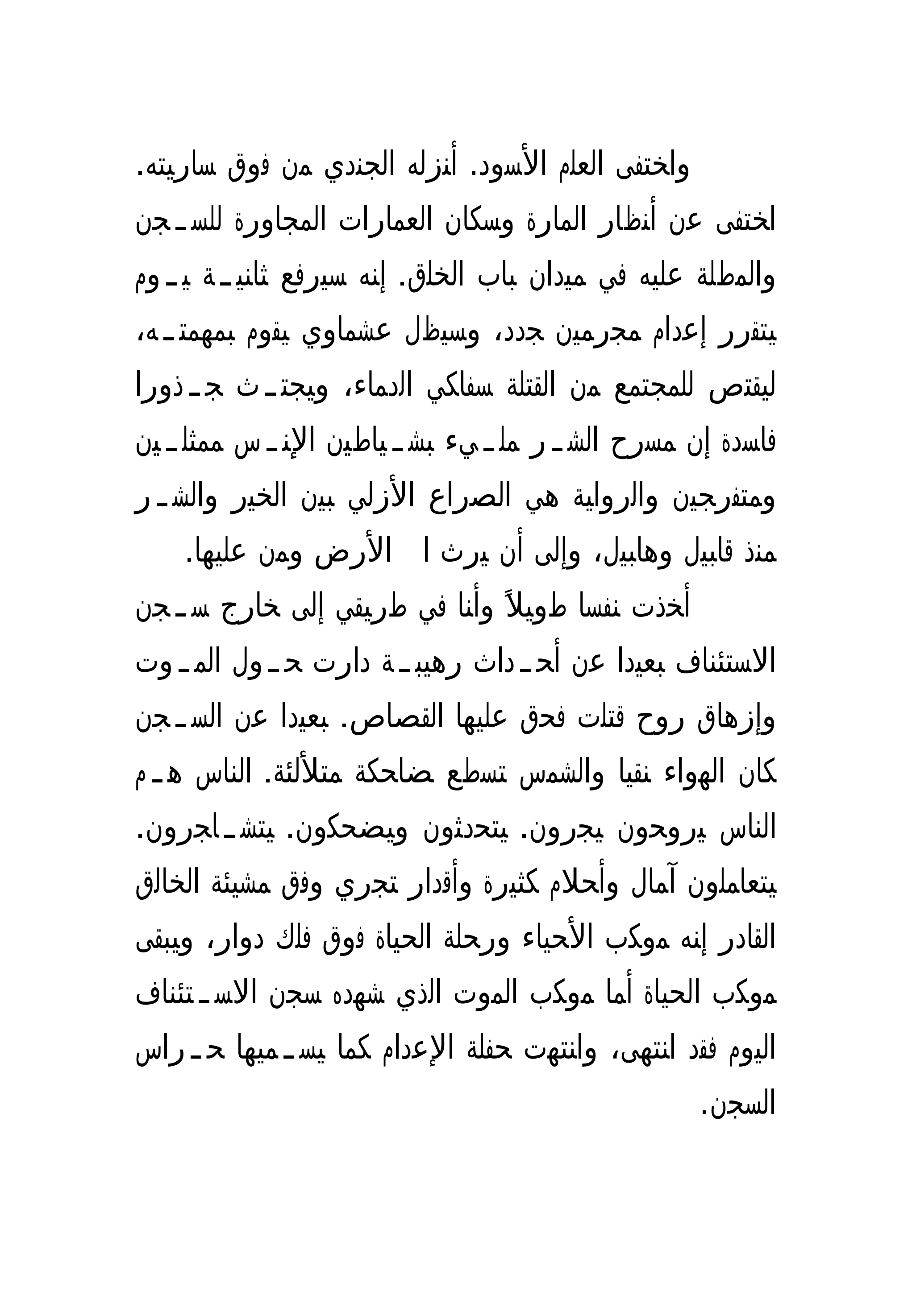
وعلى هذه الحالة وقف شخرم يواجه مصيره. نصف ميت ونصف حي، وجهه هـادئ لا يعلـوه أي انفعـال. لا غضب. لا خوف ولا حقد دخل الغرفـة السـوداء صـامتًا. دخلها جثة لم تفارقها الروح وخرج منها جثة هامـدة تشـيع منها برودة الموت.

في الساعة الحادية عشر من صباح يـوم الإعـدام. انتهى كل شيء وتلاشى موكب الموت. وعاد الهدوء ليخـيم من جديد على سجن الاستئناف وخرج عشماوي ومسـاعداه من غرفة الإعدام يجففون عرقهم.

إن عشماوي سيحصل على مكافأة قدرها ٢٥ جنيهـا هي أجره على شنق خمسة مذنبين، ويتقاضى كل مساعد لـه ثلاثة جنيهات عن كل رأس.

حانوتي السجن محمد السعيد يهرول إلى الفناء وبيده تصاريح بالدفن و ٥ شهادات وفاة آخر ما بقى مـن خمسـة أحياء وكانوا منذ قليل على قيد الحياة.

ودخلت سيارة المشرحة رقم ١٠١٣ لتنقـل جثتـي المرأتين وسيارة المشرحة رقم ١٠٤٣ لتنقل جثث المشنوقين من الرجال وعاد الهدوء من جديد إلى السجن العتيد.



واختفى العلم الأسود. أنزله الجندي من فوق ساريته. اختفى عن أنظار المارة وسكان العمارات المجاورة للسـجن والمطلة عليه في ميدان باب الخلق. إنه سيرفع ثانيـة يـوم يتقرر إعدام مجرمين جدد، وسيظل عشماوي يقوم بمهمتـه، ليقتص للمجتمع من القتلة سفاكي الدماء، ويجتـث جـذورا فاسدة إن مسرح الشـر ملـيء بشـياطين الإنـس ممثلـين ومتفرجين والرواية هي الصراع الأزلي بين الخير والشـر منذ قابيل وهابيل، وإلى أن يرث ا الأرض ومن عليها.

أخذت نفسا طويلاً وأنا في طريقي إلى خارج سـجن الاستئناف بعيدا عن أحـداث رهيبـة دارت حـول المـوت وإزهاق روح قتلت فحق عليها القصاص. بعيدا عن السـجن كان الهواء نقيا والشمس تسطع ضاحكة متلألئة. الناس هـم الناس يروحون يجرون. يتحدثون ويضحكون. يتشـاجرون. يتعاملون آمال وأحلام كثيرة وأقدار تجري وفق مشيئة الخالق القادر إنه موكب الأحياء ورحلة الحياة فوق فلك دوار، ويبقى موكب الحياة أما موكب الموت الذي شهده سجن الاسـتئناف اليوم فقد انتهى، وانتهت حفلة الإعدام كما يسـميها حـراس السجن.

عشماوي ينتقل إلى الإسكندرية

أسبوع واحد فقط أمضاه عشماوي مستريحا من إزهاق أرواح المجرمين.. ثم صدرت الأوامر إليه ليسافر إلى الإسكندرية – فهناك أربعة محكوم عليهم بالإعدام، من بينهم امرأتان. تحدد لتنفيذ الحكم في الأربعة يوم الأربعاء ٩ نوفمبر عام ١٩٦٠.

* * *

إن المرأتين إحداهما من الإسكندرية وهي أول امرأة يحكم عليها بالإعدام في الإسكندرية، بعد ريا وسكينة. أما المرأة الثانية فهي من المنوفية..

جريمة الأولى: قتل طفلة وسرقة حليها.. والثانية: قاتلة المنوفية قتلت زوجة ابنها وأحرقت جثتها في الفرن، ثم جلست على باب البيت تتحدث مع جارتها وتضحك.

الأولى: قتلت بسبب الحقد والغيرة من الصغيرة التي تتزين بالذهب بينما لا تجد هي ثمن حلاوة المولد، والثانية: قتلت زوجة ابنها لأنها كانت تغار منها.

* * *

ويقوم عشماوي في نفس اليوم بشنق سفاح البحيـرة وشريكه في قتل مأمور ضرائب للتخلص من دين قدره ألف جنيه.

* * *

وداخل سجن الحدراء كان يعيش رجلان وامرأتـان في عنابر الإعدام، إنهم على موعد مـع المـوت. يقضـون أيامهم الباقية في ندم وذهول يراودهم بعـض الأمـل فـي الإفلات من حبل المشنقة. لقد قدموا طعنًا في أحكام الإعـدام رفضتها المحكمة وسـيفاجئون صـباح يـوم الاعتـراض بالرفض، وسيجدون حبل المشنقة في انتظارهم.

أول امرأة تشنق:

بعد ريا وسكينة

إن لكل من المجرمين الأربعة قصة. نبدؤها بقصة هنومة هنداوي قاتلة الطفلة بالإسكندرية في سبتمبر عام ١٩٥٩، والقصة ترويها محاضر تحقيق النيابة. كانت تقص الحادث على وكيل النيابة وكأنها تحكي حدوته.. التهمة الموجهة إليها هي قتل بنت الجيران وسرقة حليها، قالت:

- جت نجوى البيت عشان تلعب مع بنتي حسنية وبعدين ذهبت نجوى وبنتي إلى الحمام وخرجت بنتي ولم تخرج نجوى. ذهبت إليها وجدتها تغسل رأسها تحت الحنفية. حطيت إيدي على رقبتها. صرخت قالت لي: أنا زي بنتك عاوزة تموتيني ليه؟..

ورددت عليها قلت لها زي بنتي إزاي؟ انت متغذية بط واحنا مش لاقيين نجيب حلاوة المولد.

ورحت مكملة عليها وبعد ما تأكدت إنها ماتت خلعت الغويشتين والحلق والخاتم، وبعدين جبت شوال ووضعتها فيه

وربطت الشوال بقطعة حبل، ولفيته بملاءة سوداء، وحملت الشوال على دماغي، وسرت في الطرقات كل ما أتعب في مكان أستريح.

وفي محطة التيروبحي القباري أخذت تاكسي وقلت للسائق أنا عاوزة أروح القرافة وبعدين السواق نزلني هناك. وخفت أروح القرافة وحدي. حطيت الشوال على الرصيف وجلست بجانبه لحد ما أظلمت الدنيا وسبته ومشيت. وبعدين عثر رجال الشرطة على الشوال، واعترف ابني محمد قال إنه شاهدني وأنا أخنق الطفلة وانتزعت قرطها وخاتمها وباعتها لصائغ بعشرة جنيهات و ٦٠ قرشًا.

إن هنومة هنداوي هي ثالث امرأة تعدم في الإسكندرية منذ عام ١٩٢٠ عندما شنقت ريا وسكينة. وكانت قد أصيبت خلال إقامتها في سجن الحدراء بمرض السرطان، وطلبت من محاميها أن تقوم الدولة بعلاجها، ورفض النائب العام الطلب.

تغار على ابنها من زوجته

والقاتلة رقم ٢ هي الحماة سعدية خضر التـي مـلأ قلبها الحقد الأسود ضد زوجة ابنها. اعتقدت الحماة أن زوجة الابن تحاول انتزاع عرش الأسـرة منهـا، وهـي السـيدة المتربعة على عرش بيتها منذ حوالي ٤٠ سنة منذ تزوجـت شيخ البلد وعمرها ١٢ عاما.

صور لها خيالها أن زوجة الابن على وشك انتـزاع مكانتها لتحتل تلك المكانة في البيت الكبير، وخزتها الغيـرة بأشواكها القاتلة ومزقت مشاعرها صور لها خيالها المريض ونفسيتها الآثمة أن طريق الخلاص هو قتل زوجة الابن بأي وسيلة.

وبدأت تمهد لجريمتها. أخذت تهمس إلـى ابنهـا أن زوجته تخونه طلبت منه أن يتخلص منها حتى لا تشوه سمعة الأسرة، رفض الابن أخذت تغريه قالت: له سأزوجك بنـت شيخ البلد الجميلة. إن شعرها ناعم طويل وأن بنت شيخ البلد البيضاء الحسناء هي محط أنظار شباب البلد لكني سأزوجك

منها. أعدت فطيرة محشوة بمادة التوكسافين التي تقتـل دودة القطن وطلبت منه أن يقدمها لزوجته، وهددته بحرمانه مـن الميراث إن لم يفعل وحمل الابن الفطيرة وذهب إلى الحقـل، كانت الزوجة تقوم بحرث الأرض. وقبـل أن يصـل إليهـا صحا ضميره. تذكر أنها حامل في شـهرها السـابع فـألقى الفطيرة في الترعة.

وثارت الأم، أعدت جريمة ثانية وشاركها الابن فـي قتل زوجته التي ماتت. وحكم على الابن بالأشغال الشاقة ١٥ عاما وعلى الحماة القاتلة بالإعدام.

كان يقتل للقتل ذاته

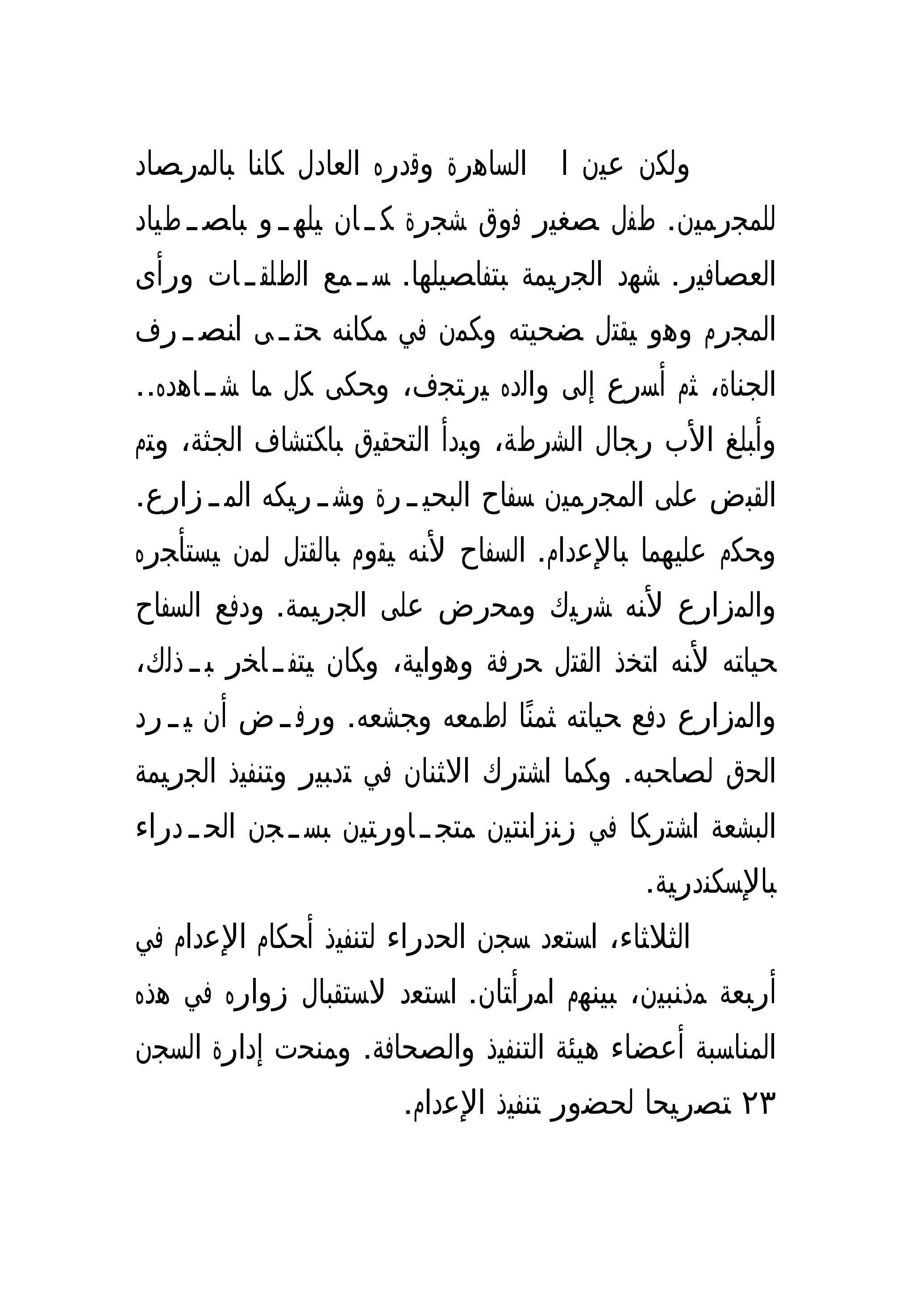
أما سفاح البحيرة فكان يقتل مقابل أجر، وكان القتـل حرفته رغم أنه كان من أسرة ثرية ويمتلك ٦٣ فـدانًا مـن أجود الأراضي، كان يتباهى أن أتخن رجل لا يأخذ في يـده أكثر من دقيقة. استمر نبضه بعد إعدامه أطول وقت ممكـن مما أقلق عشماوي. كان قويا وفي صحة جيدة، رغم أنه كان في حوالي الخمسين من عمره. استقبل عدسـات التصـوير بابتسامة عريضة مصطنعة وقال صوروا دي.

إن القاتل الأول راضي سالم هو قاتل محترف. رغم أنه من الأثرياء. كان قاتلاً محترفًا، يستأجره من يريد إزاحة غريمه أو الانتقام. سبقت تبرئته من ٣ جرائم لأن الأدلة لـم تكن كافية كان مجرد ذكر اسمه يثير الرعب.

إن الجريمة التي قبض عليه بسـببها وسـيعدم مـن أجلها. شهدها طفل صغير كان بالصدفة يجلس فوق شـجرة وشهد الجريمة كاملة ووقف أمام محكمـة الجنايـات ليقـود السفاح إلى المشنقة هو وشريكه الذي حرضه على القتل.

والقصة تبدأ باقتراض أحد المزارعين لمبلـغ ألـف جنيه من مأمور ضرائب بأيتاي البارود، مقابـل كمبيـالات وحاول المماطلة، رغم مطالبة صـاحب المبلـغ لـه أكثـر من مرة. وأخيرا هدده برفع دعوى ضده فأسـرع المـزارع وأحضر سفاح البحيرة. واتفق معه على قتل مأمور الضرائب ليتخلص من الدين، أعطاه مبلـغ ٥٠ جنيهـا، مقابـل رأس مأمور الضرائب.

كان السفاح يرسم خطته بدقة قبل ارتكاب الجريمـة. أحضر المأمور الكمبيالات ليتسلم نقوده من المزارع المدين عبد العظيم محمود. وركب معه في سيارة، وفـي طريـق مهجورة توقفت السيارة، فنزل المزارع ومأمور الضـرائب ليدفعا بالسيارة، وفجأة برز السفاح من بـين أعـواد الأرز، وضرب المأمور على رأسه بقطعة حديد، وأخرج مسدسـه وأفرغ في صدر الضحية ٧ رصاصات، ولم يكتـف بـذلك، شق بطن القتيل، ووضع بداخلها حجر كبير وكمية وكبيـرة من ملح الطعام، وكان المزارع قد أخرج الكمبيـالات التـي أودت بحياة صاحبها. من حافظة نقوده واختتمـت الجريمـة بإلقاء الجثة ببركة مياه.



ولكن عين ا الساهرة وقدره العادل كانا بالمرصاد للمجرمين. طفل صغير فوق شجرة كـان يلهـو باصـطياد العصافير. شهد الجريمة بتفاصيلها. سـمع الطلقـات ورأى المجرم وهو يقتل ضحيته وكمن في مكانه حتـى انصـرف الجناة، ثم أسرع إلى والده يرتجف، وحكى كل ما شـاهده.. وأبلغ الأب رجال الشرطة، وبدأ التحقيق باكتشاف الجثة، وتم القبض على المجرمين سفاح البحيـرة وشـريكه المـزارع. وحكم عليهما بالإعدام. السفاح لأنه يقوم بالقتل لمن يستأجره والمزارع لأنه شريك ومحرض على الجريمة. ودفع السفاح حياته لأنه اتخذ القتل حرفة وهواية، وكان يتفـاخر بـذلك، والمزارع دفع حياته ثمنًا لطمعه وجشعه. ورفـض أن يـرد الحق لصاحبه. وكما اشترك الاثنان في تدبير وتنفيذ الجريمة البشعة اشتركا في زنزانتين متجـاورتين بسـجن الحـدراء بالإسكندرية.

الثلاثاء، استعد سجن الحدراء لتنفيذ أحكام الإعدام في أربعة مذنبين، بينهم امرأتان. استعد لاستقبال زواره في هذه المناسبة أعضاء هيئة التنفيذ والصحافة. ومنحت إدارة السجن ٢٣ تصريحا لحضور تنفيذ الإعدام.

وقبل الإعدام، يقوم أقارب المذنبين بزيارتهم الزيارة الأخيرة. نبه عليهم مأمور السجن عـدم إبلاغهـم بموعـد الإعدام، وطلب منهم ألا يظهر عليهم أي انفعال أو تأثر عند المقابلة، ونفذ الأقارب التعليمات فيما عدا ابنة قاتلـة الطفلـة فإنها أجهشت بالبكاء وهي تقبل أمهـا فأسـرعت السـجانة بإخراجها قائلة: إن البنت تبكي لغيابك الطويل عن البيت.

وكان آخر لقاء قاتلة الطفلة مـع أسـرتها، زارهـا زوجها الجاويش بالسواحل، وابنها محمد الذي اعترف عليها، أمضت القاتلة مع أسرتها ساعة كاملـة، وكانـت أول مـرة يزورها زوجها منذ ستة شهور قالت له وهو يودعها:- أشعر بتعب. أنا عيانة. ورد عليها:- متخـافيش حتخرجـي مـن السجن قريبا.

كما زارها وكيل النيابة فطلبت منه أن يأمر بعرضها على طبيب السجن لكي يقوم بنقلها للمستشفى يـوم السـبت لعلاجها بالكهرباء. قالت له:- أنا عارفه عنـدي سـرطان، وعايزة أروح المستشفى عشان أشفى وأعيش.

وقام ابن سفاح البحيرة بزيارته في السجن. كان آخر لقاء بينهما ولم يتأثر الابن. قال القاتل لابنه: لقد ربيتك حتى

صرت رجلاً وعاوز أترك لك أرضي وفلوسـي. عاوزهـا تكبر وتكبر. لا تعطي الفرصة لأحد كي يضحك عليك.

وعندما زاره وكيل النيابة قال له: ماتخلصونا بقى يا تشنقونا يا تسيبونا.. الواحد مش عارف راسه من رجليه.

أما شريكه الثاني فلم يقم أحد من أسرته بزيارتـه – فقط زاره صديق له وزوجته من بلده.

* * *

إن أحدا من أسرة قاتلة المنوفية. الحماة التي قتلـت زوجة ابنها بسبب الغيرة. لم يفكر فـي زيارتهـا الزيـارة الأخيرة. ضنوا عليها بهذه الزيارة.. لم يودعوهـا الـوداع الأخير، رغم أن إدارة السجن طلبت من أقاربها زيارتها.

* * *

ووصل عشماوي ومساعداه إلى الإسـكندرية قبـل موعد الإعدام بيوم عشماوي محمد زنفـل أحضـر معـه ٤ حقائب بداخلها عدة الشغل الملابس السوداء و ٥ حبال لشنق المذنبين، أحدها احتياطي. كانت الجموع حول سجن الحدراء تنظر إلى عشماوي ومساعديه وهم في طريقهم إلـى داخـل السجن تشير إلى الحقائب التي يحملونها قـال شـاب يقـرأ

الصحف ويهتم بما تنشره عن الجرائم والإعدام:- أنا أعرف ما بداخل هذه الحقائب لقد قرأت عنها في الأسبوع الماضي.. إنها تحتوي على أوفرولات يلبسها عشماوي ومساعداه حين يقومون بالشنق، كما تحتوي على حبال المشنقة.

واقترب طفل كان يستمع إلى حوار الواقفين قـرب باب السجن وبكل براءة الطفولة وفضولها قال: نفسي أشوف روح المشنوق وهي تخرج من جسمه. أين تذهب بعد ذلك؟..

وعجز الواقفون عن الإجابـة وارتسـمت علامـة استفهام في عيني الطفل إنه السؤال الأبدي الذي ظل وسيظل بدون إجابة ثم تحولت الأنظار إلى بوابة سجن الحدراء وهي تفتح لتستقبل موكب الإعدام القادم من القـاهرة فـي مهمـة رسمية هي إزهاق أربعة أرواح آثمـة عاثـت فـي الأرض فسادا.

* * *

اتجه عشماوي ومساعداه إلى غرفة مأمور السـجن ومنها إلى الغرفة السوداء حيث قاموا بعمل تجربـة لعمليـة الإعدام، بعـد أن أخـذ عشـماوي وزن المحكـوم علـيهم

وأوصافهم، قام بإعداد حبال الموت طبقًا لهـذه المواصـفات وأصبحت غرفة الإعدام معدة تماما في انتظار ضيوفها.

* * *

عشماوي يعتزل

إن عشماوي محمد زنفل سـيعتزل مهنتـه قريبـا. سيحال إلى المعاش بعد شهرين لبلوغه السن القانونية. إنـه نشط ويقوم بعمله في دقة إن خليفة عشماوي هـو مسـاعده الرقيب أول عبد اللطيـف أحمـد الـذي جـاء معـه إلـى الإسكندرية. إنه عشماوي رقم عام ١٩٦١. لكن عشماوي لن يعتزل مهنته إلا بعد أن يقوم بشنق ١٦ مذنبا منهم ١٠ عشرة في أسيوط وثلاثة في بني سويف وثلاثة في القاهرة.

* * *

إن تنفيذ الإعدام في الإسكندرية كان يتم في الهـواء الطلق في فناء السجن المكشوف. كان علـى مـرأى مـن المساجين وسكان العمارات المجـاورة الـذين تمتلـئ بهـم شرفاتها وأسطحها. يقوم الحرس بإحضار المحكوم عليه من زنزانته إلى فناء السجن الخارجي، حيث تتم كـل مقـدمات التنفيذ. يواجه هيئة التنفيذ، ثم يتم قيده بالحزام الجلدي، وبعد

انتهاء الإجراءات يساق إلى غرفة الإعدام الموجودة في نفس الفناء ويتم شنقه في ثوان.

* * *

اليوم الأربعاء ٩ نوفمبر من عـام ١٩٦٠. الرايـة السوداء ترفرف فوق سارية سجن الحدراء. قام أحد الجنـود برفعها في السابعة صباحا ليعلم الجمهور أن أحكـام إعـدام ستنفذ في هذا اليوم.

حركة غير عادية في طرقات السجن وفرقعات أحذية الحراس الثقيلة في كل مكان، حيث يهرولون تنفيذًا للأوامر، واستعدادا لما سيتم في توقيت محدد مضبوط.

وفي الثامنة صباحا تماما يشنق سفاح البحيرة يعقبها نصف ساعة استراحة لعشماوي. في الثامنة والنصف يشـنق شريكه راضي. بعدها استراحة لمدة نصف ساعة أيضا. في التاسعة تماما تشنق الحماة قاتلة زوجة ابنها ثم نصف سـاعة استراحة. في التاسعة والنصف يتم شنق قاتلة الطفلة.

هكذا حددت إدارة السجن موعد التنفيذ ورتبت أسماء الذين سيعدمون. لكن هنومة المريضة بالسرطان والتي قتلت الطفلة الصغيرة نجحت في إطالة حياتها لمدة ٥ دقائق كاملة

كيف تم هذا؟ وأعود إلى ذلك بالتفصيل وأنا أقـص مشـهد إعدامها.

إن سفاح البحيرة كان هو رقم ١ في قائمة الإعـدام. ظل يتظاهر بالشجاعة إلى آخر ثانية من عمره. عندما دخل عليه الضابط في الزنزانة رقم ٦٤ كـان يرتـدي بنطلـون الإعدام الأحمر وفانلة بيضاء. استقبل الضابط بقوله: أهـلاً وسهلاً خلاص ياللا بينا وخرج من الزنزانة يودع المساجين بصوت مرتفع يتردد في جنبات السجن. السلام عليكم جميعا يا عنبر ٤ السلام عليكم يا فتحي أمين. السلام عليكم يا عبـد العظيم شريكه في الجريمة وجاره في الزنزانة شدوا حـيلكم آمنت با   وملائكته.

كان السفاح يرسم على شـفتيه ابتسـامة عريضـة ومصطنعة. ووقف أمـام هيئـة التنفيـذ يبتسـم. يتظـاهر بالشجاعة. ولما تقدم منه المصورون اتسعت ابتسامته وقـال لهم:- صوروا دي وسطعت أضواء فلاش التصـوير مـن عدسات المصورين تلتقط آخر صورة للسفاح قبل أن يتحول إلى جثة مجرد جثة.

وبدأ رئيس هيئة التنفيذ يقرأ عليه الحكـم بإعدامـه، وسأله:

- اسمك إيه؟

- راضي.

- يا راضي أنت قتلت مأمور الضرائب مع شـريك آخر وسرقت نقوده وأوراقـه، واسـتخدمت أسـلحة بـدون ترخيص، وحكمت عليك محكمة الجنايات بدمنهور بالإعـدام واليوم موعد الإعدام.

- أهلاً وسهلاً.. أيوه أيوه.

وأمسكه عشماوي من الخلاف مع مسـاعديه ليقيـدوا يديه خلاف ظهره بالقيد الجلدي لكن المذنب واجههم قائلاً:

- على مهلك يا أخينا على مهلك. أنت بتعمل كـده ليه؟ أنا الراجل مكنشي ياخد مني ٣ دقائق وتطلع روحه في إيدي على مهلك. وا   العظيم وأقسم با   أنني أدخل المشنقة من غير حديد ولا قيد ولا حراسة.

ورد عشماوي: دي الرجولة اتشاهد.

- أنا مؤمن ومصلي الفجر حاضر.

- موش عاوز حاجة؟

- سلامتكم وأنا أشكر إدارة السجن علـى المعاملـة اللي عاملوني بيها. خذوني على المشنقة بقه.

وعندما خطا أول خطوة إلى غرفـة الإعـدام ورأى المشنقة في مواجهته صاح بصوت مرتفع: يا مرحـب.. يـا مرحب!.. كله على الناس أنا موش عاوز طاقية سـوداء ولا حاجة.. عاوز تشنقوني كده بس على طول.. أنا أتخن راجل مكنشي ياخد مني دقيقة يا عم عشماوي.

وفي ثوان تم شنقه جذب عشماوي لولـب المشـنقة فانفتحت الطبلية وهوى بثقل جسده إلى أسـفل. إلـى بئـر الإعدام.

وتقدم طبيب السجن من الجثة المعلقة ليعـد دقـات النبض دقيقة ثم أخرى وثالثة. مرت ٥ دقائق. ولـم يتوقـف النبض بدأ القلق يظهر على وجه عشماوي وسأل الطبيب:

- فات ٥ دقائق ولسه النبض؟

- لسه يا عم عشماوي.

- طب يا دكتور على العموم اللائحـة بتعطـي ١٥ دقيقة لنهاية النبض.

ومرت الدقيقة السادسة على عشماوي وكأنها دهر ثم الدقيقة السابعة وفي الدقيقة السابعة وعشر ثوان قال الطبيب:

- انتهى النبض.

وقال عشماوي وهو يجفف عرقه: الحمد   ده أطول واحد استمر نبضه بالشكل ده، بعد الجاسوس الدكتور ليتـو كان صغيرا وعمره ٢٥ سنة أما سفاح البحيرة فعمـره ٤٨ سنة ومع كل ليتو استمر نبضه ٨ دقائق و ١٠ ثوان.

وقال عشماوي:- أنا سألت عن النبض لأن اللائحـة بتقول لو استمر أكثر من ١٥ دقيقة، يبقـى معنـى كـده إن عملية الإعدام مش مضبوطة، ويحاكموني عسكريا.

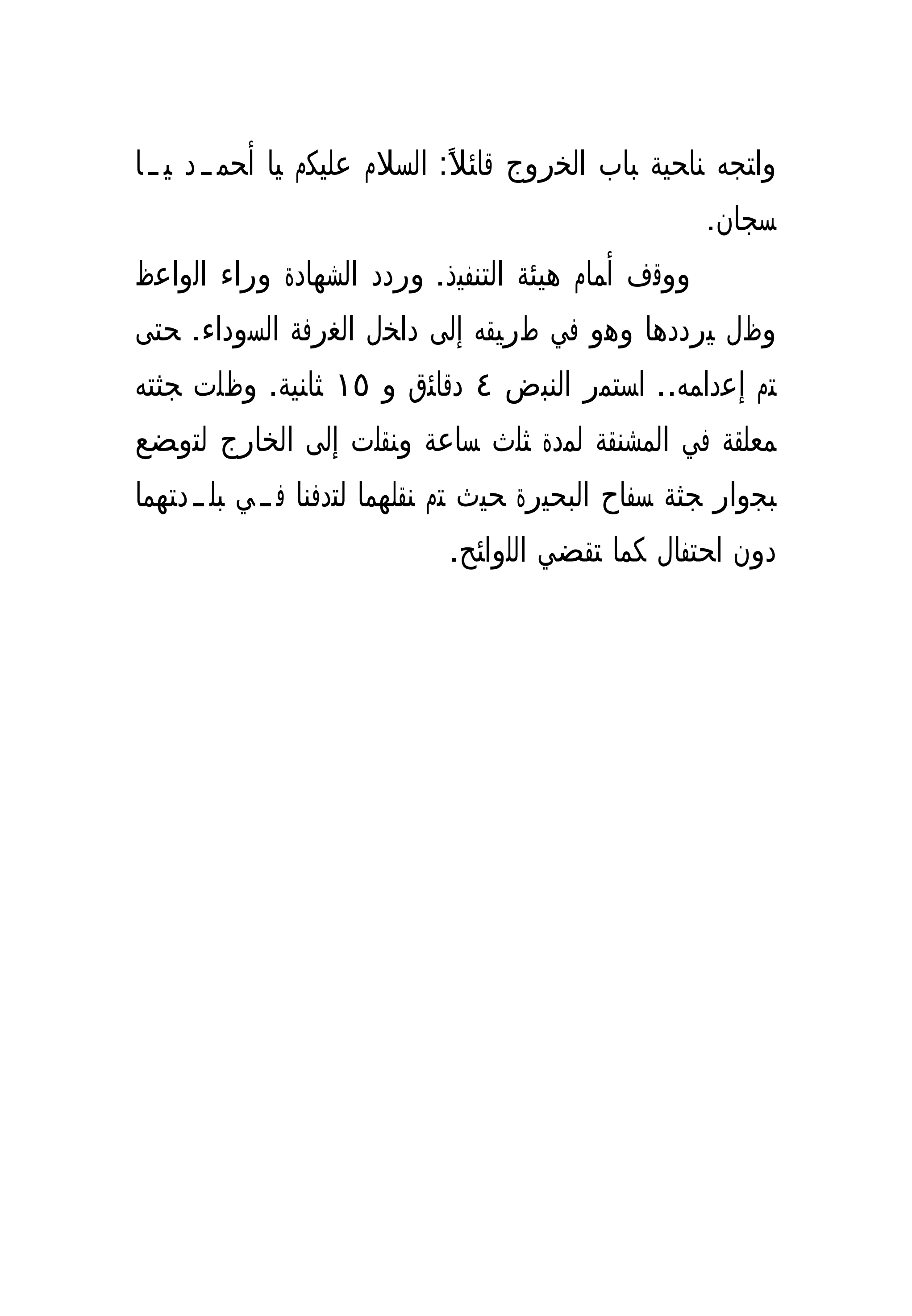
وكانت أسرة المحكوم عليه تقف في انتظـار الجثـة خارج السجن ومعها الحانوتي. إنه من أسرة كبيـرة وثريـة ولكنه اتجه إلى الإجرام. كان يتعقب ضحيته التي اسـتؤجر على قتلها. كانت طريقته أن يستدرجها ليلاً في مكان فـوق ظهر مركب، وينتهز الفرصة في الظلام ويلقي بالضحية إلى البحر، وعندما يصل المركب إلى نهاية رحلتـه يكتشـف أن أحد ركابه مفقود، وكانت أسرة المجني عليهم تعرف الحقيقة وتخشى من إبلاغ الشرطة خوفًا من بطش السفاح.

إلى أن وقع حادث مأمور الضرائب الذي قتله مقابل ٥٠ جنيها فقط دفعها له المحرض ليتخلص من ديـن قـدره ألف جنيه، ووضع القدر في طريقـه طفـلاً صـغيرا كـان يصطاد العصافير فأرشد عنه، وعوقب بالإعدام بعد أن أفلت ٣ مرات من ٣ جنايات حكم فيها جميعا بالبراءة.

وفي الساعة الثامنة والثلث صباحا. فتح باب الزنزانة رقم ٦٣ حيث كان المزارع شريك السفاح – ٥٨ سنة – قال للضابط:

- أنا كنت عارف إن المـوت قريـب. لمـا كلهـم حضروا لزيارتي على كل أنا أشكركم جميعا على كل اللـي عملتوه معي.

وتقدم العساكر ليمسكوا بـه قـال: لا. أنـا عـاوز العسكري ده اللي يمسكني، وأشار إلى العسكري الذي كـان يحرس زنزانته.. وقدم له الضابط سيجارة وضعها له في فمه قبل أن يخرج من الزنزانة فقال: شيلها يا حضرة الضـابط. أنا مش عايز أدخن. أنا غسلت فمي وتوضأت، وعايز أقابل ربنا كده، ومش عايز حاجة تدخل فمي. بس ربنا يقبلنا عنده



واتجه ناحية باب الخروج قائلاً: السلام عليكم يا أحمـد يـا سجان.

ووقف أمام هيئة التنفيذ. وردد الشهادة وراء الواعظ وظل يرددها وهو في طريقه إلى داخل الغرفة السوداء. حتى تم إعدامه.. استمر النبض ٤ دقائق و ١٥ ثانية. وظلت جثته معلقة في المشنقة لمدة ثلث ساعة ونقلت إلى الخارج لتوضع بجوار جثة سفاح البحيرة حيث تم نقلهما لتدفنا فـي بلـدتهما دون احتفال كما تقضي اللوائح.

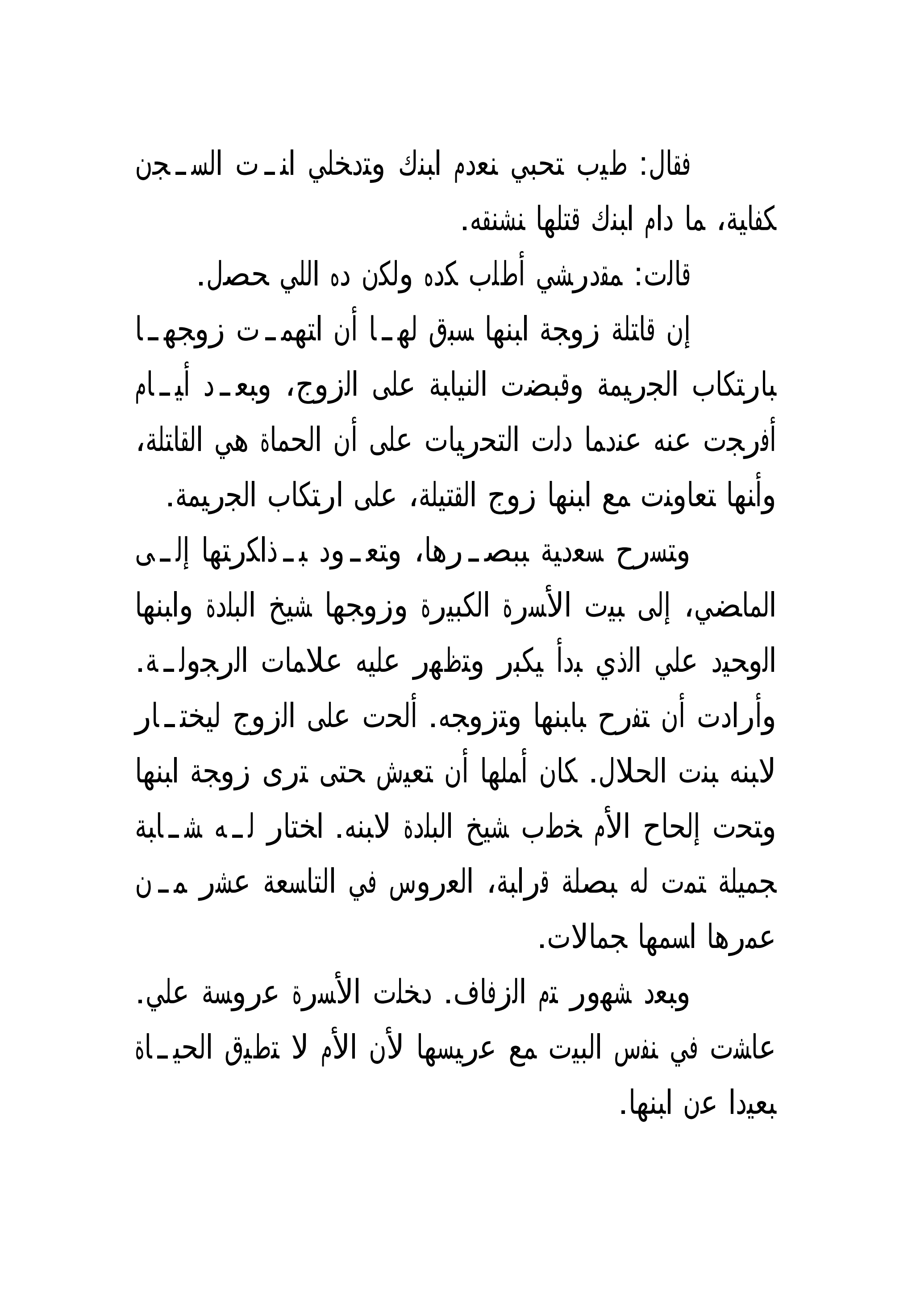
((إعدام امرأتين))

وكما تم بالقاهرة منذ أسبوع إعدام قاتلتين فإنه يـتم اليوم بالإسكندرية إعدام امرأتين قاتلتين ليرتفع الرقم إلـى ٤ قاتلات. تم شنقهن بعد ٤٠ سنة من إعدام السـفاحتين ريـا وسكينة. إنهما أول سيدتين تعدمان في الإسكندرية كلها منـذ حوالي ٤٠ عاما. منذ أعدمت ريا وسكينة ولكـن إعـدامهما كان في ميدان عام أمام قسم شرطة اللبان. لم يتم إعدام ريـا وشقيقتها سكينة على مشنقة السجن.

* * *

استراحة عشماوي الثانية أوشكت علـى الانتهـاء، وبالتالي فإن عمر الحماة سعدية خضر قاتلة زوجـة ابنهـا تتناقص دقائقه وأصبحنا في العد التنازلي إن سعدية عمرهـا ٥٥ سنة. قبل الإعدام بيوم زارها في السجن وكيـل النيابـة عادل عيد أثناء تفتيشه على السجن وسألها: ناقصك حاجة يا سعدية؟

قالت: أنا مظلومة.. ابني اللي قتلها..



فقال: طيب تحبي نعدم ابنك وتدخلي انت السجن كفاية، ما دام ابنك قتلها نشنقه.

قالت: مقدرشي أطلب كده ولكن ده اللي حصل.

إن قاتلة زوجة ابنها سبق لها أن اتهمت زوجها بارتكاب الجريمة وقبضت النيابة على الزوج، وبعد أيام أفرجت عنه عندما دلت التحريات على أن الحماة هي القاتلة، وأنها تعاونت مع ابنها زوج القتيلة، على ارتكاب الجريمة.

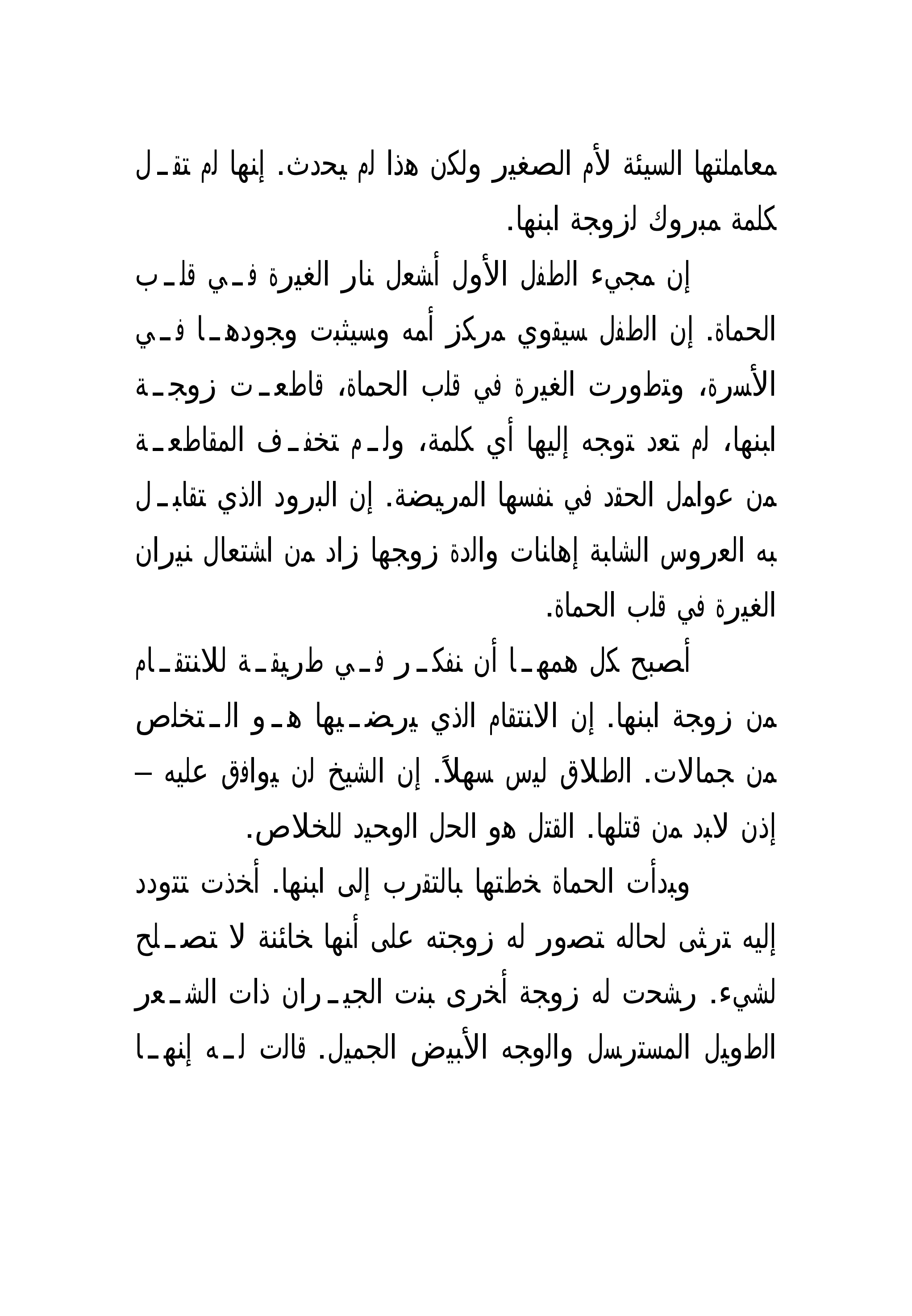
وتسرح سعدية ببصرها، وتعود بذاكرتها إلى الماضي، إلى بيت الأسرة الكبيرة وزوجها شيخ البلدة وابنها الوحيد علي الذي بدأ يكبر وتظهر عليه علامات الرجولة. وأرادت أن تفرح بابنها وتزوجه. ألحت على الزوج ليختار لابنه بنت الحلال. كان أملها أن تعيش حتى ترى زوجة ابنها وتحت إلحاح الأم خطب شيخ البلدة لابنه. اختار له شابة جميلة تمت له بصلة قرابة، العروس في التاسعة عشر من عمرها اسمها جمالات.

وبعد شهور تم الزفاف. دخلت الأسرة عروسة علي. عاشت في نفس البيت مع عريسها لأن الأم لا تطيق الحياة بعيدا عن ابنها.



كانت العروس الشابة تعامل والد زوجها معاملة العم. إنه في مركز عمها. كانت تعتني به وتخدمه، وكان الشيخ يقدر لها هذا الجميل ويحسن معاملتها، يشتري لها الهدايا كما يشتريها لزوجته. كان يعني بها إذا مرضت عنايته بابنته، ومضت الأيام بأسرة قرية المنوفية الصغيرة إلى أن تحرك شيطان الغيرة في قلب الحماة سعدية، أصبحت تغار من زوجة ابنها إذا غسلت وجهها وارتدت ثوبا نظيفًا. بدأت توجه لها الشتائم وتسخر منها وإذا تحدثت مع والد زوجها، تدخلت في الحديث وقطعته.

كانت العروس تبكي وتندب حظها العاثر. كانت تخفي دموعها حتى عن زوجها لم تسمح لنفسها أن تدخل معركة مع حماتها. كانت تقابل استفزاز الحماة بالصبر. تتحمل كل إهاناتها في سكون. ومرت سنة وضعت العروس طفلها الأول. تصورت أن مولودها الجديد سيغير موقف حماتها سيثير عاطفة الحب لحفيدها في قلبها وتغير من



معاملتها السيئة لأم الصغير ولكن هذا لم يحدث. إنها لم تقـل كلمة مبروك لزوجة ابنها.

إن مجيء الطفل الأول أشعل نار الغيرة فـي قلـب الحماة. إن الطفل سيقوي مركز أمه وسيثبت وجودهـا فـي الأسرة، وتطورت الغيرة في قلب الحماة، قاطعـت زوجـة ابنها، لم تعد توجه إليها أي كلمة، ولـم تخفـف المقاطعـة من عوامل الحقد في نفسها المريضة. إن البرود الذي تقابـل به العروس الشابة إهانات والدة زوجها زاد من اشتعال نيران الغيرة في قلب الحماة.

أصبح كل همهـا أن تفكـر فـي طريقـة للانتقـام من زوجة ابنها. إن الانتقام الذي يرضـيها هـو الـتخاص من جمالات. الطلاق ليس سهلاً. إن الشيخ لن يوافق عليه – إذن لابد من قتلها. القتل هو الحل الوحيد للخلاص.

وبدأت الحماة خطتها بالتقرب إلى ابنها. أخذت تتودد إليه ترثى لحاله تصور له زوجته على أنها خائنة لا تصـلح لشيء. رشحت له زوجة أخرى بنت الجيـران ذات الشـعر الطويل المسترسل والوجه الأبيض الجميل. قالت لـه إنهـا



العروس التي كانت تتمناها له من زمان، ولكن والده رفضها واختار له جمالات لأنها قريبته.



وبدأ علي يضعف تحت تأثير أمه. إنها لا تكف عن محاولاتها ليلاً ونهارا لإقناعه بأن جمالات لا تصلح زوجة له، وبدأ التكرار يؤثر على الابن. قال لأمه:

- عايزاني أعمل إيه.. أطلقها؟
- أبوك مش راضي.
- خلاص أعمل إيه؟
- سمها. اقتلها واخلص منها.
- أقتلها إزاي؟
- أنا رايحة أعمل لك فطيرة محشية توكسافين بتاع دودة القطن لو أكلت منها راح تموت.

وفكر الابن لحظات ثم وافق أمه وقال: طيب يا ستي اعملي الفطيرة. وتهلل وجه الأم فرحا، بعد ساعات ستتخلص من زوجة ابنها.. ستطفئ نيران الحقد والغيرة. وأسرعت لإعداد فطيرة الموت.

ولما انتهت من إعدادها أعطتها لابنها وهي توصـيه بالحذر طلبت منه ألا يأكل مع زوجته من الفطيـرة. وفـي طريقه إلى الحقل يحمل فطيرة الموت ليقدمها إلى الزوجـة التي تقوم بعملها في حرث الأرض – داهمه خاطر طـارئ جعله يتراجع. لقد تذكر طفله الرضيع وخشى أن تقوم أمـه بإرضاعه بعد أن تأكل الفطيرة المسمومة فيتسرب السم إلـى اللبن ويموت الطفل قتيلاً. وقبل أن يصل إلى الحقـل ألقـى فطيرة الموت في الترعة، وعند عودته في المساء قابلته أمه على باب البيت سألته:-

- عملت إيه يا علي؟
- خلاص أعطيتها الفطيرة. أكلتها.
- الساعة كام يا علي؟
- الساعة ١٢ الظهر.
- ولكن الساعة ٨ مساء وجمالات لسه عايشـه يـا علي.
- يمكن تموت على الصبح.

ونامت الحماة القاتلة وهي تحلم بنعش زوجة ابنهـا يخرج محمولاً على الأعناق. كان نومهـا متقطعـا. كانـت

ترهف السمع على تسمع أنين أو صراخ زوجة ابنها والسـم يمزق أحشاءها، ولكنها لم تسمع شيئًا، ومرت الليلة الطويلة، وفي الصباح كانت جمالات على خير حال.

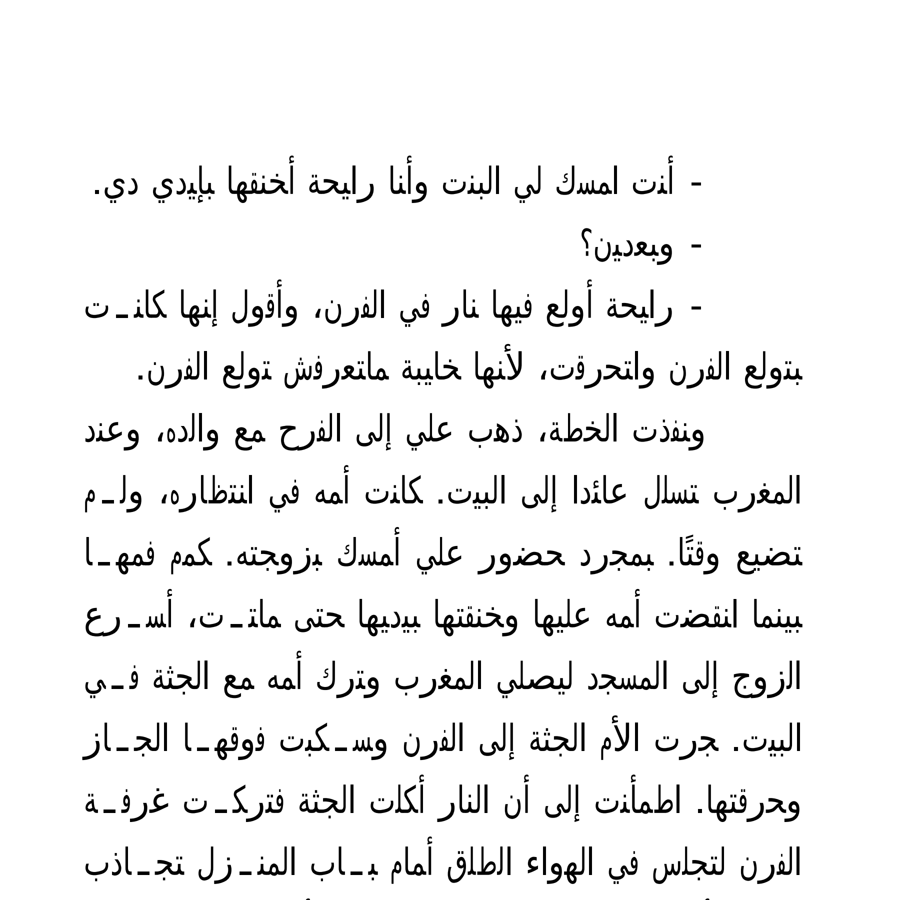
قتل الأب:

وعرفت الحماة أن ابنها خدعها، اعتقدت أنه خشـي تقديم السم لزوجته، لم تيأس. بدأت محاولة أخـرى للقتـل. مؤامرة جديدة أوهمت ابنها أن والده يعطف علـى جمـالات لأنه يحبها، قالت له: إن والدك يشاركك في زوجتك طلبـت منه أن يتخاص من أبيه.. عرضت عليه أن يقتل والده وقال لها: أنا مستعد لقتل زوجتي، ولكني لا أستطيع أن أقتل أبي.

وعادت الحماة تدبر من جديد لقتل زوجة ابنها. إنها تريد أن تتخاص منها بأي ثمن في وقـت سـريع، ولاحـت فرصة جديدة. إن القرية كلها ستحتفل بزفاف ابـن العمـدة. ستكون القرية كلها في دوار العمدة. سيخلو البيـت للحمـاة وزوجة ابنها. وانفردت بابنها تهمس له:

- الليلة فرح ابن العمدة وأبوك حيكون هناك، والبلد كلها حتكون هناك. وأنت كمان روح وبعد شوية تعالَ؟

- وبعدين؟



- أنت امسك لي البنت وأنا رايحة أخنقها بإيدي دي.
- وبعدين؟
- رايحة أولع فيها نار في الفرن، وأقول إنها كانت بتولع الفرن واتحرقت، لأنها خايبة ماتعرفش تولع الفرن.

ونفذت الخطة، ذهب علي إلى الفرح مع والده، وعند المغرب تسلل عائدا إلى البيت. كانت أمه في انتظاره، ولم تضيع وقتًا. بمجرد حضور علي أمسك بزوجته. كمم فمها بينما انقضت أمه عليها وخنقتها بيديها حتى ماتت، أسرع الزوج إلى المسجد ليصلي المغرب وترك أمه مع الجثة في البيت. جرت الأم الجثة إلى الفرن وسكبت فوقها الجاز وحرقتها. اطمأنت إلى أن النار أكلت الجثة فتركت غرفة الفرن لتجلس في الهواء الطلق أمام باب المنزل تجاذب جارتها أطراف الحديث وتضحك بعد أن تخلصت من غريمتها زوجة الابن. التي كانت حاملاً في شهرها السابع.

بعد ساعتين عاد الشيخ من حفل زفاف ابن العمدة، حيث قام بالواجب في مثل هذه المناسبات، سمع بكاء حفيده الصغير، سأل سعدية الولد بيبكي ليه؟

- مش عارفة أمه فين.

- كانت من شوية في الفرن. من حوالي ساعة بقـى لها مدة مش عارفه تحمي الفرن.

- ساعديها يمكن مش عارفه الطريقة.

- أنا مالي هي صغيرة. تساعد نفسها.

ودخل الشيخ يبحث عن جمالات زوجة ابنه ليبلغهـا أن طفلها يصرخ، اتجه إلى الفرن فوجئ بجثتهـا محترقـة ومتفحمة أمام الفرن، عاد مسرعا إلى الخارج وهو يصيح:

- يا سعدية.. يا سعدية.

- جمالات محروقة.

- إزاي؟.. إيه اللي حرقها. لازم نار الفرن مسـكت فيها. أنا ياما قلت لها بلاش لعب فـي الفـرن. ماسـمعتش كلامي.

وأسرع الشيخ إلى العمدة، أبلغه ما حـدث. تجمـع رجال الشرطة. وانتقل وكيل النيابة الـذي انتـدب الطبيـب الشرعي. قال الطبيب أن الوفاة سـببها اسفكسـيا الخنـق، والحروق التي في الجثة حدثت بعد الوفاة. وكانت مفاجـأة. ووضحت الجريمة وبدأ التحقيق يأخذ شكلاً جديـدا. سـئلت

الحماة قالت لوكيل النيابة: أنا أتهم زوجي بقتلها وحرقها. إنه كان على علاقة معها وخشي أن تبوح بهذه العلاقة فقتلها.

وسئل زوج القتيلة فقال: أنا أتهم والدي بقتل زوجتي وحرقها. إنه كان يحبها. كانت علاقته بها محل شك وريبـة. إنه هو القاتل وسبب القتل إني نبهت عليها بعدم الكلام معـه أو الانفراد به في مكان.

وأمر وكيل النيابة بالقبض على الأب وسـجن بنـاء على أقوال زوجته وابنه. وبقى القاتلان الحقيقيـان خـارج أسوار السجن، لكن تحريـات الشـرطة اسـتمرت. قالـت التحريات إن علي كان يصلي المغرب في المسجد بملابسـه الداخلية دون جلباب، وأن الملابس الداخلية كان عليها آثـار دماء.

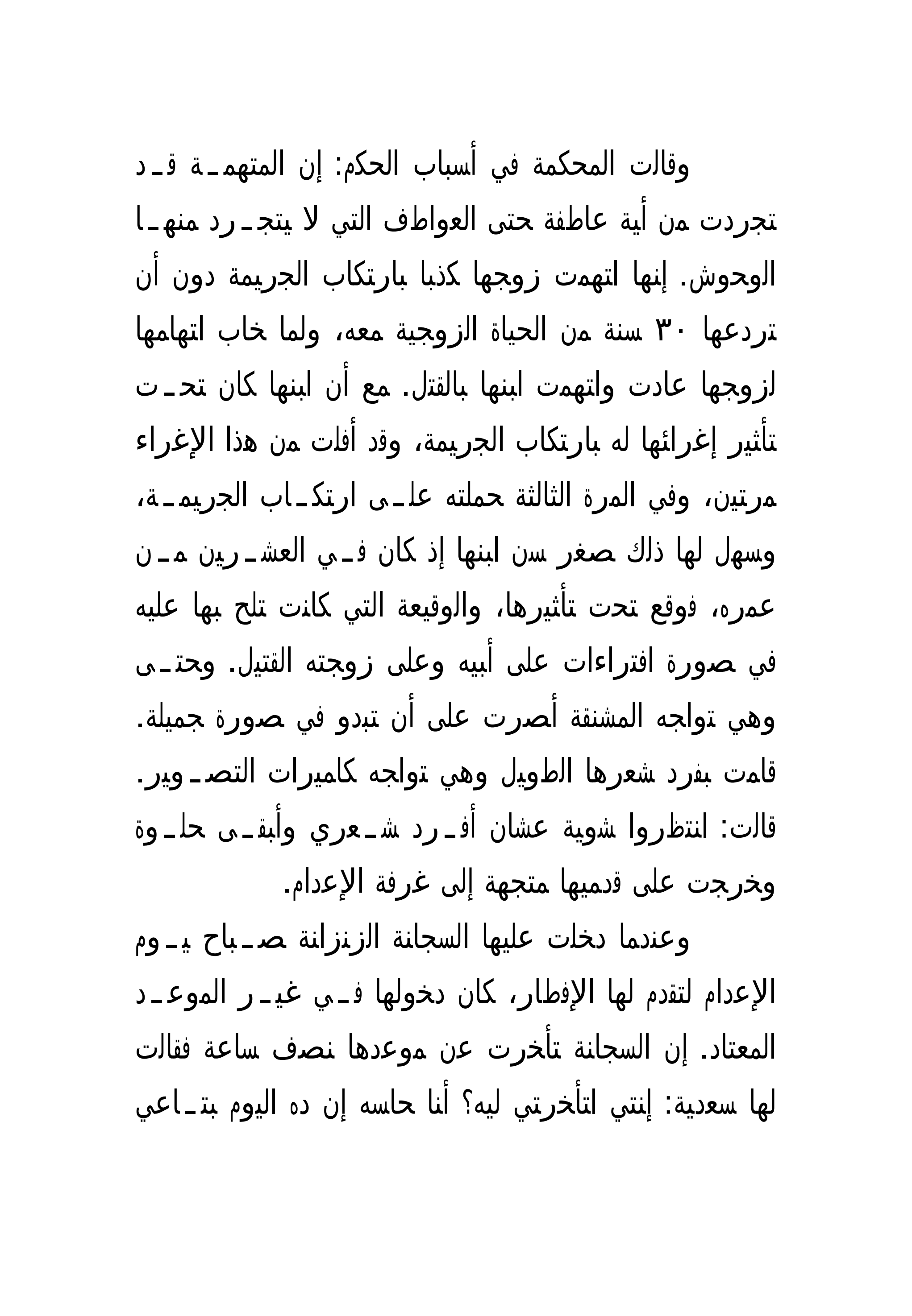
وقالت التحريات أيضا: أن علي كان يتحـدث عـن زوجة أخرى غير جمالات، هي بنت الجيران البيضـاء ذات الشعر الطويل. وقالت التحريـات أن الحمـاة وابنهـا قـتلا الزوجة جمالات ليتزوج علي من الأخرى وتتخلص سـعدية من زوجة ابنها.

وأعادت النيابة التحقيق على ضوء التحريـات. قـام وكيل النيابة بمواجهته بالتحريـات وضـيق عليـه الخنـاق فاعترف. قال: إن أمي هي القاتلة أغرتني على قتل زوجتي ٣ مرات فرفضت مرتين وأطعتها في الثالثة. تركت الفـرح وعدت إلى البيت. أمسكت زوجتي وأمي خنقتها.

واستدعت النيابة الأم واجهتها بأقوال ابنها وفي هـذه المرة قالت: ابني كاذب إنه هو القاتل. هو الذي خنق زوجته وحرقها، كان يغار عليها من أبيه.

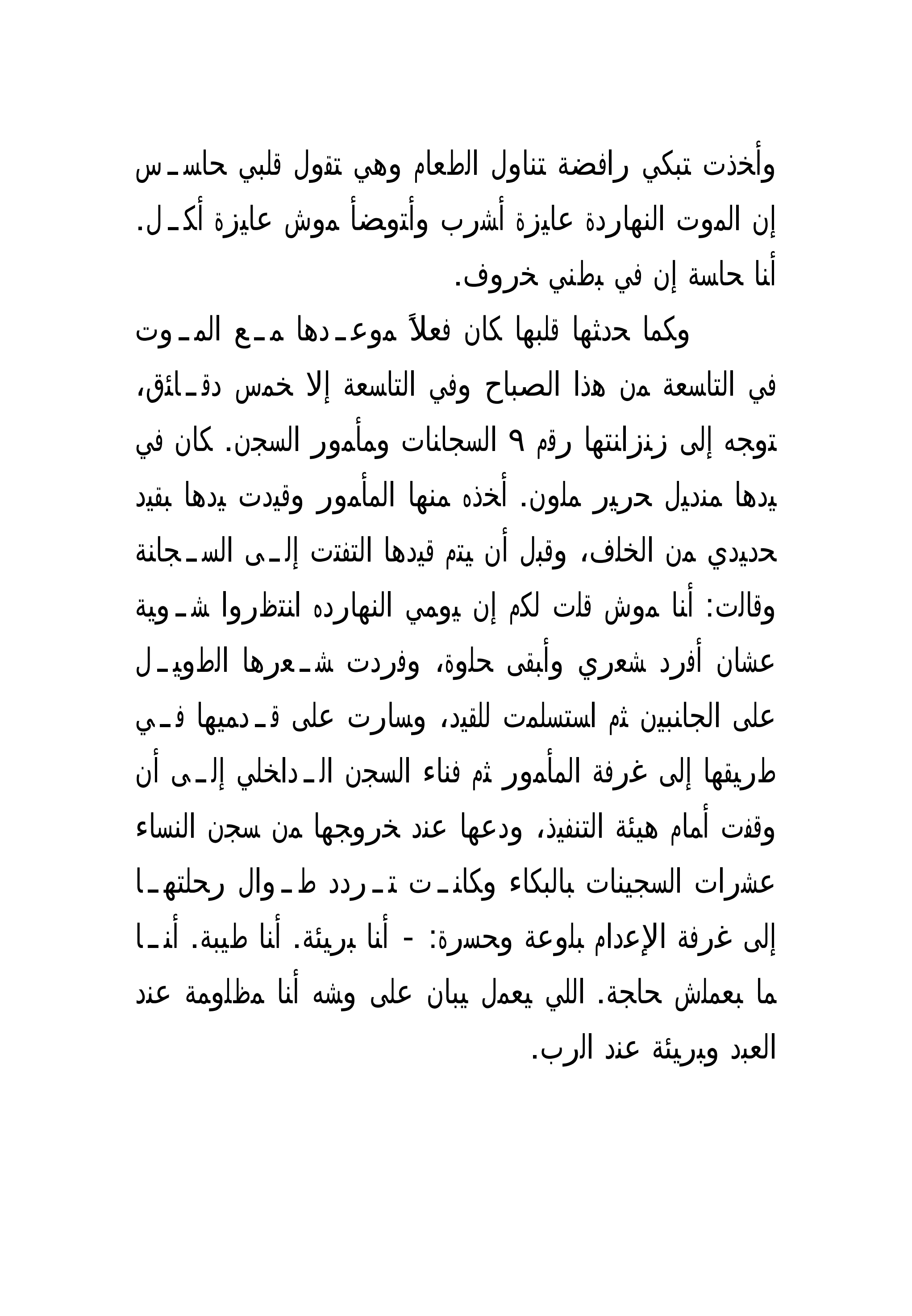
وقرر وكيل النيابة الإفراج عن الأب، وأمر بالقبض على الأم والابن ثم أحيل الاثنان إلى محكمة جنايات شـبين الكوم، ووقفت الحماة القاتلة وابنها الوحيد في قفص الاتهـام، أصرت على الإنكار وروى الابن للمحكمة قصة القتل كمـا حدثت، وبعد المرافعات أحيلت أوراق القاتلة إلى المفتي.

قال المفتي: إن القصاص من الحماة واجب شـرعا، ورد الأوراق إلى المحكمة، التي عقـدت جلسـتها برئاسـة المستشار علي علي العدوي وعضـوية المستشـارين عبـد الخالق بدوي وحسن رفعت ونطقت بالحكم بالإعـدام شـنقًا لسعدية خضر، وبالأشغال الشاقة ١٥ سنة لابنها علي.



وقالت المحكمة في أسباب الحكم: إن المتهمة قد تجردت من أية عاطفة حتى العواطف التي لا يتجرد منها الوحوش. إنها اتهمت زوجها كذبا بارتكاب الجريمة دون أن تردعها ٣٠ سنة من الحياة الزوجية معه، ولما خاب اتهامها لزوجها عادت واتهمت ابنها بالقتل. مع أن ابنها كان تحت تأثير إغرائها له بارتكاب الجريمة، وقد أفلت من هذا الإغراء مرتين، وفي المرة الثالثة حملته على ارتكاب الجريمة، وسهل لها ذلك صغر سن ابنها إذ كان في العشرين من عمره، فوقع تحت تأثيرها، والوقيعة التي كانت تلح بها عليه في صورة افتراءات على أبيه وعلى زوجته القتيل. وحتى وهي تواجه المشنقة أصرت على أن تبدو في صورة جميلة. قامت بفرد شعرها الطويل وهي تواجه كاميرات التصوير. قالت: انتظروا شوية عشان أفرد شعري وأبقى حلوة وخرجت على قدميها متجهة إلى غرفة الإعدام.

وعندما دخلت عليها السجانة الزنزانة صباح يوم الإعدام لتقدم لها الإفطار، كان دخولها في غير الموعد المعتاد. إن السجانة تأخرت عن موعدها نصف ساعة فقالت لها سعدية: إنتي اتأخرتي ليه؟ أنا حاسه إن ده اليوم بتاعي



وأخذت تبكي رافضة تناول الطعام وهي تقول قلبي حاسس إن الموت النهاردة عايزة أشرب وأتوضأ موش عايزة أكل. أنا حاسة إن في بطني خروف.

وكما حدثها قلبها كان فعلاً موعدها مع الموت في التاسعة من هذا الصباح وفي التاسعة إلا خمس دقائق، توجه إلى زنزانتها رقم ٩ السجانات ومأمور السجن. كان في يدها منديل حرير ملون. أخذه منها المأمور وقيدت يدها بقيد حديدي من الخلف، وقبل أن يتم قيدها التفتت إلى السجانة وقالت: أنا موش قلت لكم إن يومي النهارده انتظروا شوية عشان أفرد شعري وأبقى حلوة، وفردت شعرها الطويل على الجانبين ثم استسلمت للقيد، وسارت على قدميها في طريقها إلى غرفة المأمور ثم فناء السجن الداخلي إلى أن وقفت أمام هيئة التنفيذ، ودعها عند خروجها من سجن النساء عشرات السجينات بالبكاء وكانت تردد طوال رحلتها إلى غرفة الإعدام بلوعة وحسرة: - أنا بريئة. أنا طيبة. أنا ما بعملش حاجة. اللي يعمل يبان على وشه أنا مظلومة عند العبد وبريئة عند الرب.

ولما وقفت أمام هيئة التنفيذ كان كل مـا يهمهـا أن تسأل عن طبيب السجن الدكتور عادل. ولما رأته قالت له: يا عادل يا أمير. قل لهم إني مظلومة أنا طيبة يا عادل. أنـت زي أخويا. أديني أيديك أحب عليها.

وتقدم عشماوي ليقيدها بالحزام الجلدي فقالت له:

- والنبي تحاسبوا علي ماليش بركة إلا أنت يا عـم عشماوي.

وسألها وكيل النيابة:

- عايزة حاجة يا سعدية؟

- عايزة سلامتك.

وكانت هذه آخر عبارة نطقتها قبل أن يلتـف حبـل المشنقة حول رقبتها وتودع الدنيا.. جـذب عشـماوي يـد المشنقة بسرعة فهوت بثقل جسمها إلى بئر الإعدام وتحولت إلى جثة معلقة بحبل، استمر نبضها دقيقة ونصف دقيقة. لـم يتقدم أحد من أقاربها لاستلام جثتهـا، فـدفنت فـي مقـابر الصدقة.

استراحة أخرى لعشماوي ومساعديه مدتها نصـف ساعة قبل أن يبدأ في شنق آخر مذنب في قائمة الإعدام. إن

المذنب رقم ٤ هو امرأة هي هنومة هنـداوي. عمرهـا ٤٠ سنة. قتلت الطفلة صـديقة ابنتهـا. لأنهـا كانـت تتحلـى بمصوغات قيمتها عشرة جنيهات، وقضت محكمة جنايـات الإسكندرية بإحالة أوراقها إلى المفتي، وكانت أول مرة فـي الإسكندرية يحكم فيها بإعدام امرأة منذ حادث ريا وسكينة.

إن الحكم بإعدام هنومة صدر في نفس الأسبوع الذي صدر فيه الحكم بإعدام سعدية الحماة القاتلة بالموفية. ورسـم القدر فجمعهما معا في سجن الحدراء وجمعهما معا على حبل المشنقة في يوم واحد.

وتبدأ قصة هنومة كما تذكرتها وهـي علـى حافـة الأبدية باكتشاف عسكري الداورية في شارع أمنحتب بقسـم مينا البصل وجود جثة طفلة عمرها ١٠ سنوات داخل جوال ماتت مخنوقة، وفي اليوم التالي توجهت أم الطفلة إلى قسـم الشرطة تبلغ عن فقدها. ثم اتضح أن وحيدتها المختفية هـي الطفلة القتيلة، واتجهت شبهات الشرطة إلى صديقة حميمـة لأسرة الطفلة هي هنومة التي اعترفت بالجريمة وصـرخت: أيوه قتلتها لأنها أغنى من أولادي عندها حلق وغويشة وبنتي ماعندهاش. وعثرت الشرطة في بيت القاتلة علـى عشـرة

جنيهات اعترفت بأنها ثمن الحلق والغوايش التي كانت تتحلى بها الطفلة.

إن القاتلة هنومة أم لستة أطفال آخـرهم عمـره ٤٠ يوما ولدته في السجن أثناء حبسها احتياطيا. إن زوج هنومة طلقها في اليوم التالي للجريمة أثناء التحقيق معها أمام النيابة. صرخ فيها: يا مجرمة.. يا قاتلة.. روحـي وأنـت طـالق بالثلاثة..

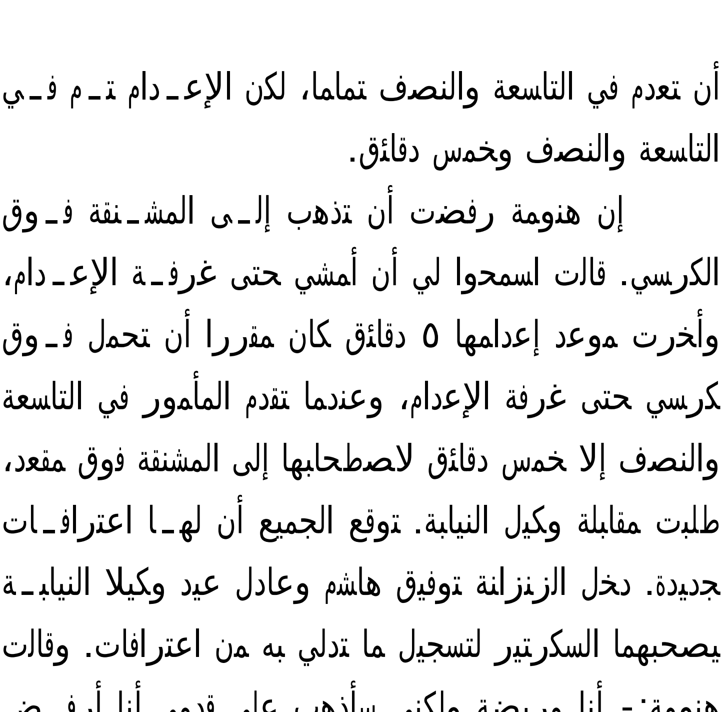
ورغم ذلك.. رغم وقوع الطلاق. فقد حضر الـزوج المحاكمة ووقف بجوارها خارج القفص وسمع الحكم بإحالـة أوراقها إلى المفتي، وبكى الرجل، ولم تسـمع هـي الحكـم ونظرت إليه وسألته: بيقولوا إيه؟

وأخفى عنها الحقيقة، ليخفف عنها صدمة الحكم، قال لها: لا تخافي الحكم تأجل. لقد رحمها في هذه اللحظات رغم أنها لم ترحم الطفلة القتيل زميلة ابنتها فخنقتها بيديها. وحمل الرجل طفله الرضيع وخرج من المحكمة وترك الزوجة في طريقها إلى الموت، وأمامه ستة أطفال سوف يعيشون بدون أم..

الساعة التاسعة والثلث من صـباح يـوم الإعـدام. هنومة تجلس في زنزانتها منقبضة مكتئبـة. إنهـا مريضـة بالسرطان وتعرف ذلك، كان الرأي قد اختلف حـول وقـت إعدامها، هل تعدم بعد شفائها أم تعدم وهي مريضة؟ أم تترك للمرض الخطير يقتلها.

إنها كانت تقضي الوقت في الزنزانة رقم ١٠ بقسـم الحريم بسجن الحدراء. كانت تنام طول الوقت، يشرف عليها طبيب السجن. وهذا الصباح استيقظت من نومها فزعة. كان الكابوس يطاردها في نومها إنها لا تعرف سببا لهذا الشعور الداخلي بالحزن والخوف. أيكون هو آخـر صـباح لهـا؟. داهمها فزع مفاجئ وتصبب العرق البارد من جبينها وصدق إحساسها، ففي التاسعة والثلث فتحت السجانة باب الزنزانـة وظهر خلفها مأمور السجن والسجانة الأخـرى والحـراس. وتأكدت أن عمرها انتهى وأن ساعتها قد حانت. وقفت تنظر إليهم.

إن هنومة استطاعت أن تطيل عمرهـا ٥ دقـائق، وأن تبعد حبل المشنقة عن رقبتها هذه الفترة. كان من المقرر



أن تعدم في التاسعة والنصف تماما، لكن الإعـدام تـم فـي التاسعة والنصف وخمس دقائق.

إن هنومة رفضت أن تذهب إلـى المشـنقة فـوق الكرسي. قالت اسمحوا لي أن أمشي حتى غرفـة الإعـدام، وأخرت موعد إعدامها ٥ دقائق كان مقررا أن تحمل فـوق كرسي حتى غرفة الإعدام، وعندما تقدم المأمور في التاسعة والنصف إلا خمس دقائق لاصطحابها إلى المشنقة فوق مقعد، طلبت مقابلة وكيل النيابة. توقع الجميع أن لهـا اعترافـات جديدة. دخل الزنزانة توفيق هاشم وعادل عيد وكيلا النيابـة يصحبهما السكرتير لتسجيل ما تدلي به من اعترافات. وقالت هنومة:- أنا مريضة ولكني سأذهب على قدمي أنا أرفـض الذهاب إلى المشنقة فوق كرسي. اسمحوا لي بالمشي حتـى غرفة الإعدام.

وقال وكيل النيابة: لا مانع.

فقالت: كده تاخدوني غدر. خلاص لي يـا رب. أنـا عايزة أشرب. أنا عندي نزيف. أحضروا لها كوب ماء. ثـم تقدمت السجانتان زينب متولي وفاطمة عبد الرحمن وقيـدتا

يديها بالقيد الحديدي من الخلف. وبدأ موكب الموت خطواته على طريق المشنقة.

إن هنومة المريضة بالسرطان كانت فعلاً في حالـة أقرب إلى الموت منها إلى الحيـاة. بـدأت تسـير المسـافة الطويلة من زنزانتها إلى غرفة الإعـدام، كانـت خطواتهـا بطيئة. كانت تجر قدميها بصعوبة. السجانتان تسندانها وهي تخطو، واستغرقت رحلة الموت ٥ دقائق، ثم وجدت نفسـها في فناء السجن في مواجهة عشماوي ومساعديه، بملابسـهم السوداء، في مواجهة هيئة التنفيذ.

لم تقطع هنومة رحلة الموت من الزنزانة ومواجهتها لهيئة التنفيذ في صمت. ظلت تتكلم بلا انقطـاع وإن كانـت الكلمات تخرج من فمها ببطء وصعوبة. كانت كمن تحـدث نفسها.. يتولى بكم ربنا يا ولادي. يتولى بكم ربنا يا ضـنايا. يا رب لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه. خلـص لي ذنبي يا حق. إنا وإنا إليه راجعون. لا خوف ولا فزع من لقاك يا رب. أنت قادر يا مولاي. أنا مظلومـة حكمـوا علي بأقوال الشهود، حرامي بلا بينة سلطان زمانه. أقتلهـا ليه. أقتلها إزاي أنا عندي زيها. أنا جايبة ضنا. خلفـت ١١

مرة. ليه أموت يا سلام. الرحمة يا رب. أنا عايزة الرحمـة من ربنا. أنا عشت على دين الإسلام وأمـوت علـى ديـن الإسلام. أنا مؤمنة. أشهد أن لا إله إلا ا وأن محمدا رسول ا . أنا شفت ٣ من أولادي بس. والاتنين الصبيان كانوا في المدرسة ماشفتهمش يتولى بكم ربنا يا ولادي. يا ضنايا كانوا في المدرسة ماشفتهمش يتولى بكم ربنا يا ولادي. يا ضنايا. يا سلام. يا سلام.

كانت في طريقها إلى الموت تنظر بعينين زائغتـين، إلى كل اتجاه. إلى أعلى وإلى اليمين وإلـى اليسـار وإلـى الأرض، كأنما تودع كل شيء حولها، ثم وقفت لحظة حاولت السجانتان جرها، ولكنها قالت: حوشوا نعمـة ربنـا. لقمـة العيش على الأرض. حوشوها. وانحنى أحد الحراس والتقط لقمة العيش ووضعها جنب الحائط.

وواصلت هنومة رحلة الموت حتـى وصـلت إلـى نهايتها.. سألها رئيس هيئة التنفيذ.

- اسمك إيه؟

- هنومة.

- صدر ضدك حكم بالإعدام شنقًا يوم ١٩٥٨/٦/٢٧ من محكمة جنايات إسكندرية لقتلك عمـدا الطفلـة نجـوى وسرقة مصوغاتها بالإكراه في قسم مينا البصل بالإسكندرية، وأيدت محكمة النقض حكم الإعدام، وتحدد لإعدامك اليوم.

- أنا مظلومة.

- عايزة حاجة يا هنومة؟

- عايزة الرحمة من ربنا. أنا عشـت علـى ديـن الإسلام ومت على دين الإسلام.

وتقدم منها الواعظ الشيخ أحمد طلبه، وأخـذ يـردد الشهادة وهي تسبقه في تلاوتها.. وبدأ عشماوي ومسـاعداه في فك القيد الحديدي من يديها وربطهما بـالحزام الجلـدي، والتفتت إليه هنومة وقالت: والنبي كفاية أنـا خالصـة. أنـا مفيش في جسمي روح. أنا بقى لي ١٨ شهر راقـدة علـى ظهري.. كفاية يا عم عشماوي. فين الدكتور عادل؟

وحضر الدكتور عادل بدوي طبيب السجن، فقالـت له:

- يا دكتور عادل ربنا يسعدك. عايزة أبوس إيـدك. اطلب لي الرحمة. أنا داخله المشنقة أهو.

وبعد ثوان كانت تقف فوق طبلية المشـنقة – لـف عشماوي شعرها إلى أعلى، ووضع الحبل حول رقبتها، ثـم غطى وجهها بالطاقية السوداء وبدأت تنهار فسندها مسـاعدا عشماوي وصاحت بصوت مرتفع: لا خوف ولا فـزع مـن لقاء ا ..

وأُعطيت إشارة التنفيذ وانتهت حياة هنومة التي قتلت طفلة وحيدة والديها وأحرقت قلبيهما عليها. استدرجت الطفلة وعمرها ١٠ سنوات بحجة اللعب مع ابنتها وأدخلتها شـقتها وخنقتها في الحمام بيديها وقالت لها البنت: أنـا زي بنتـك تقتليني ليه؟ فقالت لهـا:- زي أولادي إزاي. أنـتِ لابسـة مصاغ بعشرة جنيه، وبعد أن قتلتها سرقت مصوغاتها وألقت بالجثة في المقابر، شهد أولادها ضدها.. استمر نبضها دقيقة و ٤٥ ثانية.

سيدات حكم عليهن بالإعدام

إن إعدام ريا وسكينة تم في عام ١٩٢١. والجـرائم التي ارتكبتها عصابة ريا وسكينة حدثت قبل ذلك بعام. وتـم إعدام السفاحتين الشهيرتين في ميدان عام لبشاعة جرائمهما. إن حكم الإعدام الصادر عليهما صدر عام ١٩٢٠ ونفذ عـام ١٩٢١. وبعدها بعامين أصدرت محكمة جنايات الزقـازيق حكما بإعدام سيدة اسمها فوز لأنها قتلت بالسم إخوتها الخمس ووالدها لتتزوج بقروي أحبته.

* * *

ومنذ العشرينات وحتى أوائل الستينات في هذا القرن لم يصدر حكم بإعدام امرأة حتى حكم على إنشراح ورجبيـة في القاهرة والجيزة.. وهنومة بالإسكندرية وسعدية بالمنوفية، ونفذ الحكم في القاتلات الأربعة خلال أسبوع.

* * *

إن عدد من ترتكب جرائم القتل من بنات حواء قليل بالقياس إلى الرجال وحواء عادة تكره العنف وتتجنب رؤيـة

الدماء، لكن إذا انحرفت امرأة وقتلت فإنها تلجأ إلى السم كوسيلة للقتل، حتى تتجنب مواجهة ضحيتها وأحيانًا تعمد إلى خنق الضحية كما فعلت القاتلات الأربع في ارتكاب جرائمهن البشعة.

قال المستشار علي العدوي رئيس محكمة جنايات شبين الكوم:

- إن حكم الإعدام الذي صدر على الحماة قاتلة زوجة ابنها هو أول حكم بالإعدام يصدره ضد امرأة. إنه لا يتذكر أي أحكام إعدام أخرى صدرت من محاكم الجنايات ضد سيدات منذ قضية ريا وسكينة.

* * *

وكما تضحي حواء بنفسها أحيانًا، وتسلم رقبتها لعشماوي فداء لمن تحب لتنفي التهمة عنه وتتحمل القضية وحدها – كما فعلت رجبية مع حبيب قلبها الزوج الذي تزوج عليها وهي في السجن – فهل يوجد من أبناء آدم من قادته حواء إلى المشنقة رغما عنه أو باختياره؟

هذا السؤال أحاول الإجابة عليه وأنـا ألهـث وراء عشماوي في رحلاته لتنفيذ حكم الإعدام داخل سجون كثيرة. إسكندرية. بني سويف شبين الكوم. أسيوط.

ثلاثة قتلهم الحب

٥ أيام فقط مرت على ملحمة الموت التي تمت بسجن الحدراء بالإسكندرية. بعدها سافر عشماوي زنفل ومساعداه إلى بني سويف، لتنفيذ أحكام بإعدام ثلاثة شبان، ارتكبوا جرائم قتل بسبب الحب. اثنان منهم قتلا والديهما.

إن الشباب الثلاثة قتلهم الحب. وكانت وراء جرائمهم البشعة حواء. التفاحة التي أخرجت آدم من الجنة وأشقت نسله.

* * *

وصل عشماوي ومساعداه إلى مدينة بني سويف وكانوا يرتدون ملابسهم البلدية، وفي أيديهم أربعة حقائب متوسطة الحجم، كان عشماوي يضع على عينيه نظارة سوداء. هل كان يخشى أن يعرفه الناس أو يتشاءموا منه.. لا أدري..

جلسوا على مقهى بلدي قريب من محطة القطار، يستريحون وأمامهم أكواب الشاي. أخذوا يتحدثون وأنظار

الجالسين حولهم تقتحم عـزلتهم. إن الغربـاء فـي المـدن الصغيرة يثيرون دائما فضول أهلها. ومع آخر رشـفة مـن أكواب الشاي. قام الثلاثة حاملين حقائبهم التي تضـم عـدة الشغل الملابس السوداء المعروفة، و ٤ حبال ثلاثـة لشـنق المذنبين الثلاثة وواحد احتياطي. دائما يوجد حبـل مشـنقة احتياطي للظروف. والحبال التي أحضرها عشـماوي معـه سبق أن شنق بها قاتل أمه وإنشراح قاتلة مخدومتها ورجبية قاتلة الطفلة. يا لسخرية القدر؟

فتح الحارس بوابة سجن بني سـويف ليـرى مـن الطارق. كان عشماوي ومساعداه ودخل الثلاثة إلى غرفـة مأمور السجن. يؤدون التحية ويمكثون فترة يحصلون خلالها على أوزان وأوصاف المذنبين الثلاثة، ويتجه عشماوي إلـى غرفة الإعدام، حيث يتم إعداد الجبال الثلاثة لتصبح مناسـبة للزبائن الجدد، كما تم إجراء بروفة على الإعـدام وإعـداد الغرفة السوداء بعدها اطمأن عشماوي وخرج مـن السـجن ليتناول غداءه هو ومساعداه.

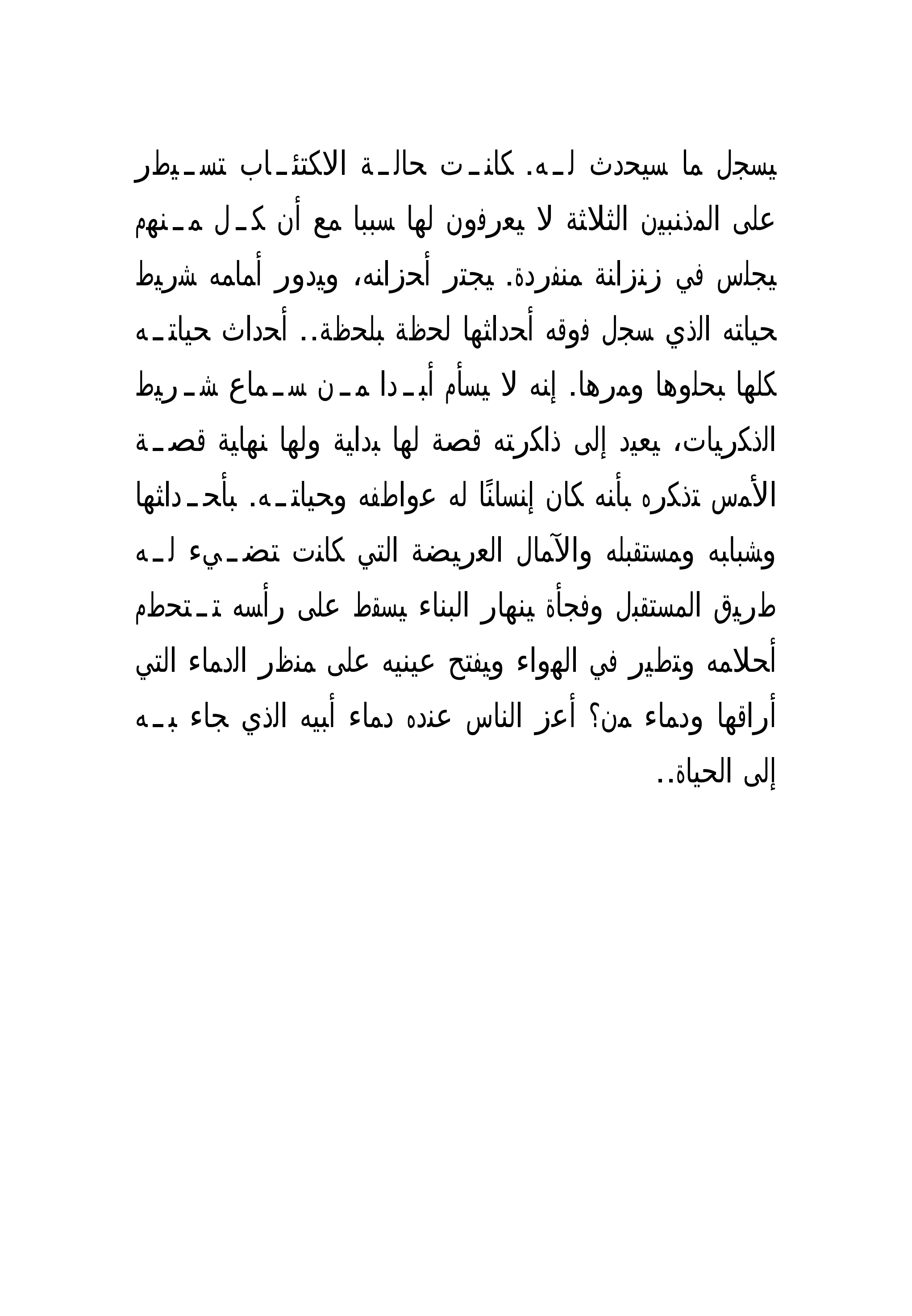
الزيارة الأخيرة للمذنبين الثلاثة تتم في هدوء وبدون ضجة ويدخل أقارب كل منهم إلى الزنزانة، يتحـدثون فـي

شتى الموضوعات إلا الموضوع الوحيد الـذي نبـه علـيهم مأمور السجن بعدم ذكره أمام المحكوم عليهم بالإعدام وهـو أن الحكم سينفذ غدا..

إن كل زنزانة كان لها زوارها في هذا اليوم ولم تكن مصادفة فالثلاثة سيعدمون غدا وسيلتقون بعشماوي على حبل المشنقة إن ساعاتهم في الحياة باتت معدودة. وعلـى غيـر العادة يسألهم الحراس عما يريدون في العشاء والإفطار.

تنتهي الزيارة أو الوداع الأخير عادة بقبلات حـارة ودموع يحاول أصحابها إخفاءها عن قريبهم حتى لا يشـعر بأنه سيموت بعد قليل.. بعض الأقارب يستطيع التحكم فـي أعصابه ويسيطر عليها فيبقى مع المذنب أطول وقت ممكـن وبعضهم تخونه أعصابه ويشرق بدمعة فيختصـر الزيـارة مهرولاً إلى الخارج.

ويعود الهدوء إلى السجن من جديد. لقـد انصـرف آخر زائر بعد أن تم الاتفاق مع الحانوتي وإعـداد ترتيبـات الدفن، ويعود كل مذنب إلى حياته الموحشة الكئيبة، وتضيق جدران الزنزانة فـي عينيـه حتـى يراهـا تكـاد تطبـق على صدره، إن في داخل كل محكوم عليه بالإعـدام رادارا



يسجل ما سيحدث لـه. كانـت حالـة الاكتئـاب تسـيطر على المذنبين الثلاثة لا يعرفون لها سببا مع أن كـل مـنهم يجلس في زنزانة منفردة. يجتر أحزانه، ويدور أمامه شريط حياته الذي سجل فوقه أحداثها لحظة بلحظة.. أحداث حياتـه كلها بحلوها ومرها. إنه لا يسأم أبـدا مـن سـماع شـريط الذكريات، يعيد إلى ذاكرته قصة لها بداية ولها نهاية قصـة الأمس تذكره بأنه كان إنسانًا له عواطفه وحياتـه. بأحـداثها وشبابه ومستقبله والآمال العريضة التي كانت تضـيء لـه طريق المستقبل وفجأة ينهار البناء يسقط على رأسه تـتحطم أحلامه وتطير في الهواء ويفتح عينيه على منظر الدماء التي أراقها ودماء من؟ أعز الناس عنده دماء أبيه الذي جاء بـه إلى الحياة..

الضحية الأولى

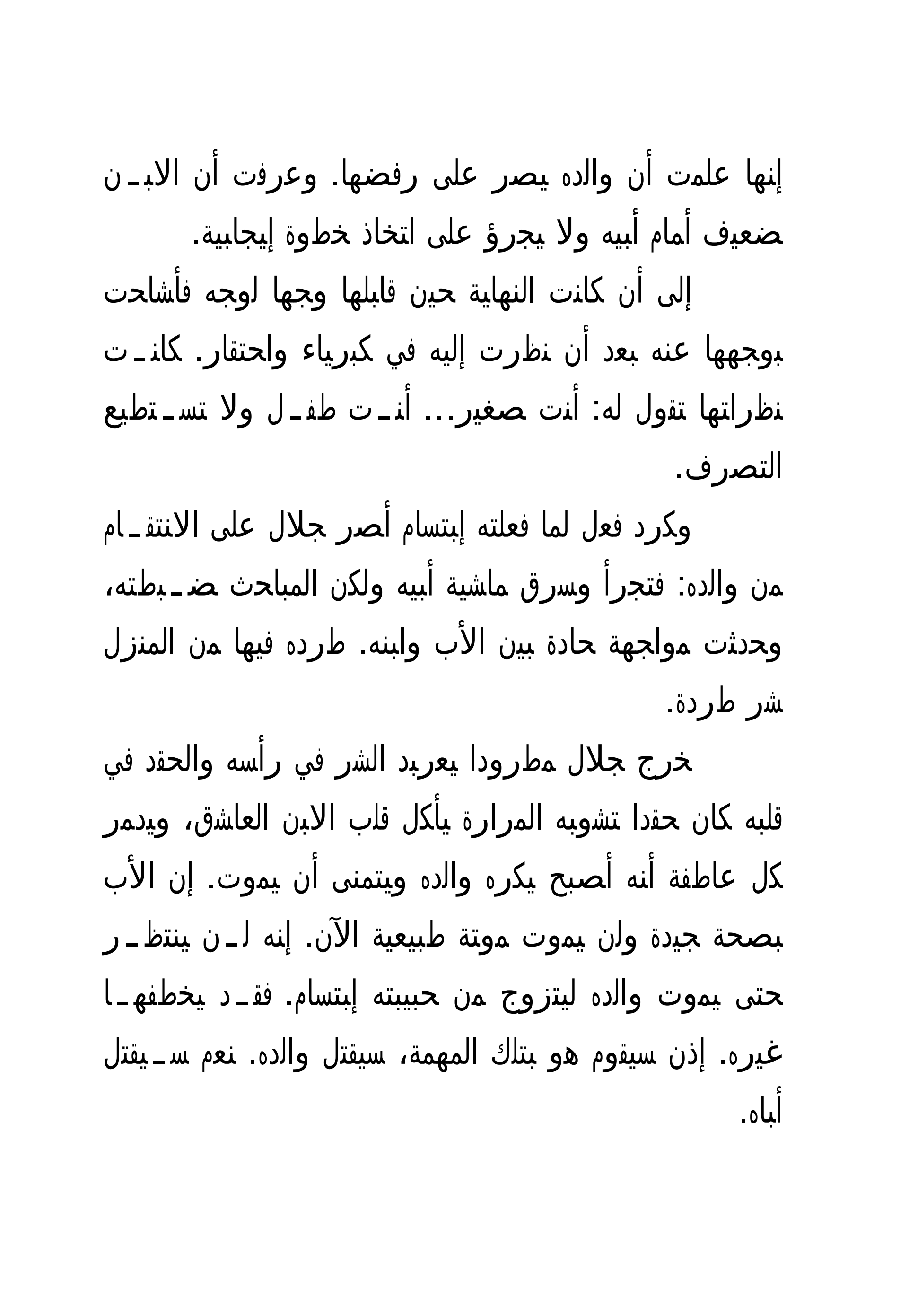
كان يضع يديه خلف رأسه يحملق في لا شيء. إنه تعود على حياة الوحدة داخل الزنزانة رقم ٧ في سجن بني سويف. لقد وضع بينه وبين العالم الخارجي حاجزا منذ انقطعت صلته بذلك العالم. ترى ماذا تفعل حبيبة قلبه إبتسام الآن. ألا تزال متمسكة به. هل لا زالت تذكره؟ هل بكت عند دخوله السجن، أو تألمت حين علمت أنه حكم عليه بالإعدام؟ إنه يحبها حتى وهو حبيس الزنزانة ويعلم أنه سيموت وسيظل يحبها وهو في الآخرة وتنهد في صمت.

وتسارعت دقات قلب جلال عامر نزيل الزنزانة رقم ٧ عندما تذكر حبيبته الصغيرة إن عمرها لا يزيد على ١٣ سنة. حلوة جميلة ذات ابتسامة مشرقة فهي اسم على مسمى. إنه يكبرها بسبعة أعوام فقط، أراد أن يتقدم لخطبتها. رفض والده. قال له: انتظر أنت صغير ولا تستعجل. هناك فرص أفضل لك وأنا أبحث لك عن البنت المناسبة.

عاود جلال المحاولة. قال لوالده إنه لا يستطيع الحياة بدون إبتسام وأنه مصر على الزواج منها حتى لو رفض هو، وثار الأب كيف يجرؤ ابنه على تحديه وعلى مخاطبته بهـذه اللهجة. ثار الشيخ عامر وتوعد وهدد ابنه الشـاب الصـغير بحرمانه من الميراث وخرج الابن غاضبا وتوجه إلى منزل أحد أصدقائه وكان الصديق في صفه قال له:- مـن حقـك أن تعيش حياتك كما تريد وتتزوج الفتاة التي تحبها، ويجـب على والدك ألا يرفض فأنت ابنه وسعادتك تهمه.

وكان هذا منطق الشباب الذي لا يعجب الشيوخ. إن الأب عامر يرى أن ينتظر ابنـه جـلال حتـى يعثـر لـه على الفتاة المناسبة في نظر الأب. قال له إن إبتسام طفلة ولا تستطيع تحمل مسئولية البيت الآن. وانتهى الحوار بين الأب وابنه بشجار حاد. تدخلت الأم والأخـوات لفـض الشـجار وخرج جلال غاضبا من منزل الأسرة ليقيم مع صديقه.

إن الحب يعمي ويصم حكمة قديمـة قديمة ولكنهـا صحيحة. أصبح جلال أعمى أصم يهيم على وجهـه. يـرى حبيبته من بعيد ولا يجرؤ على الاقتراب منها أو محادثتهـا.



إنها علمت أن والده يصر على رفضها. وعرفت أن الابـن ضعيف أمام أبيه ولا يجرؤ على اتخاذ خطوة إيجابية.

إلى أن كانت النهاية حين قابلها وجها لوجه فأشاحت بوجهها عنه بعد أن نظرت إليه في كبرياء واحتقار. كانـت نظراتها تقول له: أنت صغير... أنـت طفـل ولا تسـتطيع التصرف.

وكرد فعل لما فعلته إبتسام أصر جلال على الانتقـام من والده: فتجرأ وسرق ماشية أبيه ولكن المباحث ضـبطته، وحدثت مواجهة حادة بين الأب وابنه. طرده فيها من المنزل شر طردة.

خرج جلال مطرودا يعربد الشر في رأسه والحقد في قلبه كان حقدا تشوبه المرارة يأكل قلب الابن العاشق، ويدمر كل عاطفة أنه أصبح يكره والده ويتمنى أن يموت. إن الأب بصحة جيدة ولن يموت موتة طبيعية الآن. إنه لـن ينتظـر حتى يموت والده ليتزوج من حبيبته إبتسام. فقـد يخطفهـا غيره. إذن سيقوم هو بتلك المهمة، سيقتل والده. نعم سـيقتل أباه.

وسيطرت الفكرة على تفكير الابن وملأت عقله. لكن كيف ستخرج إلى حيز التنفيذ؟ إنه خرج من دائرة التفكيـر، أصبحت المسألة محسومة لقد حسم الأمر مـع نفسـه ولـن يتراجع. إن والده يقف في طريق سعادته كعائق ولابد مـن إزالة العائق وبسرعة، ليعيش مع إبتسام في سعادة لا يريدها له والده. إن سعادته تبدأ من حيث ينتهي والده من الوجـود ويتلاشى في العدم لكن متى؟.

رسم جلال خطة قتل والده بدقة وبقى أن يحدد الوقت الذي يجهز فيه عليه. هكذا وببساطة يقتل والده. هذا الأعمى إن الحب أعمى قلبه وبصره وصور له شيطان الشر أن فـي القضاء على الأب العنيد ما يحقق له كل مـا يريـد ليعـيش سعيدا. المال. الحب. المستقبل. الحياة الوردية.

إنه يريد كل هذا وبسرعة. ودفعـه طـيش الشـباب إلى الحقل حيث كان يعمل والده في الأرض التـي أعطاهـا شبابه وصحته وجهده. حتـى نمـت واتسـعت مسـاحتها. إن الأرض تعطيه هي الأخرى ولا تبخل عليه. كـان يفكـر وهو ينحني بفأسه يضرب به وجه الأرض يشق التربة يقلبها حتى إذا طلعت عليها شمس اليوم التالي تطهرها. أخذ عامر

يفكر بينما فأسه يرتفع وينخفض في حركات رتيبة تحركهـا يدان مدربتان. سيبيع المحصول هذا الصيف ستدخل في يده فلوس كثيرة. إنه يستطيع أن يخطب لابنه جلال بنت الحلال ويدفع له المهر ويقيم حفل الزفاف لمـدة ٣ أيـام، ويـدعو الأقارب والأصدقاء لكن هذا العنيد إنه يصر علـى الـزواج من البنت الصغيرة التي يحبها، وأنا لا أعترف بشيء اسمه الحب قبل الزواج وسأختار له من تناسبه من الأسر الثريـة عندنا إني أريد أن أزوجه هو وأخوته قبل أن أموت.

كانـت أفكـار الشـيخ عـامر ترتفـع وتـنخفض على ضربات الفأس، التي كانت تسرع، فالوقت تأخر وهـو يريد أن يفرغ من تقليب قطعة الأرض التي أمامه. كان ذاهلاً غارقًا في أفكاره فلم يشعر بحركة القادم خلفه. كان شخصـا يقترب متسللاً. يسترق الخطى يتستر بـالظلام الـذي نشـر رداءه مبكرا هذا المساء وفي ثوان انقض الجاني على الشيخ المنحني وضربه بفأس.. وهوت الفأس مرة واثنتـين فـوق رأس الأب الذي سقط على الأرض جثـة هامـدة. ترتـوي الأرض بدمه. وطلعت شمس اليوم التالي على قطعة الأرض التي مات صاحبها دون أن يكمل عمله فيها. مـات الشـيخ

عامر قتله ابنه وحطم رأسه لأنه رفض أن يزوجه من الفتاة التي يحبها فكان جزاؤه أن يختفي من الوجود وتنتهي حياته على هذه الصورة البشعة التي تستنكرها الإنسانية.

انتهت الأم من إعداد طعام العشاء. إنها دائما تقوم بإعداده في الوقت المناسب حتى يعود الشيخ عامر من عمله مساء فيجد الطعام ساخنًا الأرز بالحمام في الفرن. وبجواره طبق الخضار والسلطة، ثم كوب الشاي الثقيل والسكر الزيادة.

شعرت بالقلق على زوجها حين تأخر عن موعده.، كانت في انتظاره مثل كل ليلة، ما تكاد خطواته تقترب من باب الدار وتسمع صوته وهو يلقي بتحية المساء إلى جاره الشيخ عبده محفظ القرآن في كتاب القرية حتى تسرع بإحضار طاجن الأرز المفضل من فوق ظهر الفرن، إنها تتركه في مكانه هذا ليظل ساخنًا. وبسرعة تضع ابنتها نعمات الطبلية في الغرفة القبلية التي تفضل الأسرة تناول العشاء فيها دائما. ويجتمع شمل الجميع حول الطعام، يتحدثون ويثرثرون بأخبار القرية وأحداث اليوم.

ماذا حدث؟ لماذا تأخر عامر؟ إنه بمفرده في الحقل فقد تركه الصبيان الصغار وعادوا إلى البيت قبل مغيب الشمس قال لهم:- عاوز أنتهي من تقليب الخط البحري الليلة. ارجعوا أنتم وسألحق بكم.

وتركه الصبيان وحيدا في الحقل، وكأنما رسم القدر، وساعد جلال على تنفيذ خطته رؤيته لأخوته يعودون وحدهم دون والدهم أسرع يحمل الفأس، ويتسلل من الطريق الخلفي، ليحطم بالفأس رأس أبيه مرة ومرات دون رحمة أو شفقة، وسقط الشيخ عامر فوق أرضه وهرب الجاني بعد أن ألقى بالفأس الملوثة بدماء والده بجوار الجثة. لم يساوره الندم على فعلته ولم يحزن. أسرع جلال إلى منزل صديقه الذي يقيم فيه منذ طرده والده، وبدل ملابسه وفي هدوء خرج ليحضر حفل زفاف أحد أصدقائه.

اشتد القلق بأسرة الشيخ عامر. إنه تأخر أكثر من المعتاد غير معقول أن يبقى في الحقل إلى هذه الساعة المتأخرة. إن الليل يكاد ينتصف، والأب الغائب لم يعد. لابد من البحث عنه. فقد يكون قد تعب ورقد في الحقل. أو يكون قد حدث شيء.

وعند هذا الخاطر دق قلب الزوجة الخائفة بعنف. تحاول طرد الخاطر المزعج عن ذهنها. صرخت في أولادها: اجروا على الغيط شوفوا أبوكم اتأخر ليه.

وخرج الأولاد مهرولين في ظلام الليل. يسبقون خطاهم قلوبهم الصغيرة تدق رعبا فالظلام حالك فوق الحقول والأساطير عن الأشباح والعفاريت التي تغذت بها عقولهم تطفو إلى السطح. أمنا الغولة.. أبو رجل مسلوخة.. جنية البحر.. الحمار الذي ظل يرفع راكبه ثم ألقاه من فوق ظهره وتحول إلى جني.. وهكذا الطريق طويل والخوف يرسم للصغار مناظر مرعبة ويخيل إليهم في كل حركة أن شبحا سينقض عليهم.

اقتربوا من حقلهم. ارتفع صوتهم بالنداء. خرج الصوت مبحوحا يختلط بالخوف والتعب فالرحلة شاقة والطريق طويل.. يابا.. يابا.. يا شيخ عامر.. لكن الصمت حولهم ظل مطبقًا والفضاء يردد صدى أصواتهم الخائفة.

ما من مجيب. اقتربوا أكثر. وقفوا على مقربة من المكان الذي كان يعمل فيه والدهم عندما تركوه. أخرج أحدهم علبة كبريت وأشعل عود ثقاب وعلى الضوء الخافت

المرتعش. شاهد الصبيان أبشع منظر. كان أبـوهم منبطحـا على وجهه جثة باردة مغطاة بالدماء.

شق سكون الليل صرخات رعب. وبدد سكونه عويل متواصل استغرق رحلة العودة حيث تلقت الزوجـة الخبـر المشئوم بالصراخ واللطم.. وهبـت القريـة علـى الخبـر المزعج.. الشيخ عـامر مقتـول. أولاده وجـدوه مقتـول في الغيط. مقتول بفأس.

وفتحت الشرطة محضرا بالتحقيق وتمـت معاينـة الحادث وأداة الجريمة وكان لابد من إحضار الابن الغاضب جلال لسؤاله عن معلوماته بعد أن أدلـت والدتـه وإخوتـه والجيران والأقارب بتفاصيل الخلاف بينه وبين والده القتيـل بسبب حبه لبنت الجيران.

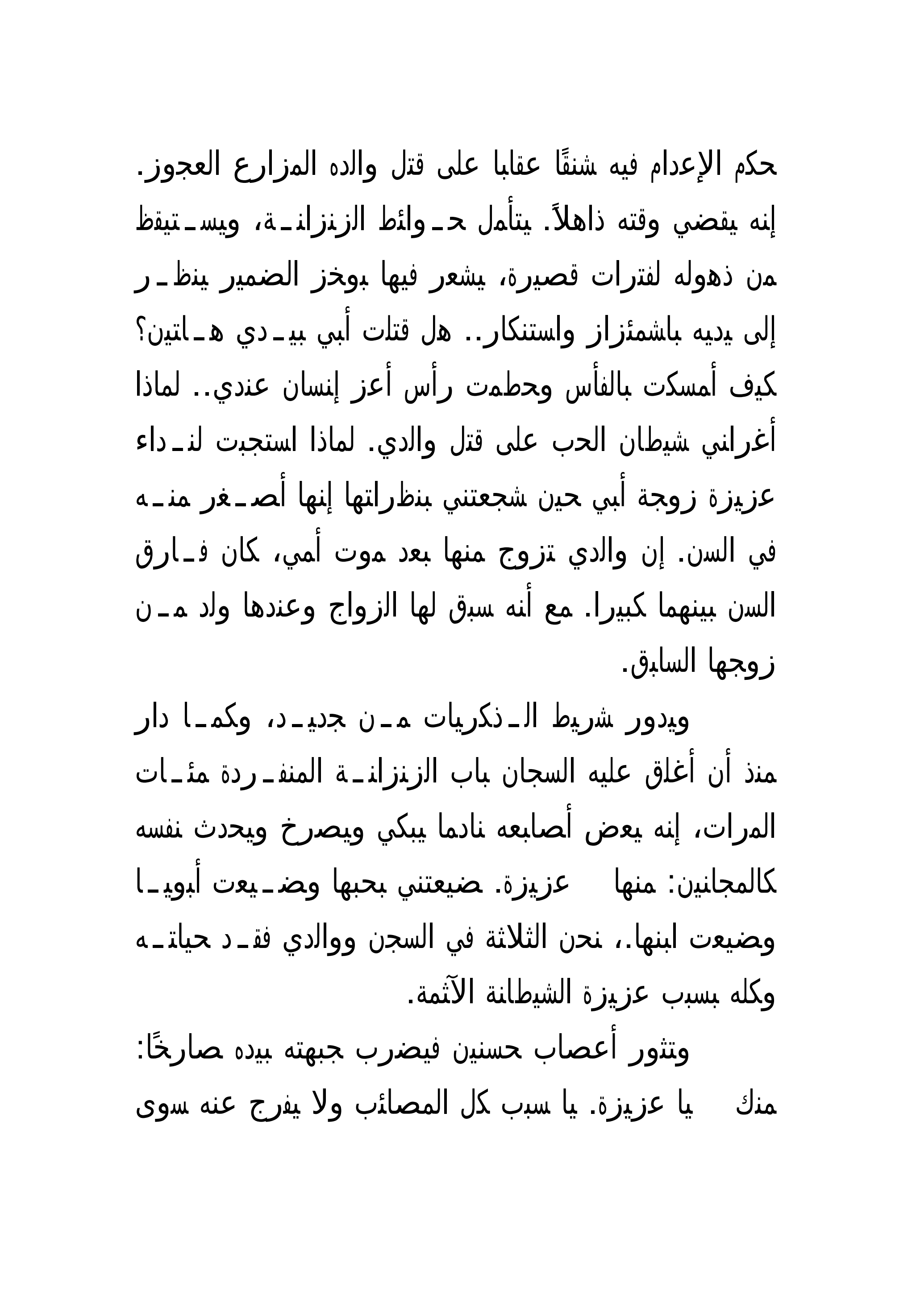
واعترف الابن العاق بجريمته. قال إنه قتـل والـده بالفأس لأنه وقف في طريق زواجـه مـن حبيبتـه وهـدده بحرمانه من الميراث لو تزوجها قال إنه انتهز فرصة وجود الأب وحده في الحقل وانقض عليه بالفأس فهشم رأسه وعاد ليشارك في حفل زفاف صديقه.

أحالته النيابة إلى محكمة الجنايات التي حكمت عليه بالإعدام بعد إحالة أوراقه إلى المفتي. وارتدى بذلة الإعـدام الحمراء. إنه يجلس الآن في زنزانة سجن بني سويف. يفكر في ماضيه وحاضره أما مسـتقبله فهـو يعلـم تمامـا أنـه بلا مستقبل وأن عمره محدد بأيام قد تطـول وقـد تقصـر ولم يكن يدري عند هذا الحد من التفكير أن الباقي من الزمن ساعات معدودة.

الضحية الثانية والثالثة

والمذنب الثاني أيضا في العشرينات من عمره، ساقه الحب إلى المشنقة بعد أن قتل والده بسبب الحـب المحـرم. كان يحب زوجة أبيه.. أغرته على التخلص من الأب ليخلو لهما الجو ويتزوجا. ساعدته هـي وابنهـا علـى ارتكـاب الجريمة. اتفق الثلاثة على قتل الأب. ذهبوا إليه في الحقـل تناولوا العشاء والشاي معه. جلسـوا يتسـامرون ويحكـون القصص وأخبار الجيران حتى نام، وحانت الفرصة، انهـال عليه ابنه وابن زوجته بالفأس حتى مات. وسـرقا حافظـة نقوده وبها ٤٥ جنيها. ساعته الذهبية. هربت الزوجة وابنهـا وسهر الابن القاتل على جثة أبيه حتى الصباح ثم سلّم نفسـه للشرطة معترفًا على نفسه وعلى شريكيه. عاقبتـه محكمـة الجنايات بالإعدام هو وابن الزوجة، وحكمت على الزوجـة بالأشغال الشاقة المؤبدة.

إن حسنين عبد الموجود شـاب عمـره ٢٥ عامـا. يمضي أيامه الأخيرة في سجن بني سويف، في انتظار تنفيذ



حكم الإعدام فيه شنقًا عقابا على قتل والده المزارع العجوز. إنه يقضي وقته ذاهلاً. يتأمل حـوائط الزنزانـة، ويسـتيقظ من ذهوله لفترات قصيرة، يشعر فيها بوخز الضمير ينظـر إلى يديه باشمئزاز واستنكار.. هل قتلت أبي بيـدي هـاتين؟ كيف أمسكت بالفأس وحطمت رأس أعز إنسان عندي.. لماذا أغراني شيطان الحب على قتل والدي. لماذا استجبت لنـداء عزيزة زوجة أبي حين شجعتني بنظراتها إنها أصـغر منـه في السن. إن والدي تزوج منها بعد موت أمي، كان فـارق السن بينهما كبيرا. مع أنه سبق لها الزواج وعندها ولد مـن زوجها السابق.

ويدور شريط الـذكريات مـن جديـد، وكمـا دار منذ أن أغلق عليه السجان باب الزنزانـة المنفـردة مئـات المرات، إنه يعض أصابعه نادما يبكي ويصرخ ويحدث نفسه كالمجانين: منها عزيزة. ضيعتني بحبها وضـيعت أبويـا وضيعت ابنها.، نحن الثلاثة في السجن ووالدي فقـد حياتـه وكله بسبب عزيزة الشيطانة الآثمة.

وتثور أعصاب حسنين فيضرب جبهته بيده صارخًا: منك يا عزيزة. يا سبب كل المصائب ولا يفرج عنه سوى

البكاء فتنهمر دموع الندم لتكفر عن ذنب ابن عـاق. وهـل يكفي الدمع إنه دفع الثمن غاليا. اشترى بحياة أبيه الغالية حبا رخيصا دنسا وحتى هذا الحب انتهى مع أول ضـربة فـأس انهال بها على أبيه النائم. وانتهـت حياتـه داخـل زنزانـة الإعدام.

إن عزيزة كانت تشجعه على الاقتراب منها. كانـت البادئة بالخطوة الأولى كانت تتزين وتتعطر وترتدي الثـوب الوردي في غياب زوجها كانت تتعمد ذلك دائمـا. فـالزوج عجوز يقضي كل وقته في عمله بالحقل ويعود آخر النهـار متعبا مكدودا يتناول طعام العشاء نصف نـائم ثـم يـذهب إلى فراشه مبكرا.

نظرات زوجة الأب فيها نداء. شـعر بـه فـي أول الأمر لكن استبعد حدوثه. إنها في مركز أمه قد يكون عطفًـا منها عليه لتكسب وده ولكن النداء أسفر عن وجهه وأخـذت تتقرب منه وتشكو إليه من معاملة أبيه وأنها لا تزال شـابة، فوقع تحت تأثيرها، وكان الحب.. لحظات سـعادة خاطفـة يختلسانها من وراء ظهر الرجل. الذي يكـد وطـول يومـه

في الأرض ليعول أسرته المكونة من زوجته عزيزة وابنـه حسنين وابنها فتحي.

وشب الحب وترعرع ووقف على قدميـه. زوجـة الأب عزيزة تطالب بالمزيد والابن يعيش في سعادة وأحـلام وردية تصورها له الخائنة عزيزة علـى أن حياتهمـا معـا ستصبح جنة لو خلت من آدم الـذي يقـف بينهمـا وكـان من الضروري أن يفكر الآثمان فـي طريقـة لإخـراج آدم من جنتهما. وتم تدبير جريمة قتل المزارع عبـد الموجـود. اتفق ابنه زوجته وابن زوجته على التخلص منـه والسـبب هو الحب.

واعترف الابن بالجريمة وأرشد عـن زوجـة الأب وابنها واتخذ التحقيق مجراه مع المجرمين الثلاثة حتى انتهى بهم إلى السجن وإلى المشنقة.. ما أعجـب القـدر.. دخلـت عزيزة في حياة عبد الموجود وابنه حسنين فقتلتهما وقتلـت ابنها كذلك. وكانت عزيزة هي الشيطان.

كان يجلس في الزنزانة المجاورة لزنزانة شـريكه. حزينًا واجما يفكر في ماضيه وعمره الذي سينتهي فوق حبل المشنقة.. إنه في عمر الشباب يكره الموت. يريد أن يعيش.

إنه لم يدبر للجريمة.. أمه هي التي طلبت منـه الاشـتراك في قتل زوجها ليخلو لها الجو مع حبيبها حسنين ابن الرجل الذي تحمل اسمه. إنه لم يفعل شيئًا، اشترك فقط في القتـل. حمل الفأس وانهال بها على زوج أمه النائم. كان يساعد ابن القتيل، بتحريض من أمه.. أمه التي وضعت حبل المشـنقة حول رقبته، لم ترحم شبابه. لم تحسب حسابا لهذا اليوم، إنها كانت تبحث عن سعادتها فقط وكل ما يوصـل إلـى هـذه السعادة لا يهمها مصيره. حتى لو كان وحيدها الذي حكمـت عليه بالإعدام سيقف فوق المشنقة إن عاجلاً أو آجلاً فهـو لا يدري متى.

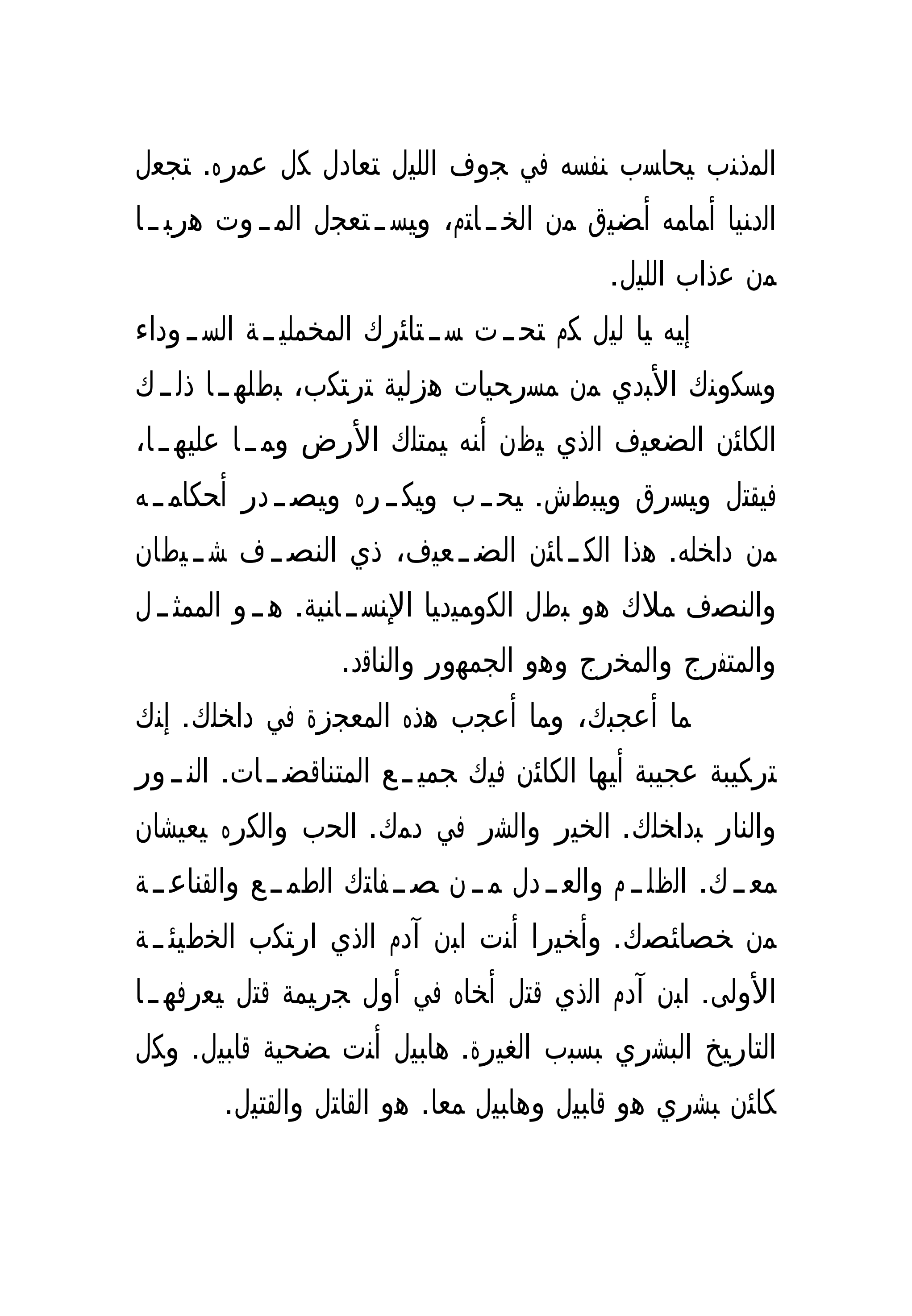
أخذت الخواطر تهاجمه في قسوة، وذهنـه لا يكـف عن التفكير كان محموما يائسا ثائرا على وجوده. على أمه. وعلى زوجها وابن زوجها وعلى الظروف التي تحالفت كلها ضده حتى أوصلته إلى ما هو عليه الآن. أراد أن يصـرخ. احتبست الصرخة في فمه. اعتقد أنه يعاني من كابوس رهيب لكن.. إنه مستيقظ. إن الكابوس لا يهاجم المسـتيقظين إنـه في وعيه فتح عينيه على اتساعهما. تأكد أنه في اليقظة. تأكد

من وجوده سجينًا للبذلة الحمراء وزنزانـة الإعـدام وأمـه عزيزة هي السبب منك يا عزيزة.. يا أمي.. منك ..

يقولون أن الليل أقسـى سـجان يفـرض سـيطرته على المساجين. إنهم يمضون تحت حراسته أشـد سـاعات سجنهم وحشة وعذابا. إنه يذكرهم دائما ببشـاعة جـرمهم. يوضح لهم بصمته وسكونه إنهم ارتكبوا أكبر جريمة في حق البشرية. وهل هناك أقبح من أن يقتل الابن أباه والوالد أمه؟

* * *

قال لي مسجون زرته في زنزانتـه: أننـي أخـاف من دخول الليل على الزنزانة أكثر من خوفي ساعة إعدامي ورؤيتي لحبل المشنقة.. إن الليل سجان رهيب. صارم قاسٍ ساعاته الحادة البطيئة تكاد تصيبني بالجنون. كل ساعة منها كأنها دهر. كأنها قاض يحاكمني يحاسبني علـى جريمتـي ويذكرني ببشاعة ما اقترفت يداي. أظل أتقلب يمينًا وشمالاً طمعا في ساعة نوم واحدة بلا فائدة وأخيرا أجلس القرفصاء وعذاب الجحيم يشعل رأسي بنار الندم ويشوي لهيب كل ذرة في تفكيري. إلى أن ترحمني الشمس التـي تمـد خيوطهـا الذهبية فتخنق الوحش الأسود. إن ساعة قلق واحدة يمضـيها



المذنب يحاسب نفسه في جوف الليل تعادل كل عمره. تجعل الدنيا أمامه أضيق من الخاتم، ويستعجل الموت هربا من عذاب الليل.

إيه يا ليل كم تحت ستائرك المخملية السوداء وسكونك الأبدي من مسرحيات هزلية ترتكب، بطلها ذلك الكائن الضعيف الذي يظن أنه يمتلك الأرض وما عليها، فيقتل ويسرق ويبطش. يحب ويكره ويصدر أحكامه من داخله. هذا الكائن الضعيف، ذي النصف شيطان والنصف ملاك هو بطل الكوميديا الإنسانية. هو الممثل والمتفرج والمخرج وهو الجمهور والناقد.

ما أعجبك، وما أعجب هذه المعجزة في داخلك. إنك تركيبة عجيبة أيها الكائن فيك جميع المتناقضات. النور والنار بداخلك. الخير والشر في دمك. الحب والكره يعيشان معك. الظلم والعدل من صفاتك الطمع والقناعة من خصائصك. وأخيرا أنت ابن آدم الذي ارتكب الخطيئة الأولى. ابن آدم الذي قتل أخاه في أول جريمة قتل يعرفها التاريخ البشري بسبب الغيرة. هابيل أنت ضحية قابيل. وكل كائن بشري هو قابيل وهابيل معا. هو القاتل والقتيل.

ساعات الليل تجر ذيولها ويسحب الظـلام سـتائره، يجمعها من الأفق واحدة بعد الأخرى، ويلملم ما تبقى منهـا في عجلة. خيوط الفجر الفضية تنسج ستائر النور حيث يطلع صباح يوم جديد على البشرية الغارقة في نومها. إن شـمس هذا اليوم ستشهد حدثًا غير مألوف في مدينة بنـي سـويف ستشهد إزهاق ثلاثة أرواح شنقًا حتى الموت داخـل سـجن المدينة. حيث غرفة الإعدام والمشنقة.

الاثنين ١٤ نوفمبر عام ١٩٦٠. السابعة والنصـف صباحا. حركة غير عادية تجري في داخـل فنـاء السـجن وغرف الضباط. أحد الحراس يصعد إلى سطح السجن ويقوم برفع العلم الأسود فوق ساريته والعلم الأسود يـذكر المـارة والجمهور بأن أحكام إعدام ستنفذ اليوم داخل هـذا السـجن عشماوي ومساعداه يبدلون ملابسهم بملابس الإعدام السوداء. ويتجهون إلى غرفة الإعدام للاطمئنان على أن كل معـداتها سليمة وجاهزة. المذنبون الثلاثة داخل زنزانـاتهم يتنـاولون آخر إفطار لهم. إن إدارة السـجن حرصـت علـى إجابـة مطالبهم الأخيرة في العشاء والإفطار كما تنص اللوائح.

غرفة مأمور السجن تستقبل زوارها في هذه المناسبة من أعضاء هيئة تنفيذ الحكم. ومندوبي الصحف ومراسليها. ضباط السجن والحراس طبيب السـجن والـواعظ الحـرس يصطف على الجانبين. عشماوي.. ومساعداه أمـام الغرفـة السوداء على أتم استعداد.

عقرب الساعة يقفز مشيرا إلـى الثامنـة إلا ربعـا. مأمور السجن يصدر أمره إلى الضابط المكلـف بإحضـار المذنب رقم ١ في قائمة الإعدام، وكان جلال قاتل أبيه بسبب الحب.

باب الزنزانة يفتح في الثامنة إلى عشر دقائق، يفاجأ جلال بالضابط أمامه ومن خلفه وقف الحراس، عرف جلال أن ساعته قد حانت وأن حبل المشنقة سيلتف حـول رقبتـه حالاً. أصيب بذهول، زاغت نظراته، لم يستطع النطق، تقدم منه الضابط وأوثق الجنود يديه بالقيد الحديدي، خرج معهما وبينما يواصل موكب الموت رحلته لم ينطق جلال إلا بجملة واحدة. قال: كنت عارف إني حـاموت النهـارده.. وعـاد إلى الصمت من جديـد بينمـا الموكـب يواصـل رحلتـه من الزنزانة وحتى مكان هيئة التنفيذ أمام غرفة الإعدام.

فوجئ المذنب بعشماوي ومساعديه فـي ملابسـهم السوداء، فتوقف عن السير وخانته أعصابه، تقدم منه مأمور السجن يسأله:

- اسمك إيه؟

صمت وذهول.

- اسمك إيه؟ جلال.

- نعم.

وأخذ يتلو عليه حكم الإعدام..:- حكمـت محكمـة جنايات بني سويف بالإعدام شنقًا على جلال عامر لأنه قتـل والده عمدا بأن حطم رأسه بفأس حين رفض زواجه وهـدده بحرمانه من الميراث. وتحدد اليوم والساعة لتنفيـذ الحكـم.

وكيل النيابة: عايز حاجة يا جلال؟

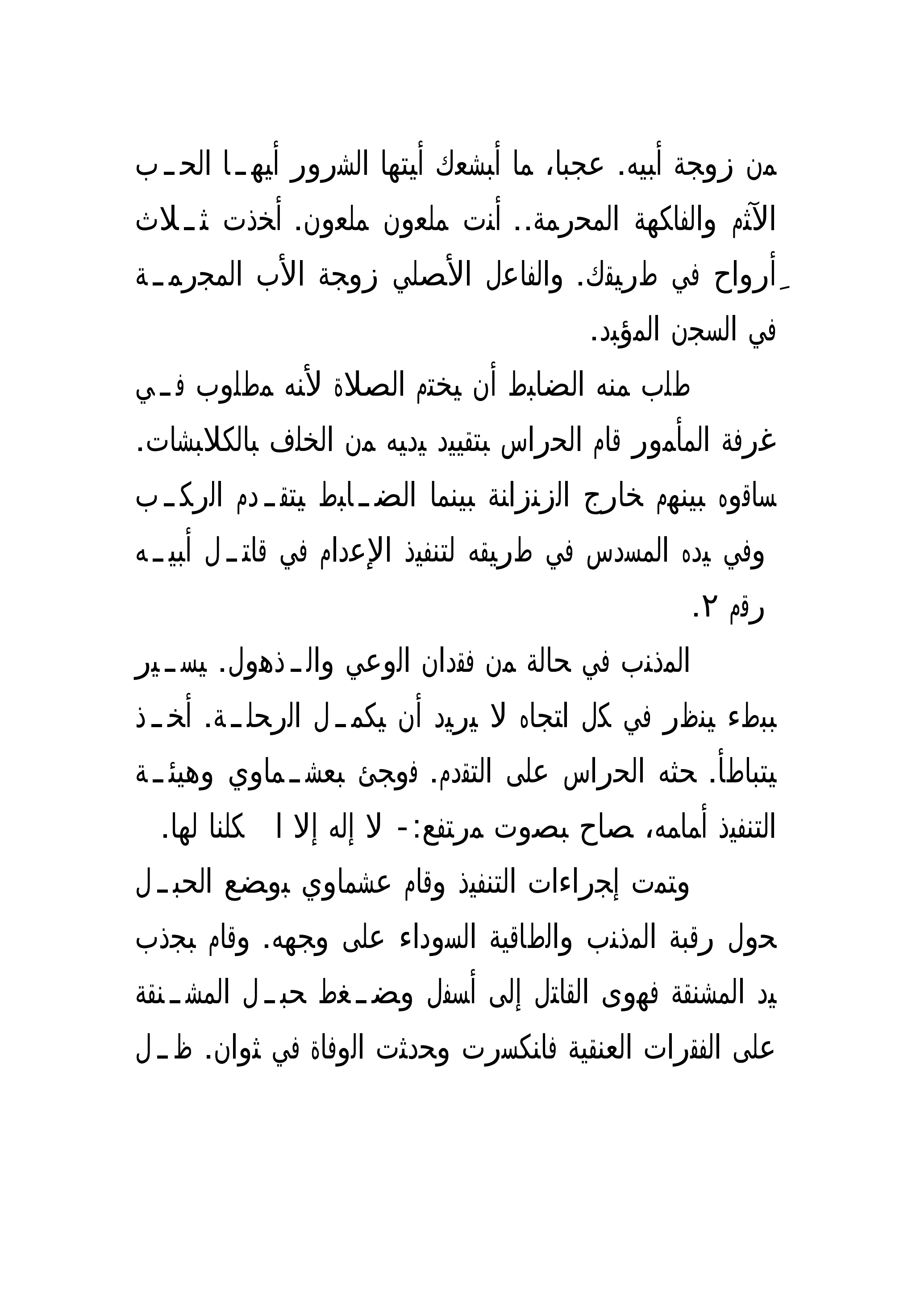
- سلامتك يا بيه.

واقترب منه عشماوي ومساعداه، حيث تم فك القيـد الحديدي.. وتقييد يديه من الخلف بالحزام الجلـدي. ومشـى معهم فاقد الوعي حتى دخل غرفة الإعدام، ووقف على طبلية المشنقة، وبعد ثوان قليلة تحول جلال عامر إلى جثة هامدة، ومات العاشق الذي امتدت يداه بالشر إلى والده فحمل فأسـا

وحطم رأسه ولم يتركه حتى مات، ثم ذهب بعد ارتكاب جريمته مباشرة ليحضر زفاف صديقه، أي إنسان هذا، إن الوحش لا يرتكب جرائمه بهذه الوحشية فما بالك بالإنسان الذي كرمه ا ووهبه العقل والتمييز.

إن جلال عامر العاشق الذي قتله الحب. جلال المذنب قاتل والده لا زال معلقًا بحبل المشنقة يعد طبيب السجن نبضه وسيظل هكذا حتى تمضي ٢٠ دقيقة للتأكد من وفاته وبعدها ينقل إلى غرفة العيادة حيث يخرج جثمانه في سيارة المشرحة ويتم دفنه دون احتفال.

نصف ساعة استراحة عشماوي وهيئة التنفيذ ويتوجه الضابط والحرس إلى زنزانة قاتل أبيه بسبب الحب أيضا. الثامنة والثلث صباحا. يفاجأ حسنين عبد الموجود بالضابط أمامه. تظاهر بأنه يؤدي الصلاة حتى يؤخر لحظة إعدامه، كان يطمع في دقائق ليطيل بها عمره، ذلك الذي لم يتورع عن الفتك بأبيه عمدا. الذي حمل الفأس وحطم رأس والده دون رحمة أو شفقة، نزع شيطان الإثم كل عاطفة من كيان هذا الآدمي واستجاب لإغراء زوجة أبيه الآثمة، فامتدت يداه تغتالان أقرب وأحب الناس إليه ليزيحه من طريقه ليتزوج



من زوجة أبيه. عجبا، ما أبشعك أيتها الشرور أيها الحب الآثم والفاكهة المحرمة.. أنت ملعون ملعون. أخذت ثلاث أرواح في طريقك. والفاعل الأصلي زوجة الأب المجرمة في السجن المؤبد.

طلب منه الضابط أن يختم الصلاة لأنه مطلوب في غرفة المأمور قام الحراس بتقييد يديه من الخلف بالكلابشات. ساقوه بينهم خارج الزنزانة بينما الضابط يتقدم الركب وفي يده المسدس في طريقه لتنفيذ الإعدام في قاتل أبيه رقم ٢.

المذنب في حالة من فقدان الوعي والذهول. يسير ببطء ينظر في كل اتجاه لا يريد أن يكمل الرحلة. أخذ يتباطأ. حثه الحراس على التقدم. فوجئ بعشماوي وهيئة التنفيذ أمامه، صاح بصوت مرتفع:- لا إله إلا ا كلنا لها.

وتمت إجراءات التنفيذ وقام عشماوي بوضع الحبل حول رقبة المذنب والطاقية السوداء على وجهه. وقام بجذب يد المشنقة فهوى القاتل إلى أسفل وضغط حبل المشنقة على الفقرات العنقية فانكسرت وحدثت الوفاة في ثوان. ظل

مكانه معلقًا والطبيب يعد النبض حتى توقف القلـب تمامـا عن العمل بعد ٤ دقائق و ٢٠ ثانية..

وخـرج عشـماوي ومسـاعداه يجففـون عـرقهم ويسـتريحون.. إن إزهـاق الأرواح مهمـة ثقيلـة حتى على عشماوي الذي ينفذ القانون. واستعد موكب الإعدام لإحضار المذنب رقم ٣ فتحي طلبـة الشـاب ذي العينـين الخضراوتين والخمسة وعشرين ربيعا. إنه شريك لابن القتيل في قتله ضرباه بالفأس حتى صار جثة هامـدة، بتحـريض من أمه الشيطانة عزيزة. ليخلو الجو لأمـه وابـن القتيـل ويتقاسمان الميراث.

في التاسعة إلا عشر دقائق توجـه موكـب المـوت إلى زنزانة المحكوم عليه الأخير.

وفجأة فتح الحارس باب الزنزانـة، شـاهد فتحـي الضابط والحراس أمامـه، طلبـوا منـه الخـروج. أدرك أن الموت قريب والمشنقة في انتظاره. هب واقفًا على قدميه، وعيناه الخضراوتان تلمعان في جنون صاح لا.. لا أريد أن أموت أتركوني أعيش أنا مظلوم.. ابن القتيـل وأمـي همـا

السبب.. أنا ساعدته فقط في قتل أبيه. أمي هي السبب. أنا مظلوم مظلوم..

وأسرع الحراس يقيدون يديه من الخلف بالقيد الحديدي لم يقاوم عرف أن ما يفعله لن يأتي بنتيجة، ويجب أن يموت رجلاً استسلم للقيد الحديدي. كانت نظراته زائغة قال وهو يغادر الزنزانة في طريقه إلى المشنقة: اطلبوا لي الرحمة. أنا ندمت على ما فعلت. كفّرت عن ذنبي وأنا في السجن كانت دموع الندم تغطي وجهي وأبكي طول الليل أسفًا على ما ارتكبت.. إن أمي المذنبة رقم ١ كنت أنا وحسين ابن القتيل ضحية لأنانيتها وحبها للحياة والمال. أرادت أن تتخلص من زوجها الطيب وتتمتع بثروته فحرضتني أنا وابن القتيل على القتل واشتركت معنا في رسم الجريمة وتنفيذها. لقد خسرت شبابي وعمري لأني أطعت هذه الشيطانة المجردة من عاطفة الأمومة.

وظل يردد.. أستغفر ا .. حتى وقف أمام هيئة التنفيذ. سأله المأمور عن اسمه.

رد بصوت مرتفع: فتحي طلبه.

وتلا عليه مأمور السجن صيغة الحكم، قال:- حكمت محكمة جنايات بني سويف بالإعدام شنقًا على فتحي طلبه لأنه اتفق مع ابن القتيل وزوجته على قتله للتخلص منه وسرقوا ٤٥ جنيها وساعته الذهبية. وتحدد اليوم والساعة لتنفيذ الحكم.

تقدم منه وكيل النيابة وسأله:

- عايز حاجة يا فتحي؟

- مظلوم. أنا ضحية.

- أنت اعترفت في التحقيق باشتراكك في القتل مع ابن القتيل.

صمت.

رئيس الهيئة يشير إلى عشماوي فيسرع هو ومساعداه في نزع القيد الحديدي ووضع الحزام الجلدي في يدي المذنب. واقتادوه إلى غرفة الإعدام والمشنقة ليتحول إلى جثة هامدة استمر نبضه ٣ دقائق و ١٠ ثوانٍ ونقلت جثته في سيارة المشرحة لتدفن.

* * *

ونزل العلم الأسود من فوق سارية سجن بني سويف، وخرج عشماوي ومساعداه من غرفة الإعدام السوداء ليخلعوا ملابس العمل، وارتدى عشماوي جلبابا بدليا، ووضع النظارة السوداء على عينيه، وأعاد الأوفـرولات السـوداء وحبـال المشنقة إلى الحقائب. ثم نظر إلى ساعة يده وقال لمسـاعديه أسرعا لنلحق بقطار التاسعة والنصف.

* * *

خرج عشماوي ومساعداه من سجن بنـي سـويف، ليلحقوا بقطار التاسعة والنصف المتجه إلى القاهرة، لينضموا إلى موكب الأحياء. أما الوحوش الثلاثـة الـذين تجـردوا من آدميتهم وارتكبوا أبشع جريمة حرمها ا جريمـة قتـل الأب. فإن جثثهم ستواري التراب، وقد يلعنهم التراب جـزاء ما اقترفوا، أما أرواحهم التي أزهقها عشماوي هذا الصـباح فلعلها الآن تعقد اجتماع صلح أو عتاب مع أرواح الضـحايا في العالم الخفي المجهول. وراء الأبدية هناك.

* * *



فاجأت عشماوي بهذا السؤال: ما هو شعورك عقب أن تنتهي من تنفيذ عمليات الإعدام بالجملة. هل ترفض أن تذوق اللحم في هذا اليوم؟

- نظر عشماوي إلي طويلاً قبل أن يجيب:

- أؤدي عملاً وأنا مقتنع به. وأقوم بعملية الشنق وأنا في منتهى الهدوء. لا أتأثر ولا أسمح لأعصابي أن تتأثر ولا لعواطفي أن تهزني لمجرد أن أزهق روح آدمي.

ثم استطرد عشماوي:

- أنا أنظر إلى عملي من زاويتين: الأولى أني مكلف رسميا بهذا العمل وورائي من يحاكمني عسكريا لو لم أنفذه على الوجه الأكمل وبالطريقة السليمة.

قلت لعشماوي: والزاوية الثانية؟ قال:

- ما وقف أمامي مذنب إلا وتذكرت على الفور أنه قتل نفسا بشرية بريئة راحت ضحية غدره ونذالته، وأن الحق سبحانه وتعالى أمرنا في كتابه العزيز بالقصاص

من القاتل من أجل عمار الكون. وفي صباح يوم تنفيذ أحكام الإعدام أصلي الفجر وأدعو ا أن يمنحنـي القـوة وثبـات الأعصاب وبعد الإعدام أؤدي صلاة الظهر في وقتها.

قلت لعشماوي: إنك لم تجب على سؤالي هل ترفض اللحم حين تقدمه لك زوجتك على الغداء بعد تنفيـذ أحكـام الإعدام؟

قال: لماذا تسألين هذا السؤال؟

قلت: لأنني وأنا المتفرجة أخرج من غرفة الإعـدام بصداع وأشعر بغثيان وحين يقدم لي الطعام لا أستطيع تناول اللحم ولا النظر إليه في الطبق أمامي.

قال عشماوي: مش كل الناس زي بعض. وأنا بعـد الإعدام مباشرة أكون في أشد الحاجة إلى تناول فنجان قهـوة سادة وسيجارة. بعدها أعود إلى حالتي الطبيعية، ولا مـانع عندي إذا قدمت لي زوجتي اللحم على الغداء مـن تناولـه، ويبدو أن الرجال ليس لديهم الحساسية الموجودة عند النساء.

قالها عشماوي وهو يبتعد مبتسما، لينهـي الحـوار الذي بدأته معه.. إن عشماوي إنسان رغم ما يحاول إيهامي به من أنه لا يتأثر حين يزهق روحا. لقـد لمحـت التـأثر

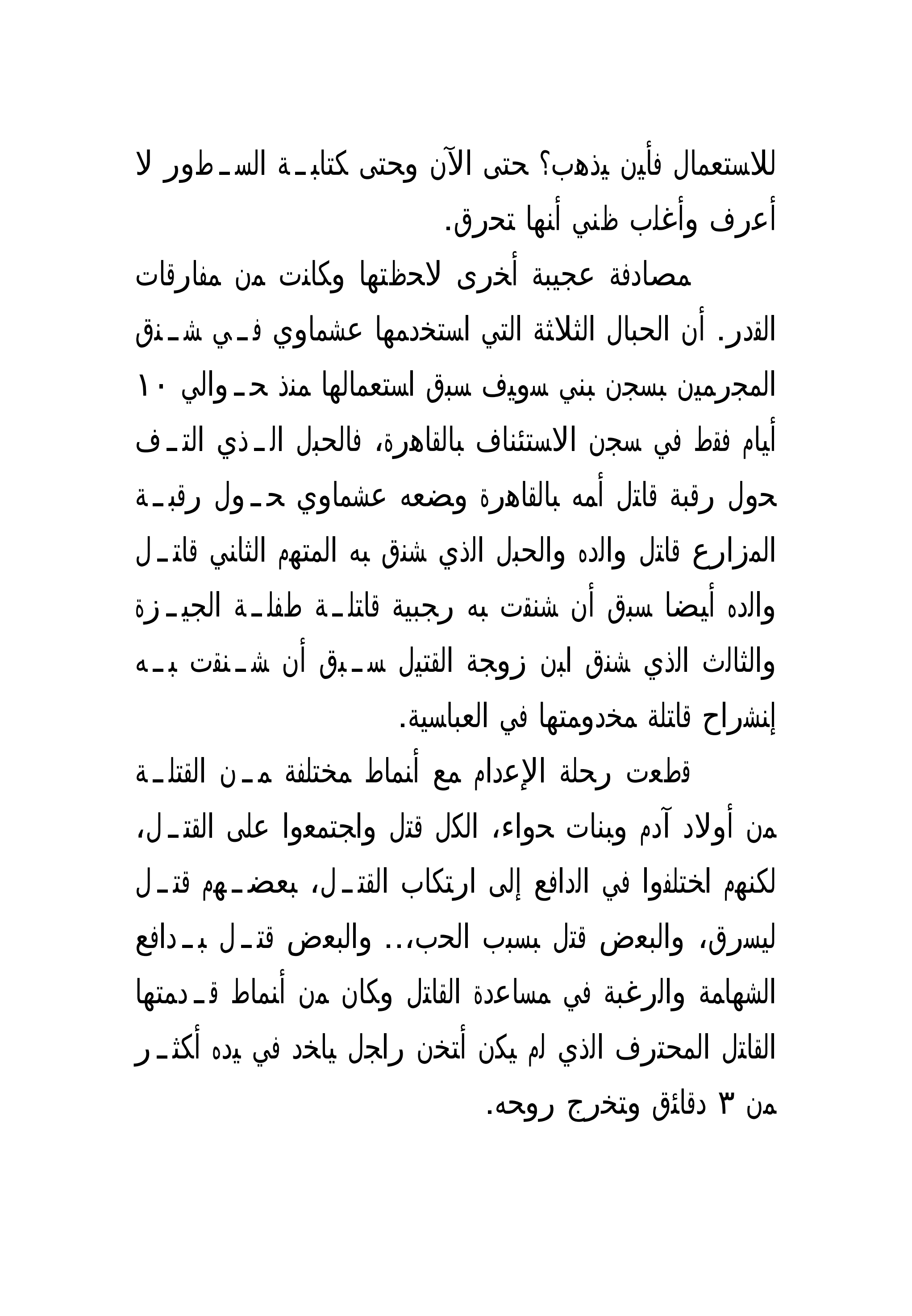
على وجهه حين طلبت قاتلة الطفلة وهـي علـى المشـنقة أن ترى أطفالها، لكنه كومضة برق سرعان ما اختفى وعاد الهدوء إلى وجه عشماوي الصارم وهو يجذب يـد المشـنقة لتهوي القاتلة جثـة هامـدة تتـأرجح فـي بئـر الإعـدام، إن عشماوي يقوم بعمله بعيدا عن العواطف مجردا من كـل إحساس بالخوف أو الذنب.

* * *

أستميحك عذرا عزيزي القـارئ إذ خرجـت بـك عن موضوع حديثي لكني لم أتجاوز الموضـوع الأصـلي، أخذتك معي إلى عشماوي بعيدا عن المشنقة وخارج السـجن متعمدة لأرفه عنك ما تشعر به من توتر وأنت تتابع مشـاهد الإعدام إعدام رجال ونساء واحدا بعد الآخر، وكـان لزامـا علي أن أريحك من هذه المواقف المأسوية ولو قليلاً.

سؤال آخر ظل بدون جواب كنت أسأله دائما لنفسي وأنسى أن أوجهه إلى عشماوي أو مأمور السجن، هو: أيـن تذهب حبال المشنقة بعد أن ينتهي عمرها الافتراضي؟

أنا أعلم أن الحبل يستورد من الخارج، ويتراوح ثمنه بين ١٠ و ١٥ جنيها ويستعمل ٣ مرات فقط لا يصلح بعدها



للاستعمال فأين يذهب؟ حتى الآن وحتى كتابة السطور لا أعرف وأغلب ظني أنها تحرق.

مصادفة عجيبة أخرى لاحظتها وكانت من مفارقات القدر. أن الحبال الثلاثة التي استخدمها عشماوي في شنق المجرمين بسجن بني سويف سبق استعمالها منذ حوالي ١٠ أيام فقط في سجن الاستئناف بالقاهرة، فالحبل الذي التف حول رقبة قاتل أمه بالقاهرة وضعه عشماوي حول رقبة المزارع قاتل والده والحبل الذي شنق به المتهم الثاني قاتل والده أيضا سبق أن شنقت به رجبية قاتلة طفلة الجيزة والثالث الذي شنق ابن زوجة القتيل سبق أن شنقت به إنشراح قاتلة مخدومتها في العباسية.

قطعت رحلة الإعدام مع أنماط مختلفة من القتلة من أولاد آدم وبنات حواء، الكل قتل واجتمعوا على القتل، لكنهم اختلفوا في الدافع إلى ارتكاب القتل، بعضهم قتل ليسرق، والبعض قتل بسبب الحب،.. والبعض قتل بدافع الشهامة والرغبة في مساعدة القاتل وكان من أنماط قدمتها القاتل المحترف الذي لم يكن أتخن راجل ياخد في يده أكثر من ٣ دقائق وتخرج روحه.

لكني أقدم الآن نوعا آخر من القتلة. إنه القاتل بسبب الثأر إنه حضر من أسيوط سيرا على قدميه حتـى وصـل إلى القاهرة، وأخذ يتربص بقاتل أخيه. حتى ظفر به وذبحـه في ميدان الأزهر ثاني أيام عيد الضـحية. وسـقط التـاجر يتخبط في دمه، وسلم القاتل نفسه معترفًا، عاقبتـه محكمـة جنايات القاهرة بالإعدام وأحالت أوراقه إلى المفتي الذي رد الأوراق وقال أن القصاص من القاتل واجب شرعا.

والعداء بين أسرتين في صعيد مصر شيء مـألوف. تتربص كل أسرة بالأخرى وتقدم خيرة شبابها على مـذابح الثأر، ويظل منجل الثأر يحصد الشباب إلى أمد يطـول ولا يقصر أبدا.

الثأر: لغة الصعيد المتداولة

وفي بلدة من أقاصي محافظة أسيوط يحتضنها النيل من جهة ويحوطها الجبل من الجهة الأخرى. يعمل أهلها في زراعة الأرض وفي التجارة شأن كل مجتمع قروي. اشتعلت نار الحقد بين أسرتين من أسر البلدة بسبب خلاف على قطعة أرض، وتطور الخلاف ووصل إلى طريق مسدود وتكلم السلاح: تربص شاب من أسرة مسعود لشاب من أسرة عبد الواحد اختفى بين أعواد الذرة وأفرغ في صدر غريمه ٣ رصاصات واختفى، وخرج الأهالي على صوت الرصاص، وثار الصراخ والعويل وحضر رجال الشرطة.. إن أسرة عبد الواحد تعرف القاتل جيدا ولكنها في التحقيق أنكرت. وقال كبار الأسرة: لا نعرف القاتل. ولا سبب القتل، إنه كان عائدا من زراعته في المساء حين أطلق عليه الرصاص مجهول وهرب. ودفن القتيل ولم تتقبل أسرته فيه العزاء. وهذا معناه في العرف السائد أن الأسرة ستقوم بأخذ الثأر وتقيم المأتم وتتقبل العزاء. وفعلاً أقيم السرادق وجلس كبار

أسرة عبد الواحد يتلقون العزاء في فقيدهم في نفـس اليـوم الذي سقط فيه شاب من أسـرة مسـعود قتـيلاً برصـاص مجهول.

أصبح القتل سجالاً بين الأسرتين. في خلال ٦ شهور سقط ٣ ضحايا من الأسرتين. وتستعد أسرة عبد الواحد لتأخذ بثأر فقيدها الجديد إن شقيق الفقيد يصر على قتل زينة شباب مسعود الذي يعمل تاجرا بشارع الأزهر.

خرج شقيق القتيل من بلدته، وقد صمم على الانتقام والأخذ بثأر أخيه، سار مشيا على قدميه من أسـيوط حتـى وصل إلى القاهرة وفكرة الثأر تسـيطر عليـه، وتسـتولي على كل مشاعره. إنه لم يترك لنفسه فرصة للتراجـع كـان الحقد يغلي في صدره كلما تذكر مصرع شقيقه زينة شـباب الأسرة. وصل إلى القاهرة وكانت تحتفل بعيـد الأضـحى. الناس يصلون العيد ويذبحون خروف الأضـحية والأطفـال في ملابسهم الملونة يمرحون ويلهون فرحين بالعيد.

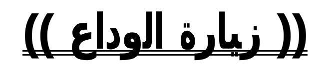
أما هو طالب الثأر فظل يهيم على وجهه فـي حـي الأزهر يسأل عن عنوان ضحيته. قال إنه قريبـه وحضـر من البلدة لزيارته وصدقه الناس أعطوه عنوان بيت التـاجر.

توجه إليه وقف ينتظر خروجه لكن التاجر في هذا اليوم مع أسرته يحتفلون بالعيد. وجاء الليل وطال انتظار عثمان عبد الواحد، حتى اضطره التعب إلى البحث عن مأوى في أحد الفنادق الرخيصة.

ومع إشراقة شمس ثاني أيام عيد الأضحى، بكر عثمان في الخروج من الفندق لم يكن يحمل حقيبة ولا أي شيء آخر، جاء من بلدته يخفي السكين التي سيذبح بها التاجر داخل الصديري، وسار في شوارع حي الحسين. يلهبه الحقد بسياطه إنه لا يطيق الانتظار أكثر من ذلك وأسرع الخطى حتى وصل إلى بيت التاجر. كانت النوافذ لا تزال مغلقة. ساوره القلق، خشي ألا يخرج أيضا هذا اليوم، لكن إصراره على ارتكاب جريمته سمره في مكانه. عينه على الباب. وعلى النوافذ والشرفات. الوقت يمضي والساعات تمر وراء بعضها والمارة يروحون ويجيئون وهو واقف في مكانه وكان يخشى أن يقترب منه عسكري الشرطة ليسأله عن سبب وقوفه في هذا المكان لا يتحرك وعند هذا الخاطر ترك موقفه الذي يتربص فيه للتاجر وسار حتى آخر الشارع، ثم عاد من جديد يتربص لضحيته عبد الوهاب

مسعود، وفي هذه المرة رآه أمامه خارجا من بيته في طريقه لزيارة أقاربه مهنئًا بالعيد. انقض عليه وأوقعه أرضا وقام بذبحه، ثم أسلم نفسه لرجال الشرطة. قال: إن القتيل كان قد قتل شقيقي فانتقمت منه وأخذت بثأري.

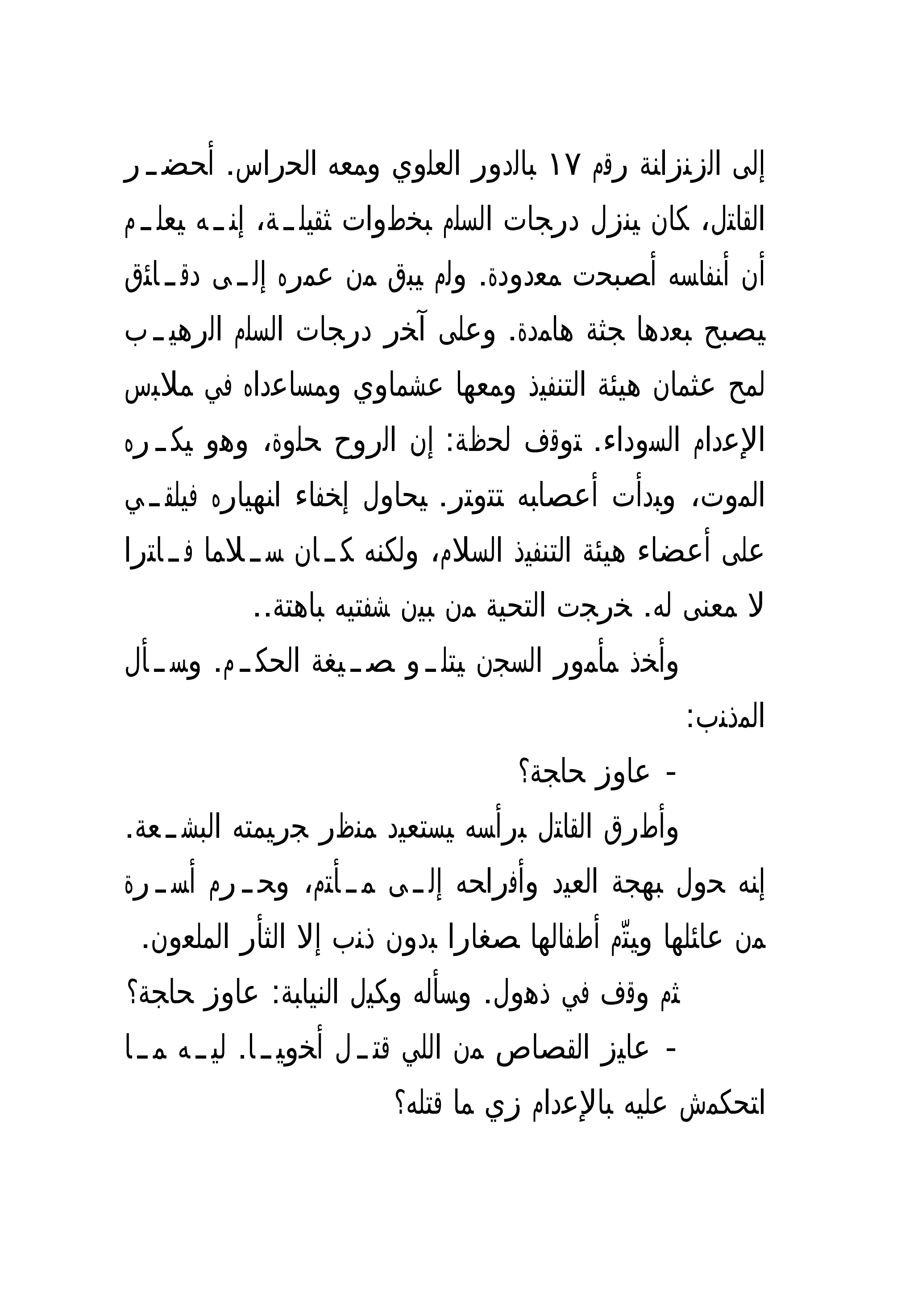
أركان الجريمة متوافرة. القاتل معترف. اكتملت القضية وحول القاتل إلى محكمة الجنايات بالقاهرة التي حكمت بإعدامه شنقًا، ودخل عثمان زنزانة بسجن الاستئناف في انتظار عشماوي، كان حريصا على أداء الصلاة في أوقاتها داخل الزنزانة. أطلق لحيته عند دخوله السجن، كان يحب العسل الأبيض والشاي في الإفطار، ويكثر من أكل الدجاج والبطاطس ويحب التفاح.



وتحدد موعد إعـدام عثمـان عبـد الواحـد. زاره في السجن قبل الإعدام بيوم شـقيقته وخالـه و ٣ سـيدات من أقاربه، جلسوا يتحدثون معه سألهم عن أهله وأحوال البلد وسألوه عن صحته. كانوا يعلمون أنه سيعدم غـدا، وكـانوا يحرصون على إخفاء الحقيقة عنه تنفيذًا لتعليمـات السـجن وانتهت الزيارة وعاد إلى زنزانته، يشعر بالوحـدة وبشـيء يكتم أنفاسه ويبعث الكآبة في نفسه. شيء لا يعرف ما هـو، لكن إحساسه الداخلي كان يعرف.

في العاشر من يونيو عام ١٩٥٩. كانـت السـاعة الثامنة إلا ربعا صباحا. رفعت الراية السوداء على سـارية السجن بباب الخلق. واستعدت إدارة السـجن لتنفيـذ حكـم الإعدام في المزارع عثمان عبد الواحد الذي حضـر مشـيا على قدميه من أسيوط حتى يقتل غريمه بالقاهرة.

في الثامنة إلا عشر دقائق حضرت هيئـة التنفيـذ، ووقفت في فناء السجن، وصعد النقيب محمد جلال مصطفى



إلى الزنزانة رقم ١٧ بالدور العلوي ومعه الحراس. أحضر القاتل، كان ينزل درجات السلم بخطوات ثقيلة، إنه يعلم أن أنفاسه أصبحت معدودة. ولم يبق من عمره إلى دقائق يصبح بعدها جثة هامدة. وعلى آخر درجات السلم الرهيب لمح عثمان هيئة التنفيذ ومعها عشماوي ومساعداه في ملابس الإعدام السوداء. توقف لحظة: إن الروح حلوة، وهو يكره الموت، وبدأت أعصابه تتوتر. يحاول إخفاء انهياره فيلقي على أعضاء هيئة التنفيذ السلام، ولكنه كان سلاما فاترا لا معنى له. خرجت التحية من بين شفتيه باهتة..

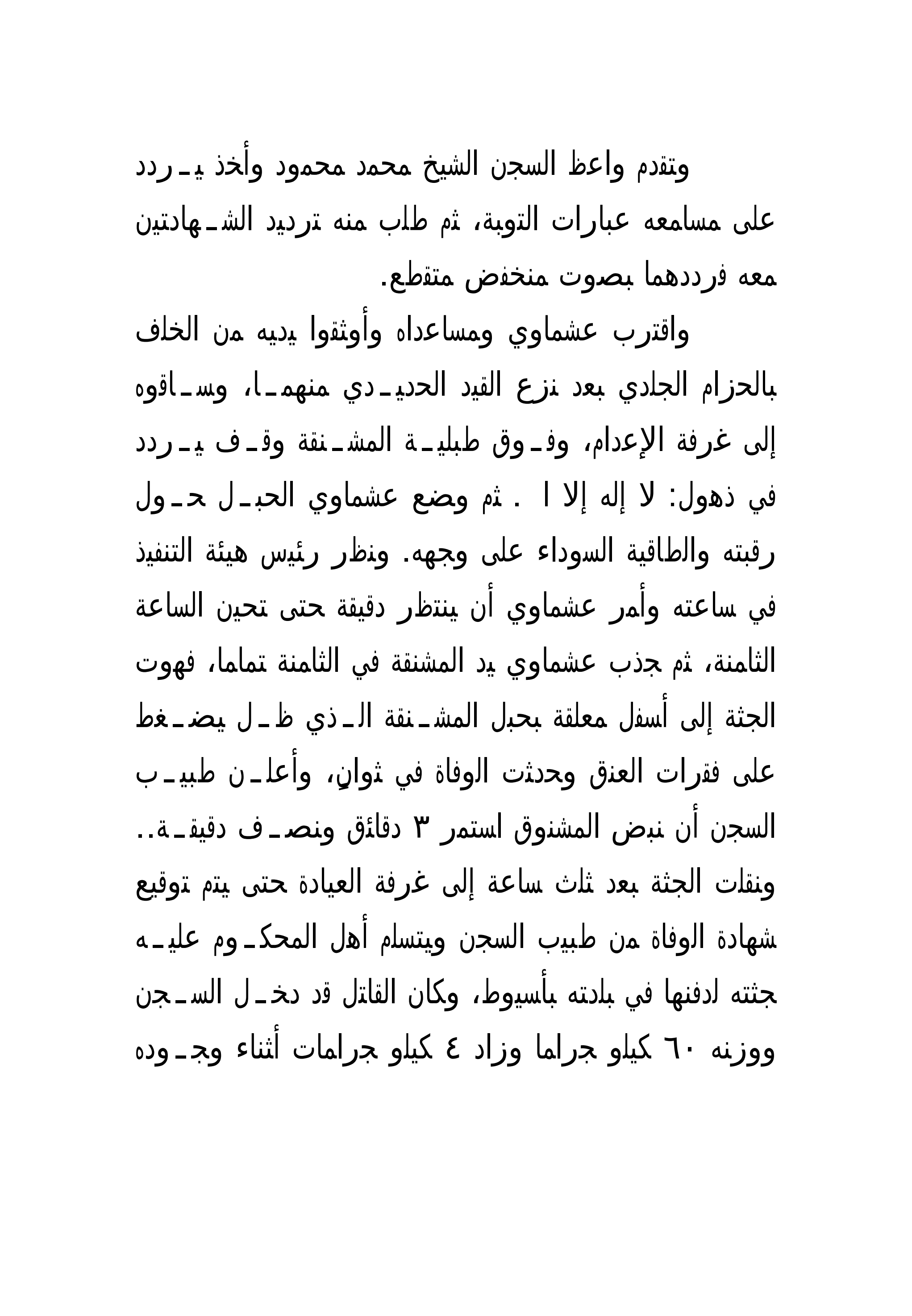
وأخذ مأمور السجن يتلو صيغة الحكم. وسأل المذنب:

- عاوز حاجة؟

وأطرق القاتل برأسه يستعيد منظر جريمته البشعة. إنه حول بهجة العيد وأفراحه إلى مأتم، وحرم أسرة من عائلها ويتّم أطفالها صغارا بدون ذنب إلا الثأر الملعون.

ثم وقف في ذهول. وسأله وكيل النيابة: عاوز حاجة؟

- عايز القصاص من اللي قتل أخويا. ليه ما اتحكمش عليه بالإعدام زي ما قتله؟



وتقدم واعظ السجن الشيخ محمد محمود وأخذ يردد على مسامعه عبارات التوبة، ثم طلب منه ترديد الشهادتين معه فرددهما بصوت منخفض متقطع.

واقترب عشماوي ومساعداه وأوثقوا يديه من الخلف بالحزام الجلدي بعد نزع القيد الحديدي منهما، وساقوه إلى غرفة الإعدام، وفوق طبلية المشنقة وقف يردد في ذهول: لا إله إلا ا . ثم وضع عشماوي الحبل حول رقبته والطاقية السوداء على وجهه. ونظر رئيس هيئة التنفيذ في ساعته وأمر عشماوي أن ينتظر دقيقة حتى تحين الساعة الثامنة، ثم جذب عشماوي يد المشنقة في الثامنة تماما، فهوت الجثة إلى أسفل معلقة بحبل المشنقة الذي ظل يضغط على فقرات العنق وحدثت الوفاة في ثوانٍ، وأعلن طبيب السجن أن نبض المشنوق استمر ٣ دقائق ونصف دقيقة.. ونقلت الجثة بعد ثلث ساعة إلى غرفة العيادة حتى يتم توقيع شهادة الوفاة من طبيب السجن ويتسلم أهل المحكوم عليه جثته لدفنها في بلدته بأسيوط، وكان القاتل قد دخل السجن ووزنه ٦٠ كيلو جراما وزاد ٤ كيلو جرامات أثناء وجوده



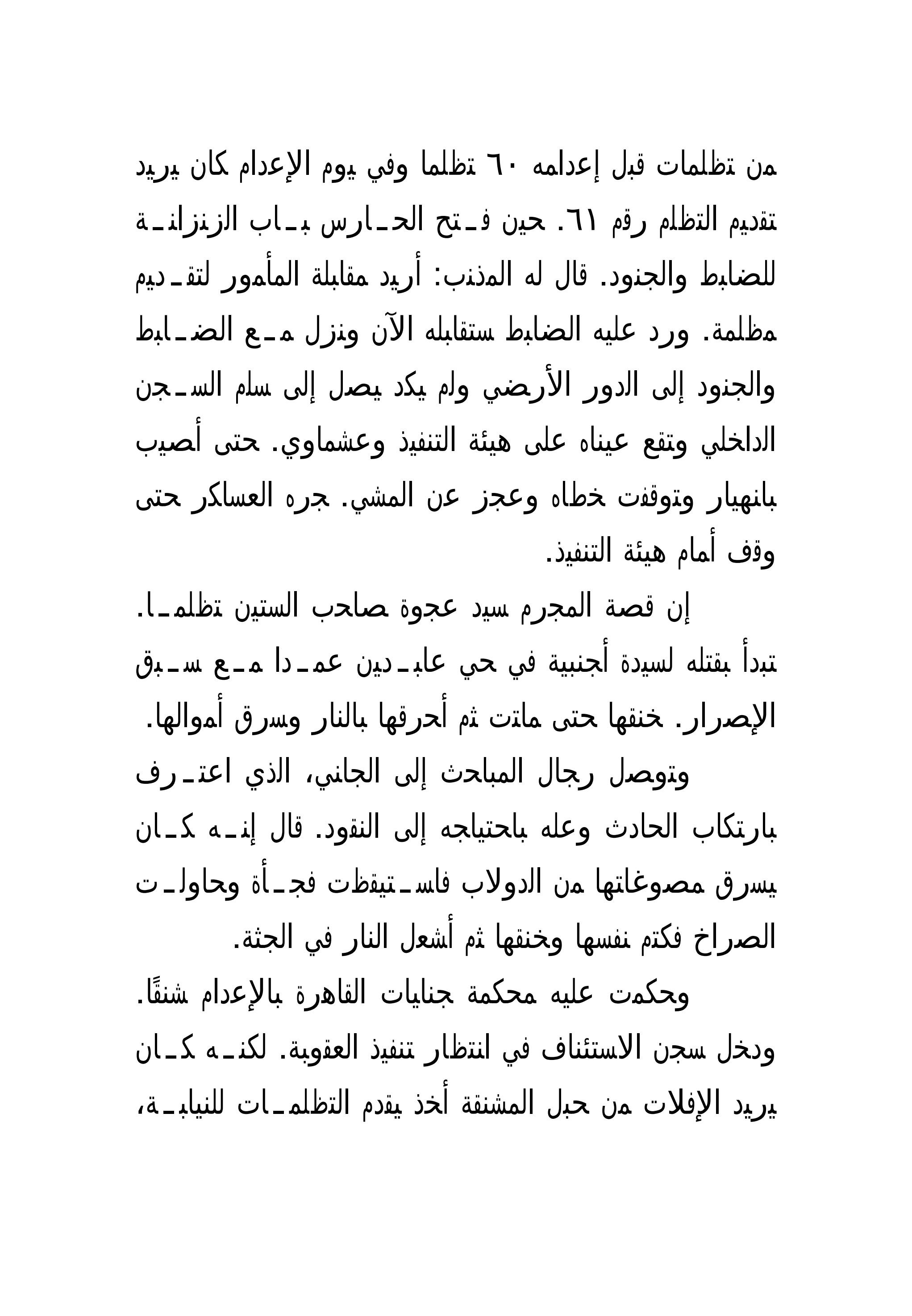
في الزنزانة. إن عادة الثأر في ريفنا من أبشع العادات وهي الآن في طريقها إلى الانقراض بفضل التطور.

أفلتوا من الموت إلى حين

إن هناك من المجرمين القتلة من يرتكب الجريمة ويحاول الإفلات من العقاب بشتى الطرق، كانوا يرسلون تظلما إلى النيابة ويدعون أن عندهم شهود نفي خارج السجن، وبعضهم كان محاميه يقدم إشكالاً في التنفيذ لوقف تنفيذ الحكم بدعوى وجود خطإٍ فيه وفعلاً نجح أحد المحامين في تأخير تنفيذ حكم الإعدام في موكله قبل تنفيذه بدقائق. قدم إشكالاً قبلته النيابة وأمر وكيل النيابة بتأجيل تنفيذ حكم الإعدام حتى يفصل في الإشكال.

وقد حضرت وقائع هذه القضية التي اشتهرت باسم قضية عزوز ولبيب. كان لا يزال في عمريهما بقية وخرجا من غرفة الإعدام إلى الزنزانة لكن تم إعدامهما بعد رفض الإشكال وسأعود إلى قضية عزوز ولبيب.

مجرم قاتل، كان يقتل ليسرق، كانت هوايته داخل زنزانة سجن الاستئناف بالقاهرة هي إرسال التظلمات إلى النيابة لينقذ رقبته من حبل المشنقة، وبلغ عدد ما أرسله

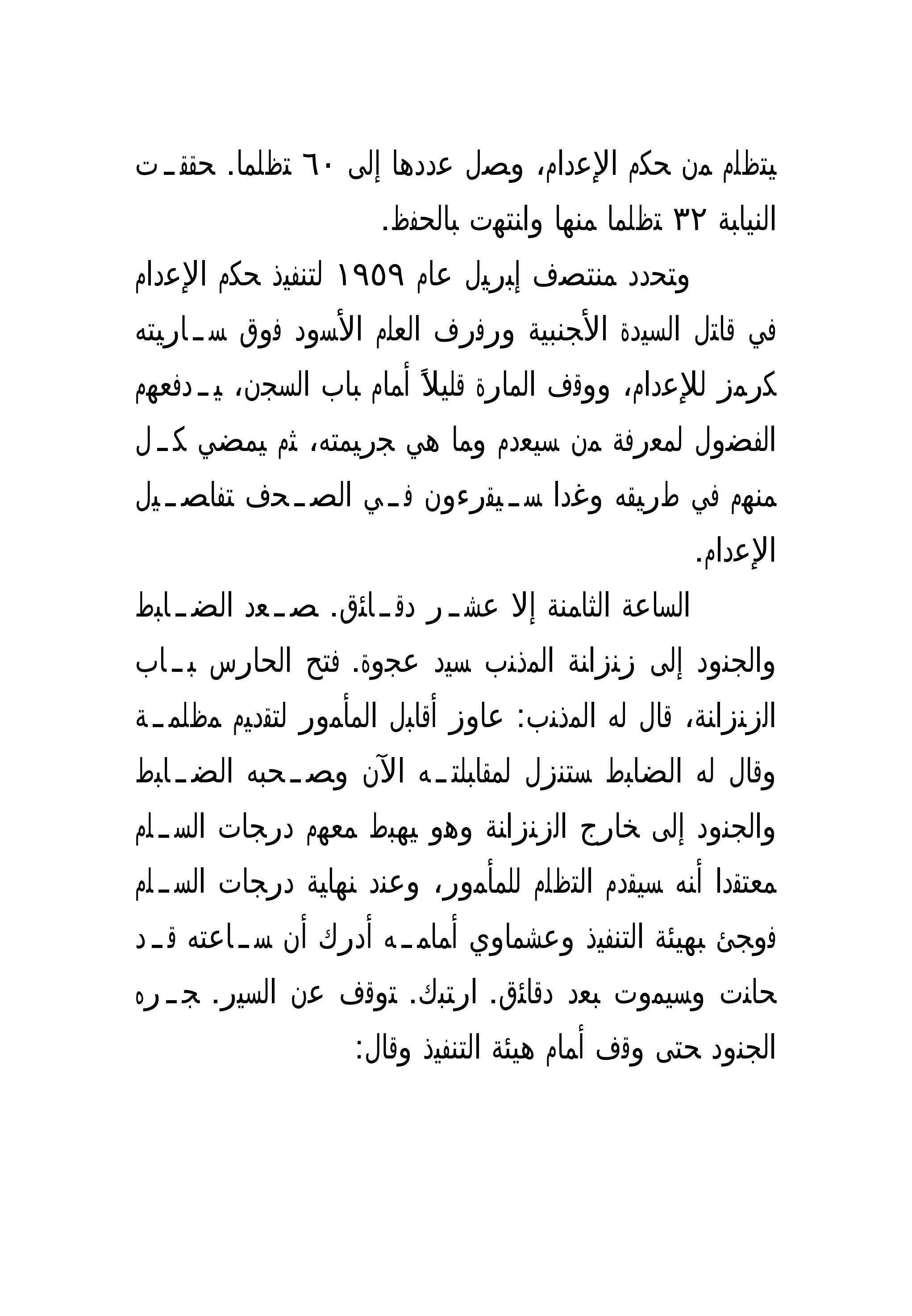


من تظلمات قبل إعدامه ٦٠ تظلما وفي يوم الإعدام كان يريد تقديم التظلم رقم ٦١. حين فتح الحارس باب الزنزانة للضابط والجنود. قال له المذنب: أريد مقابلة المأمور لتقديم مظلمة. ورد عليه الضابط ستقابله الآن ونزل مع الضابط والجنود إلى الدور الأرضي ولم يكد يصل إلى سلم السجن الداخلي وتقع عيناه على هيئة التنفيذ وعشماوي. حتى أصيب بانهيار وتوقفت خطاه وعجز عن المشي. جره العساكر حتى وقف أمام هيئة التنفيذ.

إن قصة المجرم سيد عجوة صاحب الستين تظلما. تبدأ بقتله لسيدة أجنبية في حي عابدين عمدا مع سبق الإصرار. خنقها حتى ماتت ثم أحرقها بالنار وسرق أموالها.

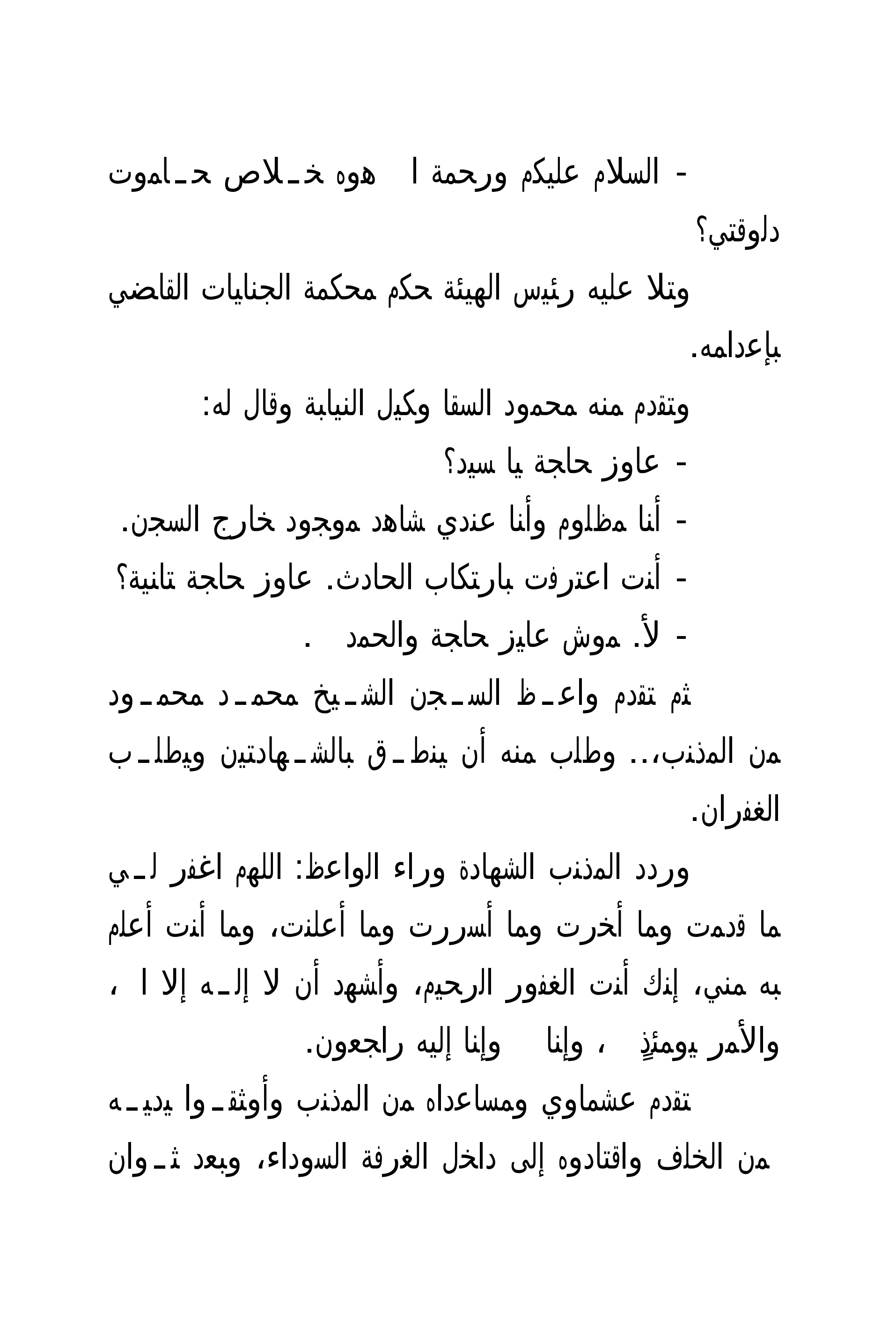
وتوصل رجال المباحث إلى الجاني، الذي اعترف بارتكاب الحادث وعله باحتياجه إلى النقود. قال إنه كان يسرق مصوغاتها من الدولاب فاستيقظت فجأة وحاولت الصراخ فكتم نفسها وخنقها ثم أشعل النار في الجثة.

وحكمت عليه محكمة جنايات القاهرة بالإعدام شنقًا. ودخل سجن الاستئناف في انتظار تنفيذ العقوبة. لكنه كان يريد الإفلات من حبل المشنقة أخذ يقدم التظلمات للنيابة،


يتظلم من حكم الإعدام، وصل عددها إلى ٦٠ تظلما. حققـت النيابة ٣٢ تظلما منها وانتهت بالحفظ.

وتحدد منتصف إبريل عام ١٩٥٩ لتنفيذ حكم الإعدام في قاتل السيدة الأجنبية ورفرف العلم الأسود فوق سـاريته كرمز للإعدام، ووقف المارة قليلاً أمام باب السجن، يـدفعهم الفضول لمعرفة من سيعدم وما هي جريمته، ثم يمضي كـل منهم في طريقه وغدا سـيقرءون فـي الصـحف تفاصـيل الإعدام.

الساعة الثامنة إلا عشـر دقـائق. صـعد الضـابط والجنود إلى زنزانة المذنب سيد عجوة. فتح الحارس بـاب الزنزانة، قال له المذنب: عاوز أقابل المأمور لتقديم مظلمـة وقال له الضابط ستنزل لمقابلتـه الآن وصـحبه الضـابط والجنود إلى خارج الزنزانة وهو يهبط معهم درجات السـلم معتقدا أنه سيقدم التظلم للمأمور، وعند نهاية درجات السـلم فوجئ بهيئة التنفيذ وعشماوي أمامـه أدرك أن سـاعته قـد حانت وسيموت بعد دقائق. ارتبك. توقف عن السير. جـره الجنود حتى وقف أمام هيئة التنفيذ وقال:



- السلام عليكم ورحمة ا هوه خـلاص حـاموت دلوقتي؟

وتلا عليه رئيس الهيئة حكم محكمة الجنايات القاضي بإعدامه.

وتقدم منه محمود السقا وكيل النيابة وقال له:

- عاوز حاجة يا سيد؟
- أنا مظلوم وأنا عندي شاهد موجود خارج السجن.
- أنت اعترفت بارتكاب الحادث. عاوز حاجة تانية؟
- لأ. موش عايز حاجة والحمد .

ثم تقدم واعـظ السـجن الشـيخ محمـد محمـود من المذنب،.. وطلب منه أن ينطـق بالشـهادتين ويطلـب الغفران.

وردد المذنب الشهادة وراء الواعظ: اللهم اغفر لـي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، إنك أنت الغفور الرحيم، وأشهد أن لا إلـه إلا ا ، والأمر يومئذٍ ، وإنا وإنا إليه راجعون.

تقدم عشماوي ومساعداه من المذنب وأوثقـوا يديـه من الخلف واقتادوه إلى داخل الغرفة السوداء، وبعد ثـوان

كان المذنب جثة هامدة تهوي في بئر المشنقة والحبل معلـق حول الرقبة. استمر النبض ٧ دقائق. كان وزنه عند دخـول السجن ٥٥ كيلو جرامات وعند تنفيذ الإعدام ٦٣ كيلو.

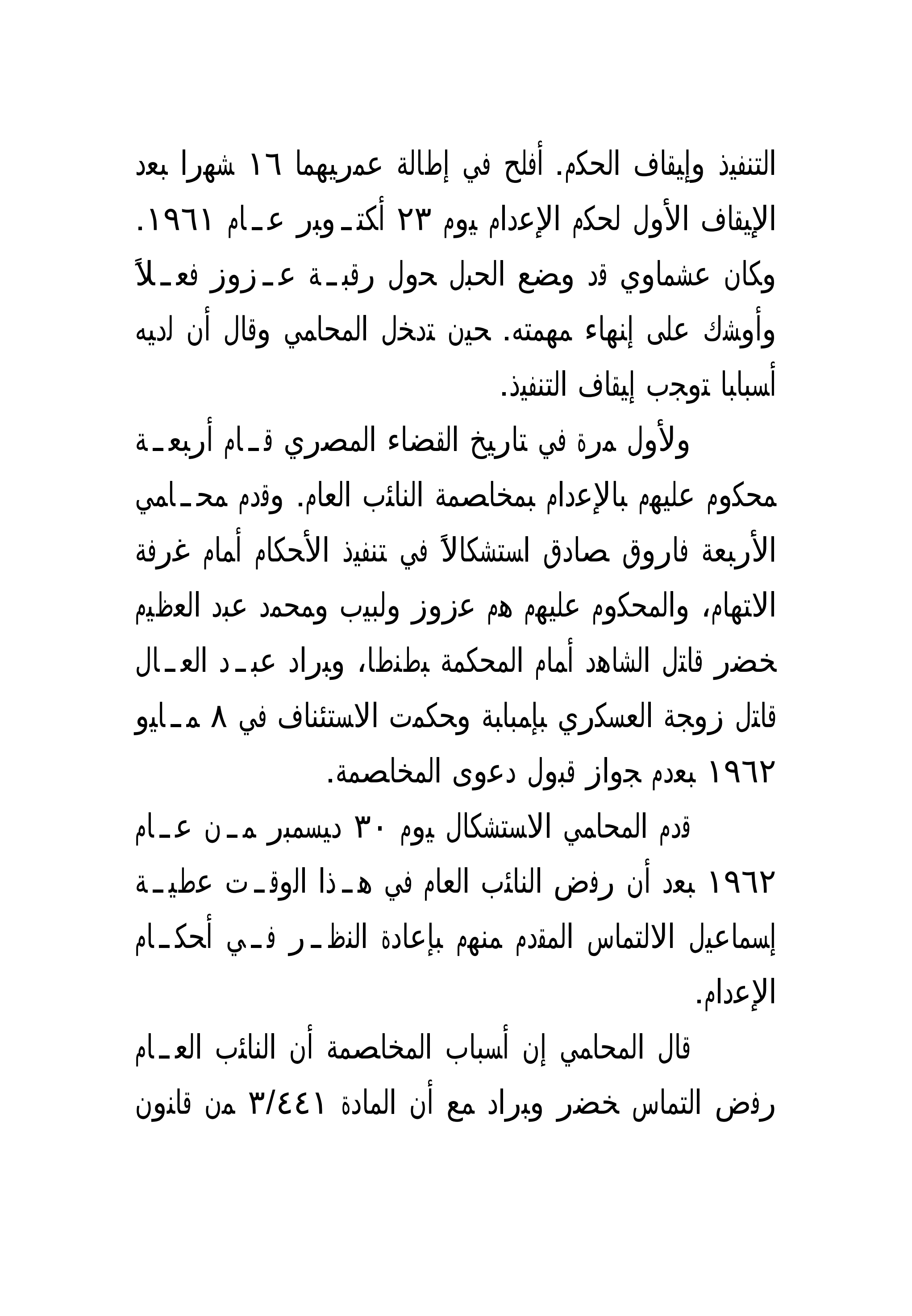
كان آخر إفطار تناوله سيد عجـوة الشـاي بـاللبن والجبن والخبز حضر محمود السقا تنفيذ الإعدام بالصـدفة. كان في السجن للزيارة. تأخر وكيل النيابة المختص بالتنفيذ. مثل الأستاذ السقا بالنيابة بدلا عنه، حتى لا يتـأخر الإعـدام عن موعده.

موضة اسمها إيقاف الإعدام

إن أعوام ١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٣. شهدت أغـرب محاولات لإنقاذ مذنبين من حبل المشنقة. في القاهرة وطنطا وبني سويف. حيث أصدرت محاكم جنايات القاهرة وطنطـا وبين سويف أحكاما بالإعدام على ٨ من المتهمين في جرائم قتل وسرقة.. وفي كل مرة كان عشـماوي يـدخل غرفـة الإعدام ويستعد لتنفيذ مهمته، كان يفاجأ برئيس النيابة يطلب منه أن يرفع يده قائلاً: تقرر وقف التنفيذ لكن هذه المحاولات لم تنجح وتم تنفيذ أحكام الإعدام جميعها.

كان عشماوي يبدو متضايقًا حزينًا، كان يقـول: دي مش حكاية دي بقت موضة اخترعها المحامون. لازم يشوفوا حل لحكاية موضة المحامين في وقف الإعدام.

إن قضية عزوز ولبيب كانت من أشهر القضايا التي عرفتها محاكم القاهرة منذ مطلع هذا القرن، قـام محاميهمـا فاروق صادق الذي توفى منذ ٧ سنوات برفـع ١٧ قضـية لينقذ موكليه من الإعدام. قام بأجرأ وأغرب محاولات لتعطيل

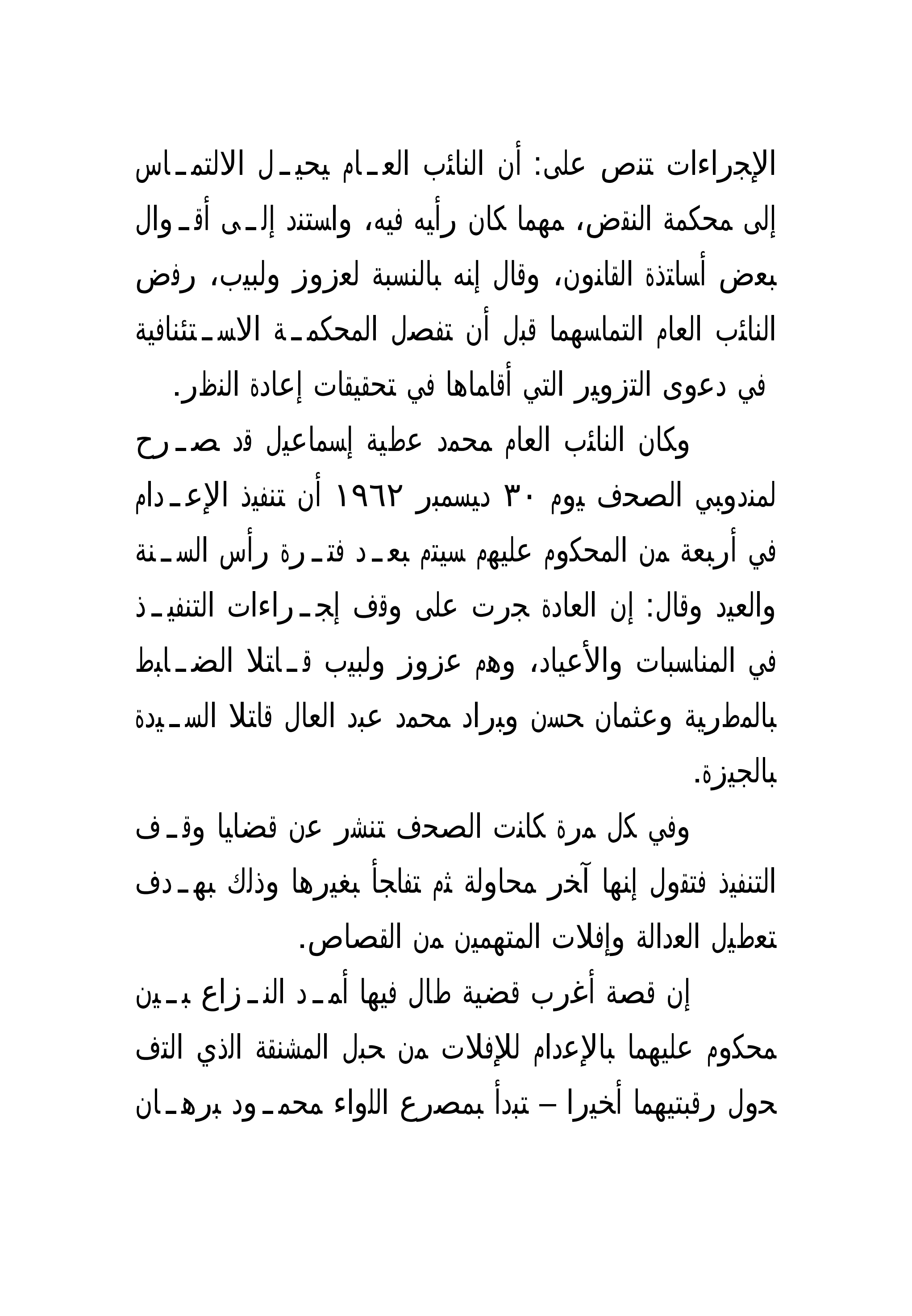


التنفيذ وإيقاف الحكم. أفلح في إطالة عمريهما ١٦ شهرا بعد الإيقاف الأول لحكم الإعدام يوم ٢٣ أكتـوبر عـام ١٩٦١. وكان عشماوي قد وضع الحبل حول رقبـة عـزوز فعـلاً وأوشك على إنهاء مهمته. حين تدخل المحامي وقال أن لديه أسبابا توجب إيقاف التنفيذ.

ولأول مرة في تاريخ القضاء المصري قـام أربعـة محكوم عليهم بالإعدام بمخاصمة النائب العام. وقدم محـامي الأربعة فاروق صادق استشكالاً في تنفيذ الأحكام أمام غرفة الاتهام، والمحكوم عليهم هم عزوز ولبيب ومحمد عبد العظيم خضر قاتل الشاهد أمام المحكمة بطنطا، وبراد عبـد العـال قاتل زوجة العسكري بإمبابة وحكمت الاستئناف في ٨ مـايو ١٩٦٢ بعدم جواز قبول دعوى المخاصمة.

قدم المحامي الاستشكال يوم ٣٠ ديسمبر مـن عـام ١٩٦٢ بعد أن رفض النائب العام في هـذا الوقـت عطيـة إسماعيل الالتماس المقدم منهم بإعادة النظـر فـي أحكـام الإعدام.

قال المحامي إن أسباب المخاصمة أن النائب العـام رفض التماس خضر وبراد مع أن المادة ٣/٤٤١ من قانون



الإجراءات تنص على: أن النائب العام يحيل الالتماس إلى محكمة النقض، مهما كان رأيه فيه، واستند إلى أقوال بعض أساتذة القانون، وقال إنه بالنسبة لعزوز ولبيب، رفض النائب العام التماسهما قبل أن تفصل المحكمة الاستئنافية في دعوى التزوير التي أقاماها في تحقيقات إعادة النظر.

وكان النائب العام محمد عطية إسماعيل قد صرح لمندوبي الصحف يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٦٢ أن تنفيذ الإعدام في أربعة من المحكوم عليهم سيتم بعد فترة رأس السنة والعيد وقال: إن العادة جرت على وقف إجراءات التنفيذ في المناسبات والأعياد، وهم عزوز ولبيب قاتلا الضابط بالمطرية وعثمان حسن وبراد محمد عبد العال قاتلا السيدة بالجيزة.

وفي كل مرة كانت الصحف تنشر عن قضايا وقف التنفيذ فتقول إنها آخر محاولة ثم تفاجأ بغيرها وذلك بهدف تعطيل العدالة وإفلات المتهمين من القصاص.

إن قصة أغرب قضية طال فيها أمد النزاع بين محكوم عليهما بالإعدام للإفلات من حبل المشنقة الذي التف حول رقبتيهما أخيرا – تبدأ بمصرع اللواء محمود برهان

في الفيللا الخاصة به في عزبة النخل. كان ذلك في ديسمبر من عام ١٩٥٧. تم اكتشاف الجثة وبدأت إجراءات التحقيق وامتدت أصابع الاتهام لتشير إلى عزوز شفيق ولبيب أيوب وشريك ثالث لهما اسمه مخيمر حكم عليه بالمؤبد. قالت تحقيقات الشرطة والنيابة أن الثلاثة قتلوا الضابط وسرقوا نقوده.

حكمت محكمة جنايات القاهرة على عزوز ولبيب بالإعدام شنقًا وعلى شريكهما مخيمر بالأشغال الشاقة المؤبدة وتم ترحيل المحكوم بإعدامهما إلى سجن الاستئناف انتظارا لتحديد يوم التنفيذ.

واستعدت إدارة السجن لتنفيذ حكم الإعدام الذي تقرر أن يتم يوم ٢٣ أكتوبر من عام ١٩٦١. وقام أقارب المذنبين بزيارتهما الزيارة الأخيرة كالمتبع قبل التنفيذ بيوم. وفي الثامنة إلا ربعا من صباح يوم التنفيذ صعد الضابط والحراس إلى الزنزانة رقم ٤ وعادوا بالمذنب عزوز الذي كان عليه الدور في قائمة الإعدام. نزل بين الحراس ذاهلاً. تقدم من هيئة التنفيذ حتى وقف أمامها، تلا عليه مأمور السجن صيغة الحكم وساقه عشماوي ومساعداه إلى داخل

غرفة الإعدام وقف على طبلية المشـنقة وقبـل أن يجـذب عشماوي يد المشنقة فوجئ برئيس النيابة يأمر بإيقاف التنفيذ بناء على طلب محامي المتهمين..

ومن هذا التاريخ ولمدة ١٦ شهرا لم تنقطع محاولات عزوز ولبيب للإفلات من قبضة عشماوي. طعن محاميهمـا بالتزوير في تقرير خبير البصمات وقدم ١٧ التماسا بإعـادة النظر في الحكم.

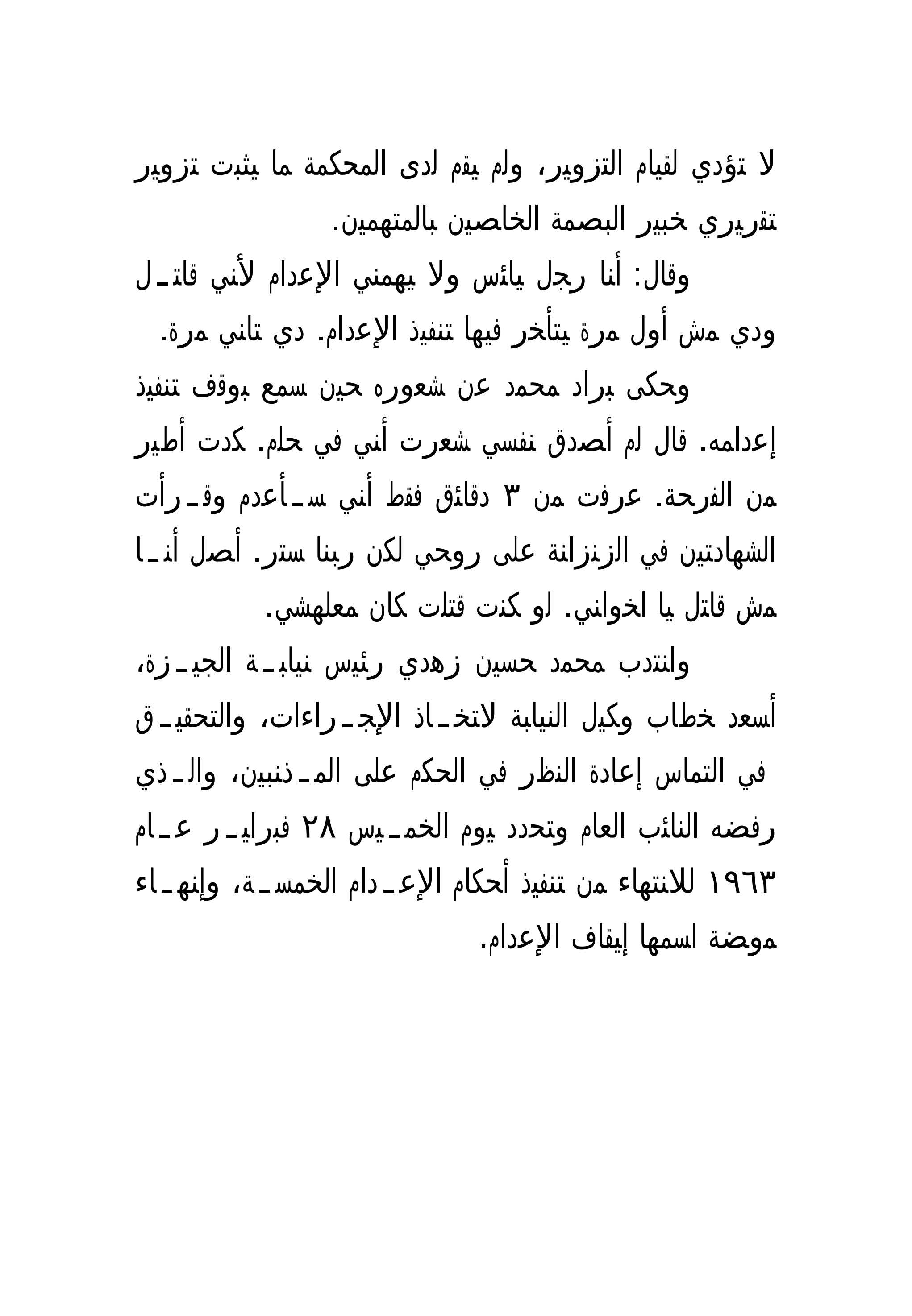
وحضرت أنا جانباً من هذه التحقيقـات فـي ينـاير ١٩٦٢. أمام محكمة القاهرة الابتدائية. واسـتمرت الجلسـة في يومها ٥ ساعات. ظل المتهم لبيب أيـوب يجيـب فيهـا على أسئلة المحكمة. كما قمـت بزيـارة للمتهمـين بعـدها في الزنزانة وحصلت منهما على حديث صحفي.

وفي قضية الطعن بالتزوير في بصمات المتهمـين: قال لبيب للمحكمة إنه قبض عليه يـوم ١٩ ديسـمبر عـام ١٩٥٧ وفي قسم المطرية وجهت إليه تهمة قتل اللواء برهان وصحبه ضابط الشرطة إلى فيللا القتيل بعزبة النخل وسألوه هل يعرفها فأنكر كما أنكر أنه يعرف المـتهم عـزوز ولـم يشاهده إلى في السجن.

وبعد انتهاء التحقيق والمرافعة في أكثر مـن جلسـة عقدتها محكمة القاهرة الابتدائية – حكمت بـرفض دعـوى تزوير البصمات التي رفعت من مكـان الحـادث بواسـطة خبراء تحقيق الشخصية، وتحامل لبيب على نفسه بعد سماع الحكم وقال محاميه إنه سيستأنف حكم المحكمة وفقًـا لـنص القانون.

وكانت المحكمة قد أحالت الدعوى إلى التحقيق ليثبت عزوز ولبيب بكافة طرق الإثبات صدق ادعائهما. ثم ترافـع محاميهما فاروق صـادق والحاضـرون عـن الحكومـة. وأصدرت حكمها برئاسة المستشار محمد خيـري عبـد ا وأمانة سر محمود أيوب برفض الادعاء في تزوير تقريـري البصمات وتغريم المدعيين ٢٥ جنيها لكل منهما وإلزامهمـا بمصاريف الدعوى و ٥ جنيهات مقابل أتعاب المحاماة.

وقالت المحكمة في أسباب حكمهـا: إن مـا ادعـاه المذنبان من مخالفات للتعليمات الخاصة بالتقاط بصـماتهما، هذا الادعاء لا يجدي شيئًا في إثبات التزوير فـإن مخالفـة التعليمات لا يترتب عليها قيام التزوير. بل إن مخالفة القانون



لا تؤدي لقيام التزوير، ولم يقم لدى المحكمة ما يثبت تزوير تقريري خبير البصمة الخاصين بالمتهمين.

وقال: أنا رجل يائس ولا يهمني الإعدام لأني قاتل ودي مش أول مرة يتأخر فيها تنفيذ الإعدام. دي تاني مرة.

وحكى براد محمد عن شعوره حين سمع بوقف تنفيذ إعدامه. قال لم أصدق نفسي شعرت أني في حلم. كدت أطير من الفرحة. عرفت من ٣ دقائق فقط أني سأعدم وقرأت الشهادتين في الزنزانة على روحي لكن ربنا ستر. أصل أنا مش قاتل يا اخواني. لو كنت قتلت كان معلهشي.

وانتدب محمد حسين زهدي رئيس نيابة الجيزة، أسعد خطاب وكيل النيابة لاتخاذ الإجراءات، والتحقيق في التماس إعادة النظر في الحكم على المذنبين، والذي رفضه النائب العام وتحدد يوم الخميس ٢٨ فبراير عام ١٩٦٣ للانتهاء من تنفيذ أحكام الإعدام الخمسة، وإنهاء موضة اسمها إيقاف الإعدام.



((عزوز ولبيب من جديد))

أما عزوز ولبيب فإن محاميهما لم يفقد آخر أمل في إنقاذ رقبتيهما من حبل المشنقة حتى صباح يوم التنفيذ وأمام غرفة الإعدام قدم آخر التماس بإعادة النظر في حكم الإعدام ليوقف تنفيذ الحكم ولكن رئيس النيابة رفضه.

وسبق هذا حكم محكمة القاهرة الابتدائية الذي أصدرته في ١٥ فبراير عام ١٩٦٣ برفض الإشكال الذي قدمه المحامي لوقف تنفيذ حكم إعدام عزوز شفيق ولبيب أيوب في القضية رقم ١٧ من القضايا التي أقامها المحامي ضد حكم الإعدام.

واستندت المحكمة في حكمها إلى أن مبنى الإشكال فيه افتراء على الحقيقة، وافتئات على القانون، إذ أن دعوى المخاصمة التي أقامها المحامي ضد النائب العام، لا تعتبر عملاً غير مشروع من النيابة العامة، بل مبناها الخطأ المهني من المحامي، لاتخاذ إجراءات متعددة الأشكال لتعطيل تنفيذ حكم الإعدام، فضلاً عن أن دعوى تزوير تحقيقات إعادة

النظر التي اختصم فيها رئيس النيابة شفيق يوسف لا تسـتند إلى القانون. إذ انتهت المحكمة في دعوى المخاصمة التـي أقامتها ضد هذا الأخير إلى أعمالـه يتسـم بالعـدل والحـق والأمانة وقد أقر النائب العـام هـذه التحقيقـات وبصـحة إجراءاتها في قرار رفض إعادة النظر، وأن الإشكال في هذا القرار هو طعن عليه، وهو ما لا يجيزه القانون.

توقف الإعدام ساعة ونصف

في سجن بني سويف

وحتى في بني سويف جرت محاولة لوقـف تنفيـذ إعدام ثلاثة قام بها محام قبل التنفيذ بربع ساعة فقط. اسـتمر الإيقاف ساعة ونصف ساعة. حتى أصدر النائب العام قراره تليفونيا بتنفيذ الإعدام.

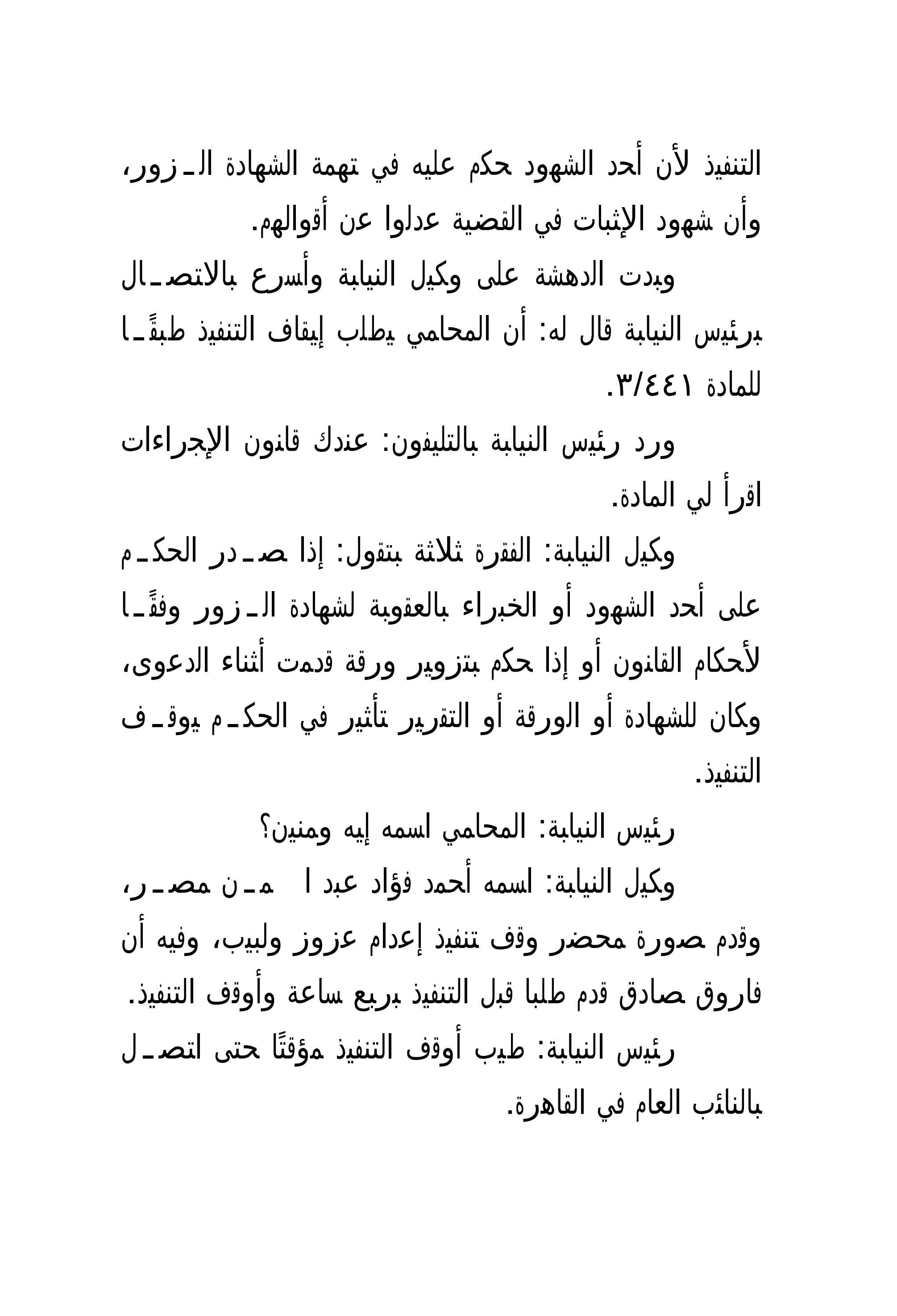
تحدد يوم ٢٢ يناير عام ١٩٦٣ لتنفيذ حكم الإعـدام في شعبان جمعة العربجي الـذي قتـل مخدومـه المقـاول بتحريض من زوجته التي اتفقت معه علـى قتـل زوجهـا فارتكب الجريمة بمساعدة صديقه أحمد عبد الفتـاح وقـتلاه ببلاطة وعصا وأصدرت محكمة جنايات بني سويف حكمهـا بالإعدام على القاتلين وبالأشغال الشاقة المؤبدة على الزوجة، والثالث سيد أبو زيد الذي قتل ثلاثة بالفيوم بمـدفع رشـاش لخلاف على مياه الري.

سافر عشماوي من القاهرة إلى بني سويف قبل تنفيذ الحكم بيوم، وسمحت إدارة السجن لأقارب المذنبين بزيارتهم

الزيارة الأخيرة، واستعد السجن لتنفيذ أحكام الإعدام في المذنبين الثلاثة، أجرى عشماوي بروفة الشنق وأعد الحبال طبقًا لأوزان المذنبين وتفقد المشنقة.

في السابعة والنصف من صباح يوم الإعدام، العلم الأسود يرفرف فوق سجن بني سويف، لاحظ المارة أمام السجن من العمال والموظفين.. والتلاميذ أن حدثًا غير عادي يجري داخل الأسوار، ألقوا نظرة عابرة ومضوا في طريقهم، زوار السجن يفدون واحدا بعد الآخر. الضابط والحراس يستعدون لإحضار المذنبين حسب ترتيب قائمة الإعدام. باق على تنفيذ أول حكم إعدام ١٥ دقيقة فقط. حينما فوجئ الواقفون بشاب يتقدم مسرعا وبيده طلب التماس بإعادة النظر وطلب وقف تنفيذ الإعدام. شرح وكيل النيابة المكلف بحضور التنفيذ الموضوع لرئيس النيابة في منزله بالتليفون. اتصل رئيس النيابة تليفونيا بالنائب العام في القاهرة فأمر بالتنفيذ فورا.

تقدم المحامي أحمد فؤاد عبد ا بالتماسه إلى محمد هاشم قراعة وكيل النيابة قال في طلبه أنه يلتمس إيقاف



التنفيذ لأن أحد الشهود حكم عليه في تهمة الشهادة الزور، وأن شهود الإثبات في القضية عدلوا عن أقوالهم.

وبدت الدهشة على وكيل النيابة وأسرع بالاتصال برئيس النيابة قال له: أن المحامي يطلب إيقاف التنفيذ طبقًا للمادة ٣/٤٤١.

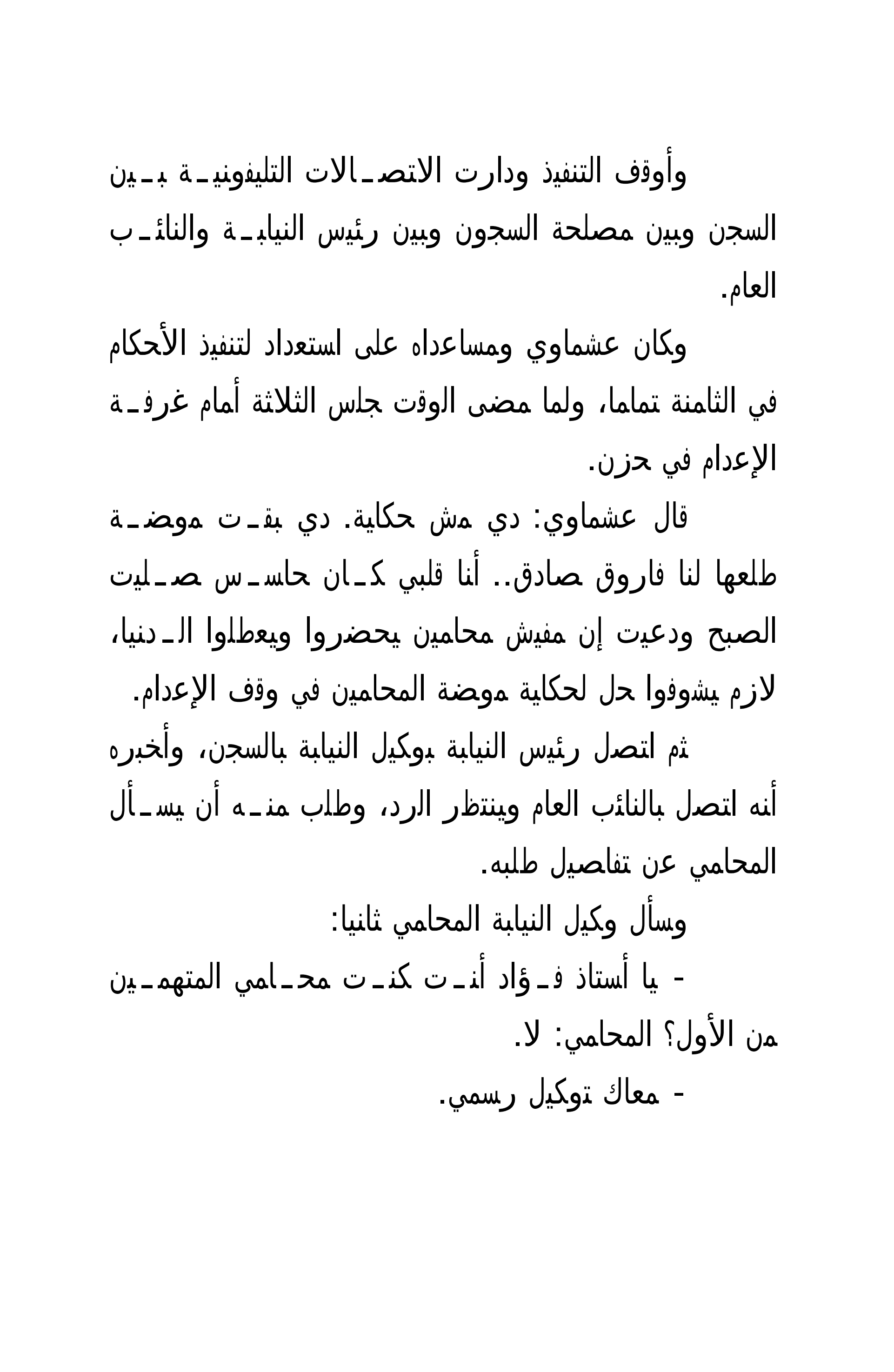
ورد رئيس النيابة بالتليفون: عندك قانون الإجراءات اقرأ لي المادة.

وكيل النيابة: الفقرة ثلاثة بتقول: إذا صدر الحكم على أحد الشهود أو الخبراء بالعقوبة لشهادة الزور وفقًا لأحكام القانون أو إذا حكم بتزوير ورقة قدمت أثناء الدعوى، وكان للشهادة أو الورقة أو التقرير تأثير في الحكم يوقف التنفيذ.

رئيس النيابة: المحامي اسمه إيه ومنين؟

وكيل النيابة: اسمه أحمد فؤاد عبد ا ـه ـن مصر، وقدم صورة محضر وقف تنفيذ إعدام عزوز ولبيب، وفيه أن فاروق صادق قدم طلبا قبل التنفيذ بربع ساعة وأوقف التنفيذ.

رئيس النيابة: طيب أوقف التنفيذ مؤقتًا حتى اتصل بالنائب العام في القاهرة.



وأوقف التنفيذ ودارت الاتصالات التليفونية بين السجن وبين مصلحة السجون وبين رئيس النيابة والنائب العام.

وكان عشماوي ومساعداه على استعداد لتنفيذ الأحكام في الثامنة تماما، ولما مضى الوقت جلس الثلاثة أمام غرفة الإعدام في حزن.

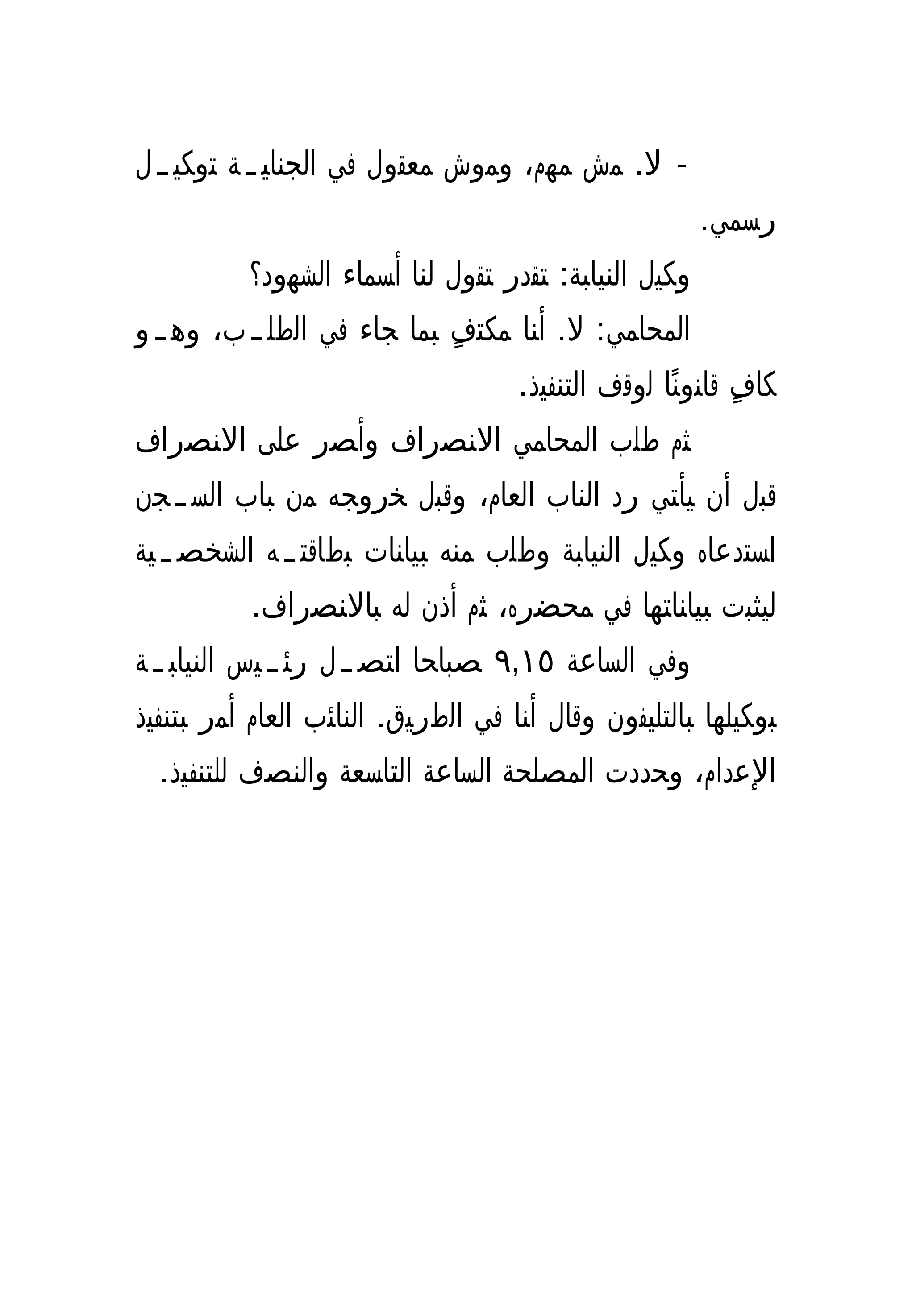
قال عشماوي: دي مش حكاية. دي بقت موضة طلعها لنا فاروق صادق.. أنا قلبي كان حاسس صليت الصبح ودعيت إن مفيش محامين يحضروا ويعطلوا الدنيا، لازم يشوفوا حل لحكاية موضة المحامين في وقف الإعدام.

ثم اتصل رئيس النيابة بوكيل النيابة بالسجن، وأخبره أنه اتصل بالنائب العام وينتظر الرد، وطلب منه أن يسأل المحامي عن تفاصيل طلبه.

وسأل وكيل النيابة المحامي ثانيا:

- يا أستاذ فؤاد أنت كنت محامي المتهمين من الأول؟ المحامي: لا.

- معاك توكيل رسمي.



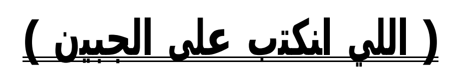
- لا. مش مهم، ومــوش معقول في الجنايـة توكيـل رسمي.

وكيل النيابة: تقدر تقول لنا أسماء الشهود؟

المحامي: لا. أنا مكتفٍ بما جاء في الطلـب، وهـو كافٍ قانونًا لوقف التنفيذ.

ثم طلب المحامي الانصراف وأصر على الانصراف قبل أن يأتي رد الناب العام، وقبل خروجه من باب السـجن استدعاه وكيل النيابة وطلب منه بيانات بطاقتـه الشخصـية ليثبت بياناتها في محضره، ثم أذن له بالانصراف.

وفي الساعة ٩,١٥ صباحا اتصـل رئـيس النيابـة بوكيلها بالتليفون وقال أنا في الطريق. النائب العام أمر بتنفيذ الإعدام، وحددت المصلحة الساعة التاسعة والنصف للتنفيذ.



(اللي انكتب على الجبين)

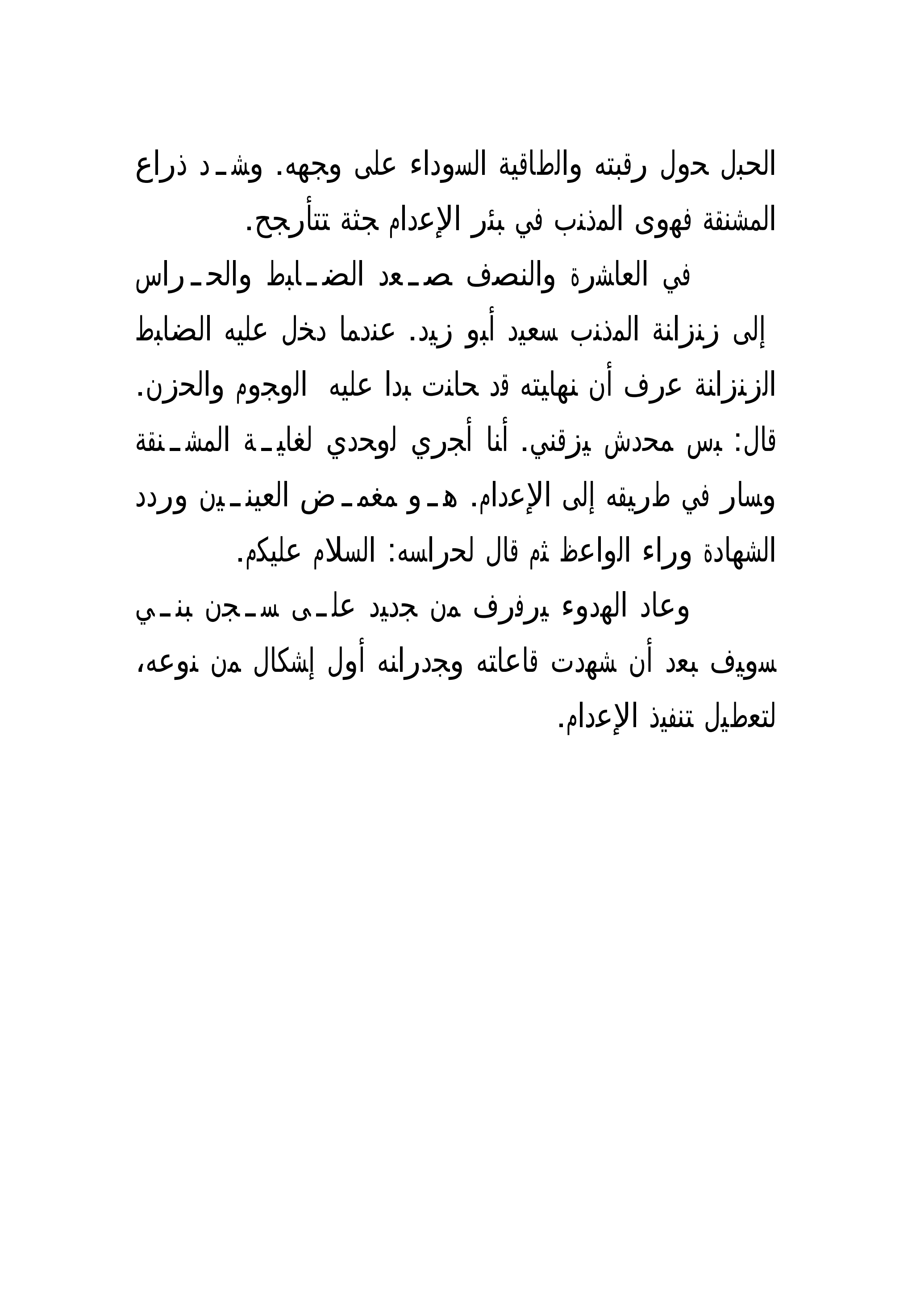
وصعد الضابط إلى المحكوم عليـه الأول شـعبان جمعه. وتقدم إلى هيئة التنفيذ. سأله وكيل النيابة:

- عاوز حاجة يا شعبان؟

- لم يرد. كان منهارا قبـل أن يصـل إلـى حبـل المشنقة. ونسى الشرطي أن يفك القيد الحديدي من يديـه إلا بعد أن تم الإعدام.

وفي العاشرة صعد الضـابط والحـرس لإحضـار شريكه أحمد عبد الفتاح كان يـدخن آخـر سـيجارة قـال الحراس: إنه كان يغني بصوت عالٍ طول الليل: اللي انكتب على الجبين لازم تشوفه العين.

خرج من الزنزانة ذاهلاً نظراته تدور يمينًا وشمالاً. وقف أمام التنفيذ يستمع إلى صيغة تنفيذ الحكم كـان يبتسـم ابتسامة مفتعلة. طلب منهم أن يعجلوا بإعدامه. ظـل يبتسـم لا شعوريا حتى وهو على طبلية المشنقة. وضع عشـماوي



الحبل حول رقبته والطاقية السوداء على وجهه. وشد ذراع المشنقة فهوى المذنب في بئر الإعدام جثة تتأرجح.

في العاشرة والنصف صعد الضابط والحراس إلى زنزانة المذنب سعيد أبو زيد. عندما دخل عليه الضابط الزنزانة عرف أن نهايته قد حانت بدا عليه الوجوم والحزن. قال: بس محدش يزقني. أنا أجري لوحدي لغاية المشنقة وسار في طريقه إلى الإعدام. هو مغمض العينين وردد الشهادة وراء الواعظ ثم قال لحراسه: السلام عليكم.

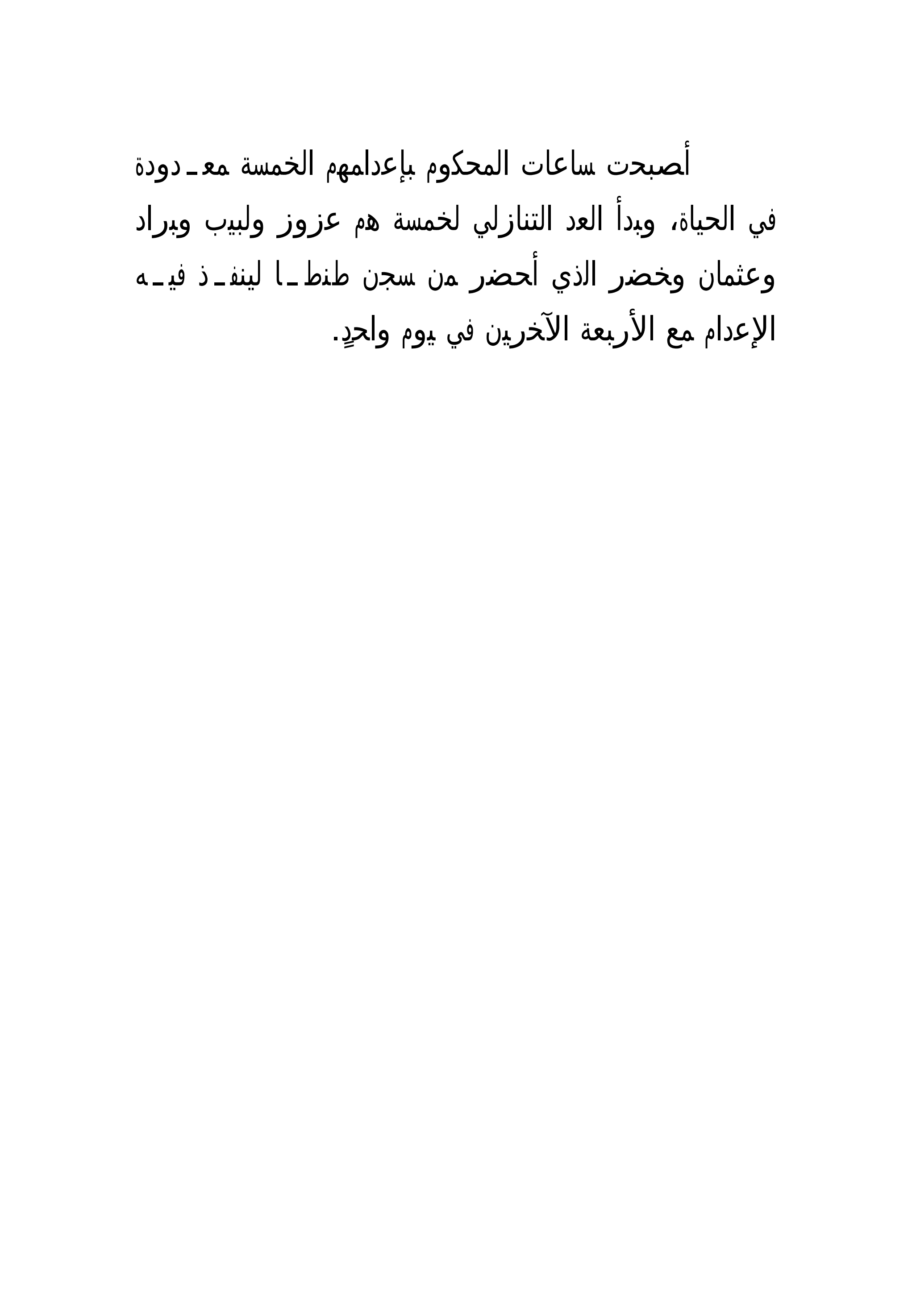
وعاد الهدوء يرفرف من جديد على سجن بني سويف بعد أن شهدت قاعاته وجدرانه أول إشكال من نوعه، لتعطيل تنفيذ الإعدام.

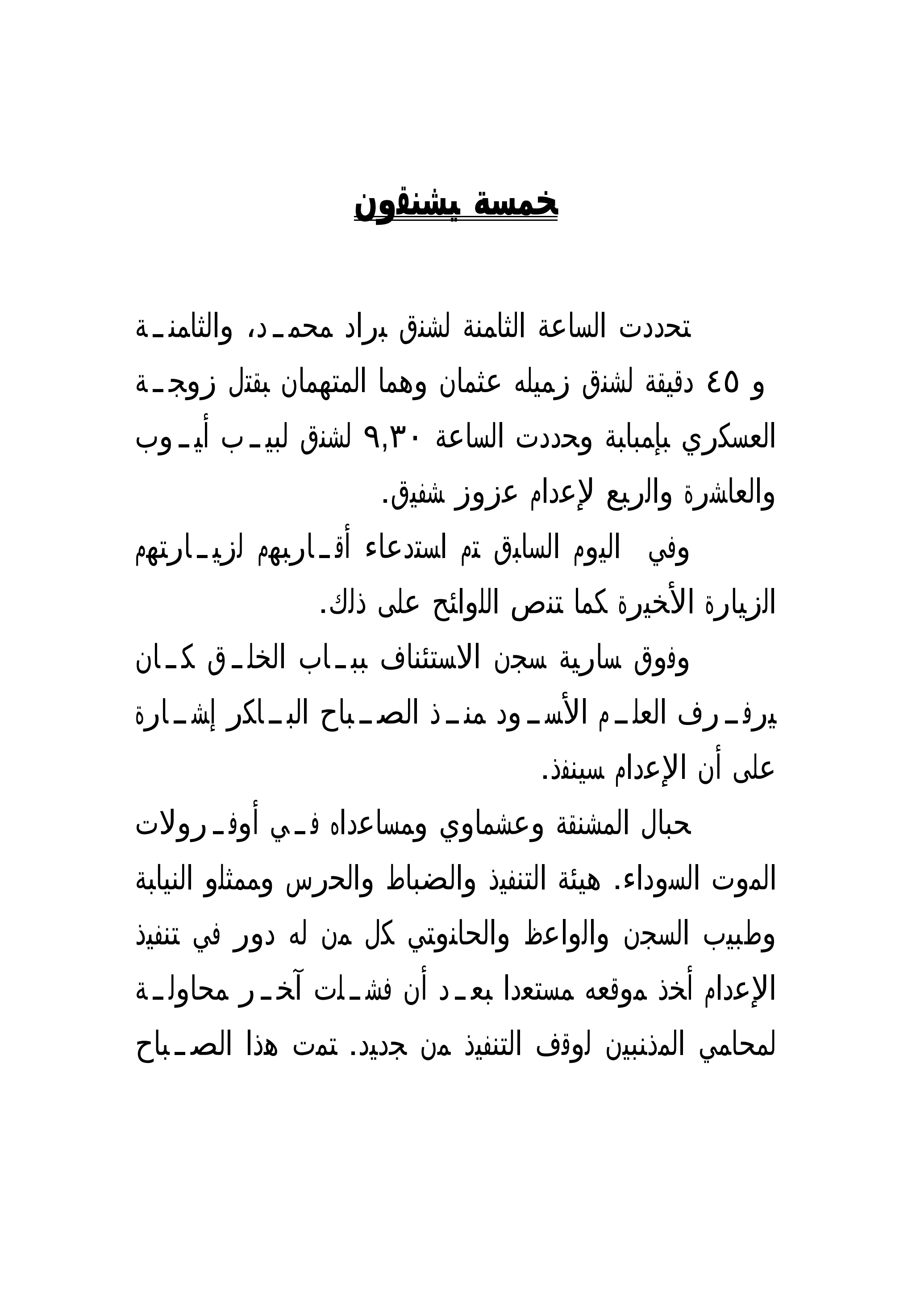
٤ سنوات: في الزنزانة

الخميس ٢٨ فبراير ١٩٦٣ سجن الاستئناف بالقاهرة على أهبة الاستعداد لشنق خمسة مذنبين. كان أربعـة مـنهم من قدامي النزلاء حيث أمضى عزوز ولبيـب فـي سـجن الاستئناف ٤ سنوات كاملة منـذ صـدور الحكـم عليهمـا بالإعدام.

وأنقل من مذكراتي نص الحديث الذي دار بيني وبين المذنب لبيب أيوب في داخل زنزانة سجن الاستئناف عقـب إيقاف تنفيذ الحكم للمرة الثانية.

لبيب: أنا متوقع معجزة كبيرة في القضية دي. منذ ٦ شهور قبل التنفيذ وكانت الساعة بعد منتصف الليل كان يـوم الخميس، بعدما قرأت في مجلة دينيـة قصـة فتـاة شـابة من أسيوط مريضة تطلب الدعاء والصـلاة لهـا فصـليت من أجلها وطلبت من ا أن يشفيها ونمت. ورأيت في منامي ملاكًا في ثياب بيضاء أشار إلي وقال: إنك لن تر الموت قبل أن تجد مجد ا أمامك.


أصبحت ساعات المحكوم بإعدامهم الخمسة معـدودة في الحياة، وبدأ العد التنازلي لخمسة هم عزوز ولبيب وبراد وعثمان وخضر الذي أحضر من سجن طنطـا لينفـذ فيـه الإعدام مع الأربعة الآخرين في يوم واحدٍ.



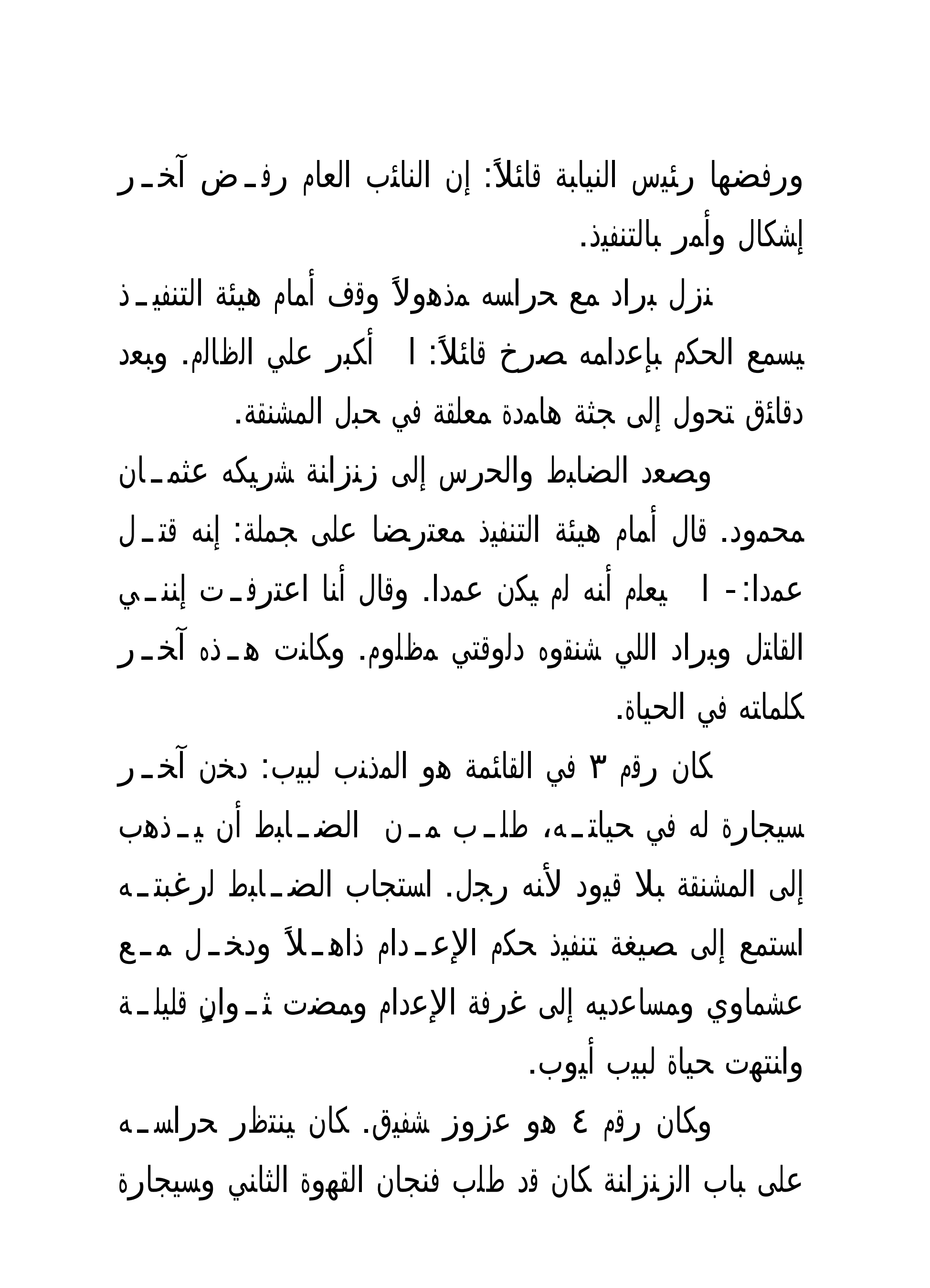
<u>**خمسة يشنقون**</u>

تحددت الساعة الثامنة لشنق براد محمـد، والثامنـة و ٤٥ دقيقة لشنق زميله عثمان وهما المتهمان بقتل زوجـة العسكري بإمبابة وحددت الساعة ٩,٣٠ لشنق لبيـب أيـوب والعاشرة والربع لإعدام عزوز شفيق.

وفي اليوم السابق تم استدعاء أقـاربهم لزيـارتهم الزيارة الأخيرة كما تنص اللوائح على ذلك.

وفوق سارية سجن الاستئناف ببـاب الخلـق كـان يرفـرف العلـم الأسـود منـذ الصـباح البـاكر إشـارة على أن الإعدام سينفذ.

حبال المشنقة وعشماوي ومساعداه فـي أوفـرولات الموت السوداء. هيئة التنفيذ والضباط والحرس وممثلو النيابة وطبيب السجن والواعظ والحانوتي كل من له دور في تنفيذ الإعدام أخذ موقعه مستعدا بعـد أن فشـلت آخـر محاولـة لمحامي المذنبين لوقف التنفيذ من جديد. تمت هذا الصـباح



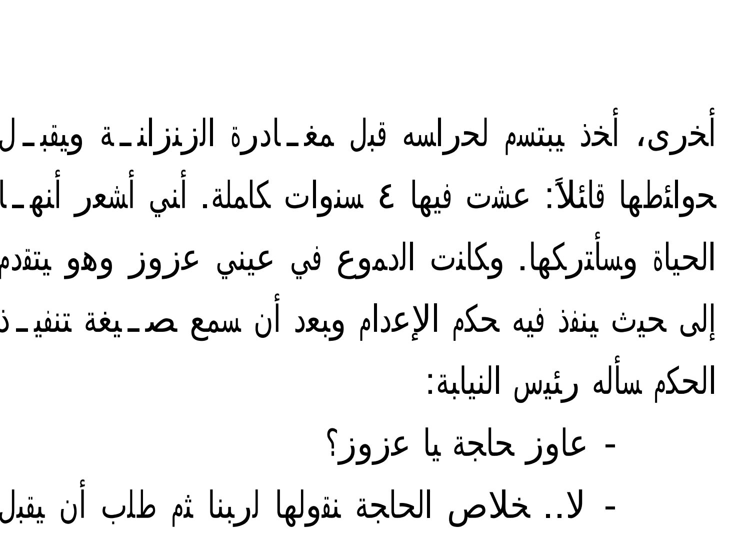
ورفضها رئيس النيابة قائلاً: إن النائب العام رفـض آخـر إشكال وأمر بالتنفيذ.

نزل براد مع حراسه مذهولاً وقف أمام هيئة التنفيـذ يسمع الحكم بإعدامه صرخ قائلاً: ا أكبر علي الظالم. وبعد دقائق تحول إلى جثة هامدة معلقة في حبل المشنقة.

وصعد الضابط والحرس إلى زنزانة شريكه عثمـان محمود. قال أمام هيئة التنفيذ معترضا على جملة: إنه قتـل عمدا:- ا يعلم أنه لم يكن عمدا. وقال أنا اعترفـت إننـي القاتل وبراد اللي شنقوه دلوقتي مظلوم. وكانت هـذه آخـر كلماته في الحياة.

كان رقم ٣ في القائمة هو المذنب لبيب: دخن آخـر سيجارة له في حياتـه، طلـب مـن الضـابط أن يـذهب إلى المشنقة بلا قيود لأنه رجل. استجاب الضـابط لرغبتـه استمع إلى صيغة تنفيذ حكم الإعـدام ذاهـلاً ودخـل مـع عشماوي ومساعديه إلى غرفة الإعدام ومضت ثـوانٍ قليلـة وانتهت حياة لبيب أيوب.

وكان رقم ٤ هو عزوز شفيق. كان ينتظر حراسـه على باب الزنزانة كان قد طلب فنجان القهوة الثاني وسيجارة

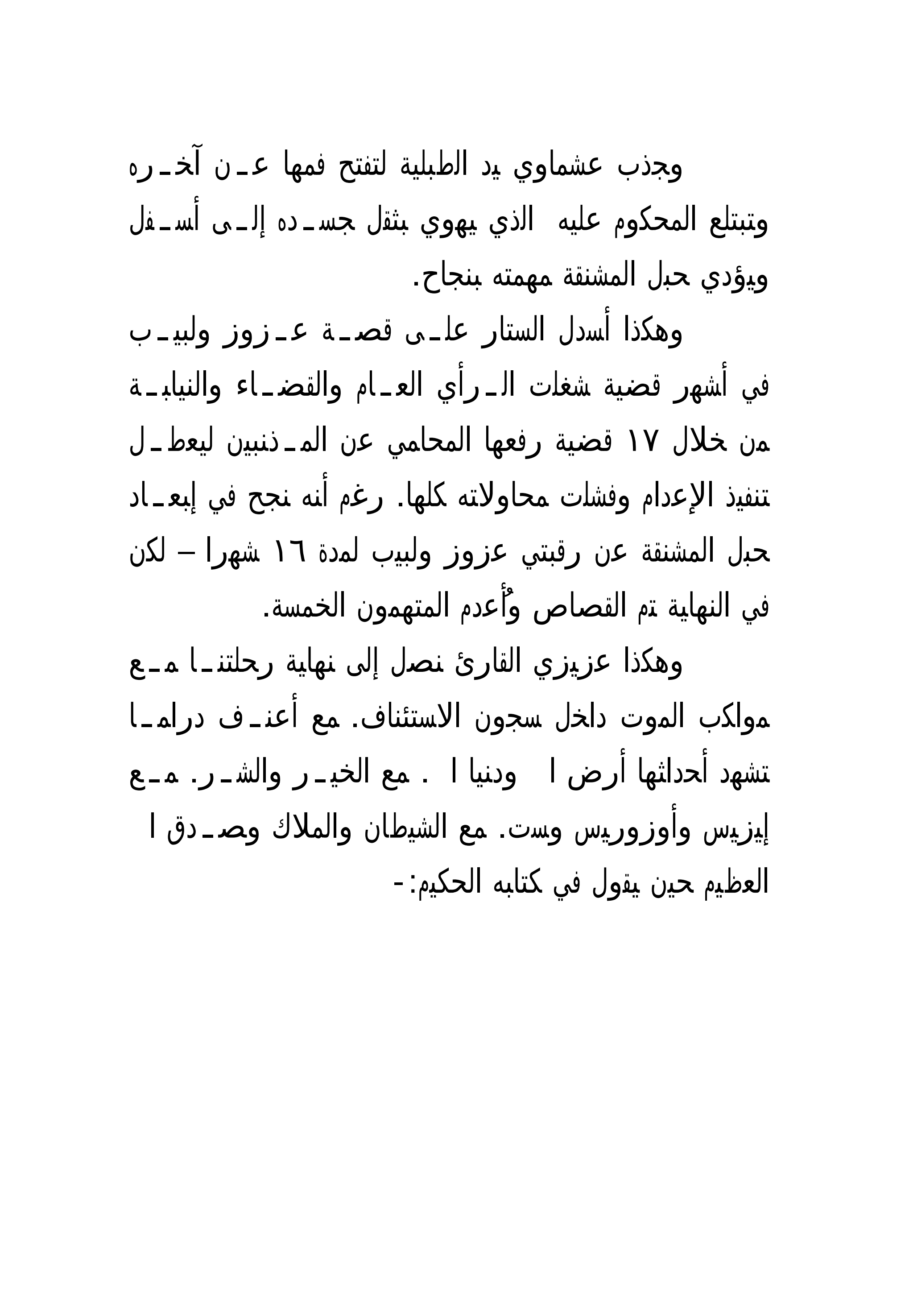


أخرى، أخذ يبتسم لحراسه قبل مغادرة الزنزانة ويقبل حوائطها قائلاً: عشت فيها ٤ سنوات كاملة. أني أشعر أنها الحياة وسأتركها. وكانت الدموع في عيني عزوز وهو يتقدم إلى حيث ينفذ فيه حكم الإعدام وبعد أن سمع صيغة تنفيذ الحكم سأله رئيس النيابة:

- عاوز حاجة يا عزوز؟

- لا.. خلاص الحاجة نقولها لربنا ثم طلب أن يقبل ضباط السجن.

وجاء دور آخر محكوم بإعدامه المذنب خضر، الذي قتل الشاهد على باب محكمة طنطا. نزل من الزنزانة بين الضابط والحراس كان يبدو ذاهلاً خطواته ثقيلة ونظراته زائغة إنه يخشى من المجهول الذي سيواجهه بعد دقائق فوجئ بهيئة التنفيذ والحراس يصطفون على الجانبين. توقف قليلاً. حثها الضابط على مواصلة السير. وقف يستمع إلى مأمور السجن يتلو عليه صيغة تنفيذ الحكم. لم ينطق، قيد عشماوي يديه من الخلف بالحزام الجلدي قال وهو يواجه المشنقة: يا رب ارحمني واجعلني من أهل الجنة.



وجذب عشماوي يد الطبلية لتفتح فمها عـن آخـره وتبتلع المحكوم عليه الذي يهوي بثقل جسـده إلـى أسـفل ويؤدي حبل المشنقة مهمته بنجاح.

وهكذا أسدل الستار علـى قصـة عـزوز ولبيـب في أشهر قضية شغلت الـرأي العـام والقضـاء والنيابـة من خلال ١٧ قضية رفعها المحامي عن المـذنبين ليعطـل تنفيذ الإعدام وفشلت محاولاته كلها. رغم أنه نجح في إبعـاد حبل المشنقة عن رقبتي عزوز ولبيب لمدة ١٦ شهرا – لكن في النهاية تم القصاص وأُعدم المتهمون الخمسة.

وهكذا عزيزي القارئ نصل إلى نهاية رحلتنـا مـع مواكب الموت داخل سجون الاستئناف. مع أعنـف درامـا تشهد أحداثها أرض ا ودنيا ا . مع الخيـر والشـر. مـع إيزيس وأوزوريس وست. مع الشيطان والملاك وصـدق ا العظيم حين يقول في كتابه الحكيم:-

﴿ولَكُم فِي القَصاصِ حياةٌ يا أُولِي الألْبابِ﴾

صدق ا العظيم.

* * *

المؤلفة

- - - - - - - - -